السّلسلة الكلاميّة
٢٢

أبو حاتم الرّازي

أعلام النّبوّة

الجزء الثّاني

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
2020

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – عمارة عدد 3 – شقّة عدد 2 – المنار 2 – أريانة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر : 02-9938
عدد الطّبعة: الثّالثة
ت د م ك : 978-9938-02-034-2
تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو حاتم الرّازي

أعلام النّبوّة

الجزء الثّاني

التّصغير

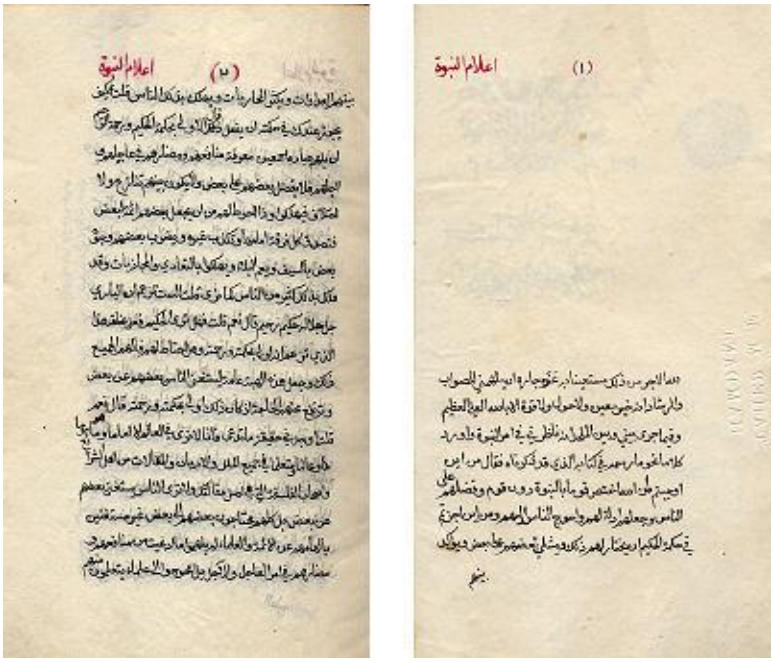

صورة من الصّفحة الأولى من نسخة
أعلام النّبوّة لأبي حاتم الرّازي الخطّيّة

صورة من الصّفحة الأخيرة من نسخة
أعلام النّبوّة لأبي حاتم الرّازي الخطّيّة

أبو ا مت الرّازي

أعلام النّبوّة

الجزء الثّاني

الببم ال م م س

الفصل الأوّل
سموّا قال الملحد أيّ شيء

قال الملحِد: أخبرُونا مَن وجَد إلى أمْرٍ طريقيْن، فسلك الأطْول[1] منهما والأوْعر؛ وهل يكون مريدًا إلى الأفْضل والأصْلح مَن يجد إلى تعريف شيء من وجهيْن سبيلاً، فيعرّفه مَن أعْسَرهما، وأبْدَعهما، وأكْثَرهما ريْبًا، وشكوكًا، وجلْبًا لسُوء العواقب، ويدَع ما خالف هذه الوجوه؟

فإن قلتُمْ: "لا"، قلنا: "فهلاّ ألْهَم الله عباده معرفة منافعهم ومضارّهم في عاجلهم وآجلهم، وترك الاحتجاج ببعضهم على بعض؟! فإنّا نرى ذلك قد أهْلك كثيرًا من النّاس، وأدْخل عليهم أعْظم البلاء في عاجلهم بالعيان وفي آجلهم. أمّا في عاجلهم، فلتصديق كلّ أمّة إمامَها، وضرْب بعضهم وجوه بعض بالسّيف، واجتهادهم في ذلك".

وقال: لوْلا ما انْعقد بين النّاس بأسباب الدّيانات، لَسقطت المجاذبات، والمحاربات، والبلايا[2]؛ لأنّ المنازعات تقع إمّا لعاجل، وإمّا لآجل.

وأوْرد كلامًا طويلاً في هذا الباب، ولكن هذه جملته.

وقال أيضًا: إن قُلتُم: "إنّ المجاذبات والمحاربات، من أجْل إيثارهم أعراض الدّنيا"، قلنا لكم: "هل رأيْتم أحدًا آثر القليل على الكثير، إلاّ لِشكٍّ منه في نيْل الكثير".

فإن قُلتُم: "نعمْ"، كابَرْتم؛ وإن قُلْتم: "لا"، فكذلك المؤْثِرُ لأعراض الدّنيا وشهواتها على الأمور الجليلة والثّواب العظيم الذي عجَز الوَاصِفون عنه، ليس ذلك إلاّ لِشكٍّ منه في نيْل ذلك الكثير العظيم الدّائم الذي يعجز الواصفون عنه؛ كما نرى الرّجل يُؤْثِر المائة دينار على الألْف إذا خاف فَوْت المائة والألف. فإذا كان مستيْقنًا أنّه يصل الألْف، مع ترْك المائة، فإنّه لا يرى أخْذ المائة.

---

[1] في الأصل: **الأطوال**.

[2] في الأصل: **البلاية**.

قال: وكذلك لو أنّ النّاس أخْلصوا اليقين بقوْل أئمّتهم فيما وَعدوهم من الثّواب الجزيل، لَمَا آثروا القليل من عاجلهم على الكثير من آجلهم.

قال: وفِيمَ جُعل بعض الخَلْق أئمّة لبعض؟ هو إشلاءُ بعضهم على بعض، وكثْرة الهرج، والفساد، والتّهالك.

وليْس يجوز هذا في حكمة الحكيم، بل الأفْضل والأعمُّ للنّفع: أن يلْهم النّاس معْرفة منافعهم ومضارّهم، ويركّب ذلك في طباعهم كما ركّبه في طباع البهائم؛ فإنّا نرى البهائم بطباعها وبضروب من الرّوائح تعْرف كثيرًا من الأشياء التي لا توافقها. فهلاّ جُعِل النّاس كذلك، إذ كان ذلك في طباعهم ممكنًا؟! فإنّ ذلك أعمُّ نفعًا وأحْوَط لهم من أن يُجعَل بعضهم أئمّة لبعض.

هذا قوْل الملحِد، وحذَفْنا الكثير منه تركًا للتّطويل، وذكرتُ النّكت منه.

وإنّما أراد بقوله: "جُعِل بعضهم أئمّة لبعض"، أنّه اخْتار منهم أنبياء ورُسلاً، فجعَلهم أئمّة لهم.

وقد تقدّم القوْل منّا فيما ذكرْنا أنّه جرى بيْننا وبيْنه؛ وفيما أجبْناه مَقْنَع لِمَن أنْصف –إن شاء الله–، ولكنّا نُعيده، ونُشبِع القول به، إذ كان رسمه في كتابه.

فنقول في جوابه: إنّ الأفْضل والأصْلح والأشْبهَ بحكْمة الحكيم: أن يقْصد لأيسر الأمريْن، ويأْتي من أقرب الطّريقيْن، ويتْرك الأوْعر والأبْعد.

وقد وجَدْنا ما اختاره الله –عزّ وجلّ– لخلْقه بأن بعَث فيهم أنبياء ورُسُلاً، وجعَل بعضهم أئمّة لبعض، هو أشْبه بحكْمته ورحْمته، وأحْوط لعباده وأعمّ نفعًا؛ وهو أيْسر الأمريْن وأقرب الطّريقيْن من أن يكلّفهم النّظر في أمور دُنياهم، وأن يهْملهم في أمور أخراهم؛ فيكونوا كالسّوائم المهمَلة التي قد طُبِعت على منافعها ومضارّها، فعرفت ذلك بضروب من الرّوائح وبطابعها، وميّزت ذلك، وأهْمِلَت في أمْر معادها؛ فلا ثوابٌ عليها ولا

عقابٌ، على حسب ما اختاره[1] الملحِد[2] لنفسه وأشباهه؛ وأنّه لو جُعل مثل البهيمة على هذه الشّريطة، لَكان خيرًا له.

ولَعمْري إنّهم لو كانوا كالبهائم في صورها وطباعها، لَسقط عنهم الثّواب والعقاب؛ ولَكان ذلك خيرًا لهم من أن كانوا في دُنيَاهم في صوَر البشر وفي معرفة البهائم، فألْحدوا في دين الله، وهم يُرَدُّون في أخراهم إلى العذاب الأليم.

فأمّا أهل الدّيانة، فما اخْتاره الله لهم من طاعة الأنبياء والرّسل التي قامت بها سياستهم في أُولاهم، ثمّ جزاهم على ذلك بالثّواب الجزيل في أُخراهم، هو خيرٌ لهم وأعمّ نفعًا من أن يكون سبيلهم سبيل البهائم.

وبعد، فلوْ اخْتار الله لهم ما ذكره الملحِد، لَقُلنا: إنّ الذي اخْتاره الله لهم هو خيرٌ لهم. ولكنّا نجدهم مُحتاجين إلى الأئمّة والمعلِّمين في جميع أسباب الدّين والدّنيا، ولا نجدُهم قد أُلهِموا ذلك طبعًا، ولا يستغْنون عن مُعلِّمين في كلّ صناعة.

ولوْ أنّ أحدهم تكلّف شيئًا من الصّناعات من غيْر تعْليم من مُعلِّم قد راضه وعلّمه حتّى مهر به، ثمّ خاض فيه بتكلّفه، لأفْسد علْمه، ولا يلْتئم له شيءٌ ممّا يُحاوِلُه.

هذا في الأمور الدُّنيويَّة، فكيْف مَن ينْظر في أمور الدّين، وما يحْتاج إليه من دقيق العلْم وجليله؟

وكذلك في سائر العلوم الدُّنيويّة الدّقيقة مثل النّجوم، والهندسة، ومعْرفة الطّبائع، وغير ذلك، لا يستغنى النّاظر فيها عن معلّم يوقفه على تلك الأصول.

فتَرى الصّانع الحكيم، الرّحيم بخلْقه، قد اخْتار لهم أن يبْعث فيهم أنبياء، فعلّموهم هذه الأسْباب بوحْي من الله –عزّ وجلّ–؛ ثمّ أخذها الآخر عن الأوّل بتعْليم.

ولم يُكلَّفوا أن ينظروا في ذلك بطباعهم؛ وهذا ما نُشاهده ونعايِنُه.

ولوْ كُلِّفوا ذلك كذلك، لكُلِّفُوا عسيرًا، لتفاوت طبقات النّاس في العقول، والأفْهام، والتّمييز، والمعْرفة؛ لأنّ النّاس لم يُخلقوا مُتساوين في الطّبائع، كما خُلقت البهائم

---

[1] في الأصل: **اختارها**.

[2] في الأصل: **ملحد**.

التي لا تتفاضل في معرفة ما تحتاج إليه؛ ولأنّ كلّ طبقة من الحيوان قد استوَت في طباعها من معْرفة ما كُلِّفت من طلب الغذاء والتّناسل؛ فلا تفاوتٌ فيها، كما ذكرْنا من تفاوت طبقات النّاس في العقول والأفْهام.

وهكذا نرَى التّفاوت في جبلّة البشر، وفي جبلّة الحيوان. ولو خلَقهم الحكيم – جلّ ذكره– مُتساوِين على خلْقة البهائم، لَقُلْنا ما اختاره الله لهم، وهو خيرٌ لهم. ولكنّه – عزّ وجلّ– أعْدل، وأحْكم، وأرْحم من أن يسوّي بين البشر والبهائم، وهو –سبحانه– أحْسن الخالِقين.

الفصل الثاني
في القدر المغلوبة

وأمّا قوْله: لولا ما انْعقد بين النّاس بأسباب الدّيانات، لَسقطت المجاذبات والمحاربات، من أجْل إيثارها أعراض الدّنيا؛ وأنّهم إنّما آثروا القليل من عرض الدّنيا على الثّواب الجزيل في الأخرى، لأنّهم شكُّوا في نيْل الكثير والجَزاء العظيم؛ وضرب المثل بالألف دينار والمائة، كما حكيْنا.

نقول في جوابه: إنّا قد نجد أكثر المجاذبات والمحاربات في أمُور الدّنيا، لا في أمور الدّين؛ لأنّا نرى الحروب بين أهل المِلَل بعضهم في إثر بعض أكثر من محاربتهم لِمخالِفهم، تنازعًا في الدّنيا، وتنافسًا عليها؛ كما نشاهده في دار الإسْلام من المنازعات على الممالك والأمصار. وهكذا سبيل سائر أهل الملل في بلادهم.

وليس ذلك من جهة أنّ أهل الإسلام شكُّوا في الإسلام، وأنكروا ما جاء به محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، بل اتّفقوا على الإقرار به، والتّمسّك بشرائعه، وإقامته.

وكذلك سائر أهل الملل، والمتنازعين بينهم لم يشكّوا في ملَلهم ولم يتنازعوا فيها، ولكنّهم آثروا الدّنيا على الدّين؛ وهم موقِنون بالثّواب والعقاب اللّذيْن وُعِدوا وأُوعدوا بهما؛ فاختاروا عَرَض الدّنيا على الآخرة، إلاّ القليل من النّاس.

ونرَى كثيرًا منهم يقْتلون الأنفس، ويأْخذون الأموال، ويرتكبون المحارم، ويأتُون الحدود؛ وقد عرفوا ما يُحرَّم عليهم من ذلك، وآمنوا بالعقاب على ما يرتكبونه في أُخراهم؛ ولا يرتابون فيما أوعدوا من العذاب الأليم؛ ولا يشكّون فيما وُعِدوا من الثّوَاب العظيم على اجْتناب هذه الحدود، والقصْد لأعمال الخيْر؛ وقد أيقنوا بذلك ويعْتقدونه في دينهم. ولكنّ الشّهوة الغريزيّة تحْملهم على ذلك وتغْلب عقولهم، حتّى يختاروا الأخسُّ على الأفْضل، وذلك على يقين وبصيرة.

وهذا أشْهرُ من أن يُحْتاج فيه إلى شاهد ودليل. ومَن دفع هذا، فقد ردّ العِيان وكابَر.

فإنّ شغب[1] مُشاغِبٌ[2]، وعاند، ودفع العيان، قلنا: فهل تشكُّ فيما يُلحق أهل العبث والفساد في هذه الدّنيا من القتْل، والصّلْب، وقطْع الأيْدي والأرْجل، والحبْس، والضّرب، وغير ذلك ممّا يلحقهم على ما يرتكبونه، وهم يشاهدون ذلك ويعاينونه ولا يرتدعون؟ فهل يقدر على دفْع هذا أحدٌ، وهل يردّه إلاّ مجنون؟

ولوْلا ما سنّه الأنبياء (ع) في كلّ أمّة، بأن أقاموا فيهم أئمّة يأخذون على أيْدي سفهائهم، يعلّمون جاهلهم، ويحامون عن ضعفائهم، ويقمعون أهْل العبث والفساد، ويقيمون فيهم الحدود من القصاص والقود وغير ذلك، كما سنّه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-؛ لَتهارج النّاس، وفسد أمْر العالم؛ ولَمَا كان يُسَالِم بعْضهم بعْضًا، كما يجْري عليه أمْر أصْناف الحيوان من المسالَمة؛ فإنّها لا يعدو[3] بعضها عن بعْض في أجناسها؛ إلاّ ما يعدو بعْض الأجناس على بعْض، ويصيدها للغذاء وطلب الرّزق.

ولكنّ النّاس قد طُبعوا على الحرْص والتّنافس على أعراض الدّنيا، والجمْع، والادّخار؛ وما رُكّب فيهم من حُبّ الشّهوات من النّساء، والبنِين، والقناطير المقنطَرة من الذّهب والفضّة، والخيل المسوّمة، والأنعام، والحرث، وسائر ذلك من متاع الدّنيا؛ وليس سبيل أصناف الحيوان هكذا.

كما نرى أنّ إنسانًا لو جمَع ما يعلم أنّه يكْفيه ألْف سنةٍ وزيادة، لَمَا انتهى عن الجمع، والزّيادة فيه، والحرْص عليه.

وكلّ أصْناف الحيوان تطلب غذاءها مقدار ما يشبعها، وليس سبيلها سبيل البشر.

---

[1] في الأصل: **شغب**.

[2] في الأصل: **مشغب**.

[3] في الأصل: **يعدوا**.

فلذلك اخْتار الله –عزّ وجلّ– للنّاس أئمّة يسُوسُونَهم ويقوّمونهم، لِيَستقيم أمْر العالم، ويكون فيه صلاح النّاس دينًا ودنيًا، فيحيا الأنام ولا يهْلكوا؛ كما قال الله –تعالى–: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[1]... بما شرّعه الأنبياء للنّاس وسنّوه، وحملوهم عليه، وأقاموا فيهم الحدود والأحكام.

والنّاس، وإن كانوا يتَنافسون في أمور الدّنيا، فإنّ كلَّ مُتغلِّب لا يقْدر على التّغلّب، حتّى يكون مرْجعه إلى الدّين، ويقْهر النّاس على ذلك الأصل وبتلك الرّيح؛ كما نرى لو أنّ يهوديًّا أو نصرانيًّا، أو مَن كان من أيّ ملّة غير ملّة الإسلام، إن أراد أن يتغلّب في دار الإسلام، لَمَا طاق ذلك، ولا قدر عليه.

وهم، مع إيثارهم أعْراض الدّنيا على الآخرة، غير شاكّين في أمْر الملّة حسب ما قد شرحْناه.

وكذلك السّبيل في سائر المِلَل، لا يقْدر أحدٌ أن يرْأسهم، حتّى يكون من أهْل ملّتهم في البلدان التي تغلّبوا عليها.

وما قال الملحِد: إنّهم آثاروا الدّنيا على الدّين، لأنّهم شكّوا في أمْر الدّين، فهو أمْحل المحال، وهو ردّ للعيان: لأنّ المتجاذبين في أمْر الدّنيا والمتنافسين فيها، مرْجعهم إلى الدّنيا؛ ويجْتمعون على كلّ مُتغلِّب بريح الدّيانة في كلّ ملّة، على ما ذكرْنا؛ كما نرَى من اقْتداءِ هذه الأمّة بمَن هو أوْلى بالخلافة، وتفْويضهم أمْر الخلافة إليه.

وكذلك مَن يرى الخلافة في قريش، يجعلونها فيمَن هو مُقدَّمٌ عندهم في الدّين.

وهكذا سبيل اليهود في اقتدائهم بآل داود؛ وكذلك سبيل كلّ أمّة، وإن كان الأمْر مُختلِطًا عليهم من غَلَبة الأهواء، فأصْلهم على ما قلْنا.

وكذلك الملوك في كلّ أمّة: ملكوا النّاس بريح الدّيانة، ثمّ قويت أسبابهم بالتّغلّب؛ ومع ذلك، فإنّهم حملوا النّاس على أحْكام الدّين في كلّ أمّة حتّى انْتظم أمْرهم، واستتبّ أمْر العالم بريح الدّين في الوقت المعلوم.

---

[1] سورة الحجّ (22)، الآية 40.

وكذلك قوْل الملحِد: إنّه لولا ما انْعقد بين النّاس بأسباب الدّيانات، لَسقطت المجاذبات والمحاربات، وهو أمْحل من الأوّل؛ لأنّ المجاذبات والمحاربات، كما قلْنا، هي في أمُور الدّنيا أكثر وأعمَّ؛ ولولا الدّين وشرائع الأنبياء التي قام بها أمرُ العالم وانْتظم، لَتفاني النّاس، ولَمَا قامت في الأرض سياسة.

فبِأحْكام الأنبياء (ع) قد اسْتقام العالم؛ وهذا واضحٌ لا خفاء به، والحمد لله.

الفصل الثالث
الفرق بين المعجزات والدلائل

قال الملحِد في باب المعْجِزات قولاً كثيرًا، وجَعَله سؤالاً وجوابًا، وضعَّف فيه حُجج مَن ادَّعى المعجِزات للأنبياء (ع)، واحتَجّ بكلام واهٍ، نترْكه.

ونخْتصر النّكت التي ادّعاها، ونذْكر بعض دلائل مُحَمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، ومُعْجِزاته التي ليس في وسْع البَشَر أن يأتوا بمثْلها إلاّ بتأييد[1] من الله -عزّ وجلّ-؛ وهي على وُجُوه كثيرة.

فنَذْكُر من كلّ وجْه شيئًا بالاخْتصار دون ذكر الجميع؛ لأنّنا، إن ذكرْناها بأسْرها، ذهب الكتاب بقنّها، وطال القوْل بها، لأنّها كثيرة جدًّا.

وقد اتّفقت عليها الأمّة، وشاهدها المؤمن والكافر، وأخذها الخَلَف عن السّلَف.

وليْس قوْل الملحِد بحُجّة حين زعَم أنّ أعلام مُحَمَّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم- نقلَها واحدٌ واثنان وثلاثة، ويجوز عليهم التّواطؤ؛ لأنّ أكْثرها ما قد شاهَدها عددٌ كثير من المسلمين[2] والكافِرين، ولا يجوز عليهم التّواطؤ؛ وأكْثَرها برْهانها واضحٌ، وشاهَدها عدلٌ

---

[1] في الأصل: **بتأيد**.

[2] يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج1/ص40-ص41): "فرق في التّفسير بين الإسلام والإيمان. والإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهرًا، ويشترك فيه المؤمن والمنافق. قال الله -تعالى-: ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ (سورة الحجرات (49)، الآية 13)، ففرّق التّنزيل بينهما. فإذا كان الإسلام بمعنى التّسليم والانقياد ظاهرا مؤضع الاشتراك، فهو المبدأ؛ ثمّ إذا كان الإخلاص معه بأن يصدّق بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ويقرّ عقدا بأنّ القدر خيره وشرّه من الله تعالى، بمعنى أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كان مؤمنا حقّا. ثمّ إذا جمع بين الإسلام والتّصديق، وقرن المجاهدة بالمشاهدة، وصار غيبه شهادة؛ فهو الكمال.

قائمٌ، لا مدْفع له.

ولكنّا لا نحتجُّ عليه بما يقدر الملْحِدون على دفْعه وإنْكاره، وإنّما نذْكرها ليكون لها في الكتاب رسمٌ.

فإنّ النّاظِر في كتابنا هذا لا يخلو[1] من أن يكون مُوافِقًا أو مُخالِفًا. فأمّا المُوَافِق، فإنّ الله –عزّ وجلّ– يزيده بذلك إيمانًا وتصديقًا؛ ولعلّ بعْض المخالِفين يوفّقه الله للرُّشد والهداية.

ثمّ نكْشف، بعد ذكْرها، عمّا في القرآن العظيم من المعجِزة الكبيرة التي هي حجّة أكيدة على الملحِدين، وبرهانٌ واضحٌ منيرٌ لا يقْدر على دفْعه إلاّ مباهِتٌ[2] مُكَابِرٌ؛ لأنّه علمٌ قائمٌ في العالم، وليست سبيله سبيل الدّلائل والمعْجزات التي قد سلَفتْ، ويقْدر الملحِدون أن ينكروها، ويدّعون أنّه يجوز عليها التّواطؤ، وأنّهم لم يشاهدوها، ولا يقْبِلون دعاوينا فيها إلاّ ببراهين حاضرة؛ كما قال الملحِد في كتابه، وكما ادّعى أنّ مثْل هذه الأسباب قد كانت ممَّن لم يدّع النّبوّة؛ ثمّ ذكر عمل أصحاب الخفّة والشّعبذة، كالرّقص على الأرسان، والدَّوَران على الأسنّة فوق الرّماح، وكلام القافية، والكهّان، وسحْر السَّحَرة، وغير ذلك ممّا ادّعاه، وعارض به مَن يدّعي المعجِزات للأنبياء (ع).

ثمّ قال: إنّكم تدَّعون أنّ المعجِزة قائمة مؤجودة، وهي القرآن؛ وتقولون: مَن أنكر ذلك، فلْيَأتِ بمثْله.

وقال: نحن نأْتيكم بألْف مثْله. وسوْف نشْرح ما في القرآن من المعجز العظيم، حتّى يعلم الملحِدون أنّه لا يقْدر أهْل الأرض أن يأتوا بمثْله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وبالله الحوْل والقوّة.

فكان الإسلام مبدأ والإيمان وسطًا والإحسان كمالاً، وعلى هذا شمل لفظ المسلمين: النّاجي والهالك".

[1] في الأصل: **يخلوا**.

[2] في الأصل: **مباهات**.

نقول: إنّ دلائل محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– ومعجزاته كثيرة، وهي على وجوه: فمنها ما يُقال لها: دلائل؛ ومنها ما يُقال لها: مُعجِزات.

فأمّا المعجِزات، فإنّها تُسمّى: مُعجِزات، وتُسمّى: دلائل؛ لأنّها أسْباب يأتي بها الأنبياء (ع)، ويعْجز غيرهم أن يأتوا بمثلها؛ فلذلك يُقال إنّها معْجزات. وتكون دالّة على صدق دعواهم في نبوّاتهم؛ فلذلك يُقال لها: دلائل.

ومنها أسباب يُقال لها: دلالات، ولا يُقال لها: مُعجِزات؛ لأنّها أسباب لا يأتي بها النّبيُّ بنفْسه، بل تكون من غيره، وتدلُّ على نُبوّته؛ كقول نبيّ يشْهد لِمَن يجيء بعْده ويدلُّ عليه؛ مثل الذي هو في التّوراة، والإنجيل، وسائر الكتب من الدّلائل على نُبوّة محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم–؛ ومثل أشياء حدثت في العالم.

كما حدَث أيّام كسرى[1] من ارتجاس الإيوان، وغير ذلك؛ فسأل عنه الكهَنة، فتكلّموا فيه بما يكون من بعد، ودلُّوا على ظهور محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– بالنّبوّة.

وكذلك ما جاء عن سائر الكهّان من سجعهم بنبوّته، مثل كلام البهائم، والسّباع، وغير ذلك، ونطْقهم بنبوّته، وآيات كانت في العالم نحو ذلك.

فهذه يُقال لها: دلائل، ولا يُقال لها: مُعْجِزات، لأنّها كانت من غيْره فيه، لم يأْتِ هو بها بنفْسه.

فكلُّ هذه يُقال لها: أعلام، ويُقال لها: آيات؛ لأنّها علامات وشَوَاهد تدلّ عليه.

وهذه الوجوه كلّها من الآيات والأعلام التي قد كانت لمحمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم–.

---

[1] كسرى الأوّل (579 –501) معروف أيضا باسم أنوشيروان العادل (بالفارسيّة: انوشيروان دادگر) روح الخالدة. واسمه كسرى أنو شروان بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور. واعتلى العرش بعد أبيه قباذ الأوّل وضع الأسس لمدن وقصور وبناء العديد من الجسور والسّدود، وخلال عهده ازدهرت الفنون والعلوم في بلاد فارس، وكانت الإمبراطورية السّاسانيّة في قمّة مجدها، وهو أحد الأباطرة الأكثر شعبيه في الثّقافة الإيرانيّة والأدب.

ونحن نذْكر من كلّ نوع شيئًا على الاختصار كما شرطْنا، ونترْك التّطوِيل[1] بذكْر الجميع، وبالله التّوفيق.

[1] في الأصل: **الطويل**.

الفصل الرابع
ذكر الدليل من الوجود في الكتاب[1] المُنزلة

في التّوراة أنّ الله –عزّ وجلّ– قال لبني إسرائيل: "إنّي أُقيمُ نبيًّا من إخوتكم أجْعل كلامي على فَمِه". فإخْوَة بني إسرائيل هم بنُو إسماعيل: هو محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

وفي التّوراة أيضًا: جاء الله من سيناء، وأشْرف من ساعير، وأضاء من جبال فاران. فمجيءُ الله من سيناءَ هو مجيءُ موسى (ع)، لأنّ الله أعْطاه الألْواح بطور سيناء؛ وإشراقه من ساعير هو خروج المسيح (ع)، لأنّه كان من ساعير، من أرض الجليل من قرْية يُقال لها: ناصرة؛ وإضاءته من جبال فاران هي ظهور محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم– من مكّة، لأنّ فاران هو مكّة.

وفي التّوراة: أنّ إسماعيل كان يتعلّم الرّمي في بريّة فاران، وهذا ما لا مرية فيه أنّ إسماعيل نشأ بمكّة، وفيها تعلّم الرّمي.

وفي الإنجيل: قال المسيح: "إنّي ذاهبٌ وسيأتيكم "البارقليط" روح حقّ الذي لا يتكلّم من قبَل نفسه، ويعلّمكم كلّ شيءٍ، وهو يشْهد لي كما شهدْتُ له، وهُو يُرْسَل باسْمي".

قوْله: "يُرسَل باسْمي"، أي يكون صاحب شريعة مثْله. ولم يخْرج بعْده صاحب شريعة[2] مثْله إلاّ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–: أنّه ينْقذ الضّعيف الذي لا ناصِر له، ويرْأف بالمساكِين، ويصلّى عليه في كلّ وقت، ويُبارك عليه في كلّ يوم، ويدوم ذكْره إلى الأبد، ويحوز ملْكه من البحر إلى البحر.

---

[1] في الأصل: **الكتاب**.

[2] في الأصل: **شرعة**.

فهذا ما لا مريّة فيه أنّه صِفة محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم–، لأنّ شريعته متّصلة بالقيامة لا تُنسَخ، ولا نبيّ بعده؛ فهو الذي ذِكْره يدوم إلى الأبَد، وهو الذي يُصلَّى عليه ويُبَارَك في كلّ يوم وفي كلّ وقْت.

وفي كتاب إشعياء: "قال لي الرّب: أقمْ نظَّارًا ليخْبر بما يرى"، فكان الذي رأى صاحب المنظرة، قال: "قد أقْبل راكبان: أحدهما على حمار، والآخر على جمل. فبينا أنا كذلك إذ أقْبل أحد الرّاكبيْن وهو يقول: "هوت هوت بابل، ونكست جميع آلهتها النّخرة على الأرض". فهذا الذي سمعتُ من الرّب إله إسرائيل العزيز، قد نبّأتكم به".

يعني براكِب الحمار: المسيح (ع)، لأنّه دخَل أورشليم، وهو راكب حمارًا؛ ويعني براكب الجمل: محمّدًا –صلّى الله عليه وسلّم–، لأنّه دخل المدينة وهو راكِب الجمَل، وعلى يديْه فُتحت بابل، وكُسِّرت أصنامها.

وفي كتاب إشعياء أيضًا: "عبدي الذي سُرَّت به نفسي أحمد المحمود بحمد الله حمدًا حديثًا تفْرح به البريّة وسكّانها"؛ فهذا إفْصاح باسْمه.

والبرّيّة يعني: البادية، لأنّها مسْكن العرَب، وبها أرْض الحجاز، ومنها خرج محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

وفي كتاب إشعياء أيضًا: "لتفْرح أرض[1] البادية، ولتبْتهج البراري والفلوات، وليخرج نور كنور الشّنبليد وتستنير وتزهو مثل الوعا، لأنّها ستعطي بأحمد محاسن الشّأن".

وفي كتاب إشعياء أيضًا: "وُلد لنا مؤْلودٌ، ووُهِب لنا ابنٌ على كتفيْه علامة النّبوّة".

ولم يكنْ أحدٌ من الأنبياء على كتفيْه علامة النّبوّة غير محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

---

[1] في الأصل: **الأرض**.

وفي كتاب حبقُّوق[1]: "لقد انْكشفت السّماء من بهاء محمّدٍ، وامْتَلأت الأرض من حمْده".

هذا، مع كلام كثير مثْله يذْكره في كتابه.

[1] ظهر حبقوق في أثناء السنوات الأخيرة قبل سقوط أُورشليم في سنة 586 ق.م.، وقد رأى بعين النبوءة، في أواخر القرن السابع، الدينونة الماحقة التي ستحل بيهوذا، وتساءل بانزعاج: لماذا سمح الله بشُيُوع الشر في أوساط يهوذا وكيف يرضى الله أن يستخدم أُمّة وثنيّة كالبابليين لمعاقبة يهوذا على شرها. وقد أجاب الله عن حيرة حبقوق وكشف له عن أكثر مما طلب، إذ أعطاه رؤْيا عن ذاته المقدسة. هذه البصيرة الجديدة لإدراك ذات الله، وتبيّن النّبيّ عجزه ونقصه أمام كمال الله، منحاه الشّجاعة على تحمّل نكبات تلك الأيّام السّود بقوة وتصميم. إنّ سيادة الله وافتقار الإنسان إلى الاتكال عليه هما محور رسالة هذا الكتاب الرّائع. إنّ الله يتحكم بجميع الأُمم، ويجري ما يراه حقا، لهذا فإن الموقف السّليم الذي يجب على الإنسان أن يتّخذه هو الثقة به، وليس التشكّك في عدله (2: 4). عندما يتّخذ الإنسان هذا الموقف يمكنه آنئذ أن ينظر إلى ما هو أبعد من المظاهر الأليمة للأشياء ويتأمل في المعنى الحقيقي الأعمق لذات الله فيجد القوة على تحمل الظروف مهما كانت قاسية. نحن لا نعرف ما يضمره لنا الغد ولكن الله مطلع على المستقبل فعلينا أن نتّكل عليه كلّ الاتّكال.

وفي كتاب دانيال[1] رؤياه التي رآها وعبّرها، وذكر تفْسيرها، وقال فيها: "رأيتُ

---

[1] النّبيّ دانيال كان ممن تم أسرهم ونقلهم إلى بابل إبان السبي البابلي لبيت المقدس وتدميرها على زمن نبوخذ نصر. ودانيال نبي من أنبياء بني إسرائيل ممَّن لا يُعلم وقته على اليقين، إلاّ أنّه كان في الزّمن الذي بعد داود، وقبل زكريا ويحيى –عليهم السّلام–، وكان في الوقت الذي قدم فيه بختنصر إلى بيت المقدس وخرّبه، وقتل فيه مَن قتل من بني إسرائيل وسبى من سبى وأحرق التوراة. وقيل: إنه أسر دانيال الأصغر، وقيل: بل وجدوه ميّتًا عندما دخل بختنصر بيت المقدس، والظّاهر أنّه كان في بني إسرائيل دانيال الأكبر ودانيال الأصغر –والله أعْلم–. وقد أورد ابن أبي الدنيا بإسناده إلى عبد الله بن أبي الهذيل أن بختنصر سلط أسدين على دانيال بعد أن ألقاه في جُب –أي بئر– فلم يفعلا به شيئاً. فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرمياء وهو من أنبياء بني إسرائيل وهو بالشام أن أعد طعاماً وشراباً لـ دانيال. فقال: يا رب أنا بالأرض المقدسة، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق، فأوحى الله إليه أن أعد ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت، ففعل وأرسل إليه من حمله وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب، فقال دانيال من هذا؟ قال أنا أرمياء فقال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك، قال: وقد ذكرني ربي؟ قال: نعم. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي يجيب من دعاه، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانًا. والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا وكربنا، والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطّع الحيل عنّا... واشتهر أن الصحابة عثروا على قبره عندما فتحوا (تستر) ثم أمرهم عمر بن الخطاب أن يغيبوا قبره خشية أن يتخذه الناس معبدًا أو يشرك بالله عنده. وقيل إنّ الذي وجدوه رجلاً صالحًا. والأوّل أشهر. وأخرج ابن أبي الدنيا بإسناد حسن –كما قال الحافظ ابن كثير– عن أبي الزناد قال: رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتمًا نقش فصّه (أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرّجل). قال أبو بردة وهذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسى يوم دفنه أي يوم دفن دانيال. قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه، جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له: إنّه يولد كذا وكذا غلام يُذهب ملكك ويفسده، فقال الملك :والله لا يبقى تلك الليلة مولود إلا قتلته. إلاّ أنّهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد فبات الأسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه. فجاءت أمّه فوجدتهما يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما

عتيق الأيّام قد جلَس وبيْن يديْه ألف ألف خدّام يخدمونه وكتّاب لا تُحصَى، وذكَر أشياء كثيرة قد جرى ذكْرها في صدْر كتابنا هذا، وقال فيها: "رأيتُ على سحاب السّماء كهيْئة إنسان، فانْتهى إلى عتيق الأيّام، وقدّموه بين يديْه، فخوّلوه الملك والسُّلطان والكرامة؛ وأن تتعبّد له جميع الشّعوب، والأُمَم، واللّغات؛ سلْطانه دائمٌ إلى الأبَد، وملْكه لا يتغيّر إلى الأبد".

وقد ذكرْنا رؤياه التي رآها الملِك، في آخر كلامه: "فيفْتح إله السّماء في تلك الأيّام مُلكًا دائمًا لا يتغيّر ولا يزول، ولا يذر لغيْره من الأمم مملكة ولا سلطانًا، بل يدقّ ويُبيد الممالك كلّها، ويقول هو إلى دهْر الدّاهرين".

هذا في تعبير الحجر الذي دقّ ذلك الصّنم من الحديد، والنُّحاس، والخزَف الذي رآه الملك في رؤياه؛ وهو مشْهورٌ في كتاب دانيال، وفي حديثه الذي في أيْدي العامّة.

وفي كتاب إرميا: "جعلتك نبيًّا للأُمَم لتَنْسف، وتهْدم، وتبيد، وتسْحق، وتبْني، وتغْرس".

وفي كتاب هوشع: "أنا الرّبُّ الإله الذي أرْعاك في البَدْو في أرْض خراب قفر".

فليس نبيٌّ خرج في أرْض قفر إلاّ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، لأنّه خرج في البادية[1].

فهذه دلائله –صلّى الله عليه وآله– في كتب الأنبياء (ع)؛ وأهْل الكتاب يقرؤونها[2]، ولا ينكرون ما قد ذكرْنا منها؛ لأنّها مكتوبة في هذه الكُتب؛ ولكن قد غلب عليهم الهوَى ورموا بالخذْلان والعمى، ليقْضي الله أمرًا كان مفعولاً.

بلغ. قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلاّ ينسى نعمة الله عليه في ذلك.

[1] في الأصل: **البداية**.

[2] في الأصل: **يقرأونها**.

وفيها من هذا النّحو دلائل كثيرة، تركْنا الأكثر منها لشرْط الاخْتصار الذي قدّمنا، أنّا نذْكر من كلّ فنّ شيئًا دون الجميع.

وهذا ممّا[1] لا يجوز عليه التّواطؤ، وليس هو ممّا نقَله رجلٌ أو رجلان أو ثلاثة، كما ادّعاه الملحِد؛ لأنّها نبوّات من الأنبياءِ، وكانوا في دهور متباينة قبْل محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بزمن طويل.

[1] في الأصل: **ما**.

الفصل الخامس
أعلام مولود -صلى الله عليه وسلم-
في أسرهم

– ووَجْهٌ آخر من دلالته وأعْلامه: أمور حدثت في العالم، دلّت على نبوّته، مثل: حديث كسرى وإيوانه، وسطيح الكاهن.

فإنّه لما كان في اللّيلة التي وُلد فيها رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ارْتجس إيوان كسْرى، وسَقطتْ منه أربع عشرة شرْفة، فاهتمَّ لذلك كسْرى، وجمع وزراءه وموابذته، وسألهم عن الحال فيه. فقال له الموبذان الأكبر: "أنا رأيتُ في هذه اللّيلة في منامي إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا، قد قطعتْ دجلة، [و]دخلتْ من بلاد العرَب، فَرَعَت في بلاد العَجَم".

وما لبث إلاّ قليلاً حتّى أتاه كتاب عامله بفارِس: أنّ نار فارس طُفِئت في تلك اللّيلة، ولمْ تُطْفأ قبْل ذلك بألْف عام. فهمَّه ذلك، واسْتقْصى في البحْث عنه، فقالوا: "حادثة تكون في بلاد العرب!".

فكتَب إلى النّعمان بن المنذر ليبْعث إليه رجلاً عالمًا يسْأله عن أشياء، فبعَث إليه عبد المسيح بن عمرو بن نُفَيْلة العبادي.

فلمّا قدم عليه، سأله عن ذلك، فقال: "عِلْمُ هذا عند خالٍ لي بالشّام، اسمه: سطيح". فجهّزه وأخرجه إليه ليسْأله. فخرج حتّى قدم عليه وهو بآخر رمقٍ، فوقَف عليه، وقال: "أصمّ أم يسْمع غطريف اليمن؟"، في سجع له.

فلمّا سمعها سطيح، رفع رأسه، وقال: "عبد المسيح جاء إلى سطيح، وقد أوْفى على الضّريح. بعثك ملك ساسان لارتجاس الإيوان ورؤيا الموبذان وخمود النّيران". قال: "نعم، فما تقول في ذلك؟". قال: "إذا كثرت التّلاوة، وفاض وادي السّموات، وغارت

بحيرة ساوة، بُعث صاحب الهراوة، فليست الشّام لسطيح شامًّا". قال: "متى يكون هذا؟". قال: "يملك منْهم ملوك ومَلِكات على عدد الشّرفات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ".

فانْصرف عبد المسيح إلى كسرى، وأخْبره بقوْل سطيح، فقال: "إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكًا، قد كانت أمورٌ". فملك منهم أربعة عشر ملكًا في مدّة يسيرة.

وهذا حديثٌ طويلٌ اختصرْناه.

ومثل هذا: حديث كاهن كان بعسفان، فسافر إليه هاشم بن عبد مناف وأميّة بن عبد شمس[1]؛ وقيل له: "احْكم بينهما: أيّهما أشْرف؟"، فقال: "والقمر الباهر، والكوكب الزّاهر، والغمام الماطر، وما بالجوّ من طائر، وما اهْتَدى بعلْم مسافر، لقد سبق هاشم إلى مآثر، أوّلاً منه وآخرًا[2]؛ وسيكون له ولدٌ فاخرٌ على كلّ بادٍ وحاضر، نبيٌّ مُؤيَّدٌ طاهرٌ، والله لدينِه ناصرٌ؛ وهو على الأديان كلّها ظاهرٌ إلى انقضاء الدّهور الغوابر".

ومثل هذا: حديث عبد المطّلب، حين وُلد رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أخذه عبد المطّلب، فأدْخله على هبل، كما كانت قرَيْش تفْعل بمَن يولد لهم؛ فوَلّى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وجْهه عن هبل، فارْتاع عبد المطّلب لذلك، وسمع صوتًا من جوْف الصّنم –ويُقال: من جدار الكعْبة– يقول: "ما لهذا وللصّنم، ثمّ يجلو دجى الظُّلَم!". فارتعدتْ فرائص عبد المطّلب، وفزع فزعًا شديدًا.

وهو حديثٌ طويلٌ اختصرْناه.

ومثله أيضًا حديث العبّاس بن مرداس السّلميّ: أنّه كان عند صنم لِبَني سُليم يُقال له "ضِمَار"، فسمع صوتًا من جوف الصّنم في بعض اللّيالي يقول:

قُلْ للقبائل من سُلَيْم كلّهـــــــا هلك الضّمار وعاش أهلُ المسجِدِ
أودى ضِمار وكان يعبد مـــــــرّة قبْل الكتاب إلى النّبيّ محمّـــــــدِ

---

[1] أميّة بن عبد شمس هو الجد الجامع لقبيلة بني أمية القرشية. هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

[2] في الأصل: **آخر**.

في أبيات كثيرة؛ فخرج فزعًا وتلقّاه رجلٌ على نعامة، وهو يقول: "بشّر الجنَّ وأبلاسها، ألاَ قد كفيت السّماء أحراسها، ووضعتْ الحربُ أحلاسها، وتجرّعت أنفاسها للنّور الذي نزَل يوم الاثنيْن وليلة الثّلاثاء على صاحب النّاقة الغضباء في وادي العنقاء".

فرجع العبّاس بن مرداس إلى ضمار، فأحرقه؛ ثمّ توجّه إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وآمن به، وقال في ذلك شعرًا:

لعمرك أنّي يوم أجعل جاهلاً ضمارًا لربّ العالِمين مُشارِكـــا

فآمنت بالله الذي أنا عبْـده وخالفت مَن أمسى يريد المهالكا

وهذه قصيدة طويلة.

فهذه من جهة الكهّان وسدنة الأصنام؛ ومثلها أخبار كثيرة تركْنا ذكْرها.

وهذا وجْه من الدّلالات.

– **ووَجْهٌ آخرٌ من أعْلامه**: كلام أصْناف الحيوان من البهائم، والسّباع، وغير ذلك؛ ونطْقهم بنبوّته –صلّى الله عليه وسلّم–.

من ذلك: حديث أهبان بن أوْس الأسلمي[1] –مكلِّمُ الذّئب–.

كان في غنَمٍ له، فرأى ذئبًا قد شدّ على ظَبْي فصاده، فحمل عليه أهبان، فانْتزعه منه؛ فأقعى الذّئب بعيدًا منه على ذَنْبَه، ثمّ قال: "ما لي ولك، سلبتَ[2] منّي رزقًا رزقْنية الله ليس من مالك؟!"؛ فتحيّر أهبان لذلك، وقال: "يا عجبي، ذئبٌ يتكلّم!"، فقال الذّئب: "أعجبُ من كلامي: رسول الله بين هذه النّخلات يحدّث النّاس بأخبار ما

---

[1] أهبان بن أوس الأسلمي الصحابي الجليل , ويقال هبان بن أوس الأسلمي، قديم الإسلام، وصلّى القبلتين ونزل الكوفة ومات بها في ولاية المغيرة بن شعبة. قال البخاري: له صحبة يعد في أهل الكوفة. وروى البخاري أيضا عن مجزأة بن زاهر عنه وفيه أنه كان له صحبة. وكان من أصحاب الشجرة, وروى في عن أنيس بن عمرو عن أهبان بن أوس أنه كان في غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح عليه فأقعى على ذنبه, قال: فخاطبني فقال من لها يوم يشغل عنها, قال ابن حبان مات أهبان بن أوس في ولاية المغيرة بن شعبة بالكوفة حيث كان واليا عليها لمعاوية بن أبي سفيان.

انظر ترجمته في: نداء الايمان؛ الإصابة في تمييز الصّحابة.

[2] في الأصل: **سلب**.

سبق وأنباءِ ما يكون، يدعو إلى عبادة الرّحمن، وتأبون إلاّ عبادة الأوْثان". فأتى أهبان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وآمن به؛ وله حديثٌ.

ووُلده يُسَمّون إلى يومنا هذا: بنو مكلّم الذّئب.

وله في ذلك شعرًا[1] يقول فيه:

رعيتُ الضّأن أحميها بكلبي من اللّص الخفيّ وكلّ ذيبِ

فلمّا أن سمعتُ الذّئب نادى يبشّرني بأحمَدَ من قريبِ

سعيتُ إليه شمّرْتُ ثوبي عن السّاقيْن في الوفْد الرّكيبِ

فألفيتُ النّبيَّ يقول قولاً صدُوقًا ليس بالهزْل الكذوبِ

وهي قصيدةٌ.

ومنْه: أنّ بعيرًا للوليد بن مغيرة المخزوميّ تكلّم في اليوم الذي وُلد فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وقال: "هذا أحمد قد وُلِد، أفْلح منكم مَن تبعه، وخسر مَن ولّى عنه". فأقبل الوليد وهو يقول: "يا آل قريْش أدْركوني[2]، فإنّ بعيري قد سُحِر!". فاجتمعتْ قريْش والبعير يقول ذلك، والوليد يقول: "سُحر بعيري، وربِّ الكعْبة!".

فقال في ذلك بعض قريْش:

ألا يا قوم رأيتم بهيمة تكلّم في النّادي بأنباء ما مضى

وتخبر عن عملٍ بما هو كائن فهذا بعير للوليد قد انْبرى

ينادي بأعْلى الصّوت والنّاس حوله ألا ضلّت الأصنام واللاّت والعزى

وهذا أوان الهاشميّ محمّدٍ بدين الله والحقُّ قد بَدا

ومنها: حديث هشام بن سعيد: كان خرج إلى الشّام، فاقْتنص في طريقه ظبية في اليوم الذي وُلد فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–.

فلمّا صارت في يديْه وقبض عليها، تكلّمتْ وقالت: "وُلِدَ أحمد بن عبد الله سيّد المرسَلين". ففزع هشام، وارْتعشت يداه، وذهبت الظّبية.

---

[1] في الأصل: **شعر**.

[2] في الأصل: **أدركوا**.

فلمّا قدم الشّام، دخل على قيصر[1] وأخبره بذلك؛ فبعث إلى الرّهبان، وجمَعهم، وأخبرهم بذلك، فقالوا: "رأينا الصّوامع في هذه اللّيلة قد أضاءت نورًا ومالت، حتّى ظنَنَّا أنّها سقطت؛ ورأينا قناديل الكنائس كلّها منكوسةً". فحفظوا ذلك اليوم، فإذا هو اليوم الذي وُلد فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–.

ومثل هذا من كلام البهائم، والطّير، وغير ذلك أخْبار كثيرة تركْنا التّطويل بها.

مثل البعير الذي جاء إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فاستناخ ورغا، فدعا رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه وعرّفهم ما شكاه منهم.

ومثله حديث العجل الذي لِبَني غفار، أرادوا أن يذبحوه فنطق وقال: "يا بني غفار، أَمِن نجيح ينجح، صائح بمكّة يصيح أن "لا إله إلاّ الله؟". فوفد بنو غفار على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وآمنوا به.

ومثله حديث الجمل الذي نُحِر بمكّة، فتكلّم بعْدما نُحر؛ فأقْبل الجزّار إلى نادي قريش، فقال: "هلُّموا، فاسْمعوا العجب! نحرتُ جزورًا لي وهو يتكلّم!"؛ فأقبلوا إليه، فإذا هو يقول: "وُلد أحمد، نُحِرَتْ قُرَيْش كما نُحرتُ". فانْصرفوا، فإذا عبد المطّلب يحمل محمّدًا إلى هبل. وقد ذكرنا حديثه.

ومثله حديث أتان حليمة، ظئر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. كانت تسبق الرّكب، وكانت قبل ذلك لا تنْبعث هزْلاً وضرًّا؛ وقالوا لها: "إن لأتانك شأنًا". فنطقت وقالت: "أعْظم شأنٍ، حَمَلَت سيّدَ الأوّلين والآخرين".

ومثله حديث الطّير الذي أُخذت فراخه، فجاء يرفْرِف على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فقال: "إنّ هذا الطّير يزْعم أنّ فراخه أُخذت، فاطْلبوها!"؛ فوُجدت عند رجل، فسيّبوها.

ومثلها أخبار كثيرة، ولكلّ خبَر من هذه وغيرها حديث طويل، تركْنا تطويل الخطاب بها.

وهذا وجْهٌ من أعلامه.

---

[1] في الأصل: **قصير**.

– ووَجْهٌ آخر من أعْلامه، وهي أمور كانت منه –صلّى الله عليه وسلّم–: من ذلك أنّه لما خرج مهاجرًا إلى المدينة مستخفيًا من قريش، ومضى إلى الغار، جعلت قريش لمن يدلُّ عليه مائة ناقةٍ.

فخرج سراقة بن جعشم المدلجي[1] على فَرَس له في طلبه، رغبة فيما بذلتْه قريش. فلحق رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– في طريقه.

فلمّا رآه –صلّى الله عليه وسلّم–، قال: "اللهمّ امْنعْه عنّا"؛ فعثر به فرسه، وساخت قوائمه في الأرض، فناداه سراقة وقال: "يا محمّد، دعْنِي وخلِّ عنّي! فواللهِ لا يأتيك عنّي ما تكْره!"، فقال –صلّى الله عليه وسلّم–: "اللّهُمَّ إن كان صادقًا، فأنْجه". فخرجتْ قوائم فرسه، وانْصرف إلى مكّة، وأخْبرهم بشأْنه.

فخاف أبو جهل[2] أن يكون قد أسْلم سراقة، فقال:

---

[1] سراقة بن مالك المدلجي الكناني، (24 هـ) سيد بني مدلج وأحد أشراف قبيلة كنانة وصحابي جليل قائف يقتص الأثر لحق بالرسول محمّد وصاحبه أبي بكر الصدّيق في الهجرة، وهو يومئذ مشرك طمعًا في جائزة قريش. فلمّا وصل للرّسول انغرست قدما فرسه في الوحل، فطلب من رسول الله أن يدعوا الله لينجيه ممّا هو فيه على أن يرجع عنهم ويعمي عنهم الطّلب، فدعا له رسول الله، ثمّ قال له: كيف بك إذا لبست سِوَارَيْ كسرى ومِنْطَقَتَه وتاجه، فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟ فقال رسول الله: نعم. ثمّ انْصرف سراقة. فلمّا فتح سعد بن أبي وقاص المدائن في زمن خلافة عمر بن الخطّاب، أرْسل سواري كسرى وتاجه ضمن الغنائم إلى الخليفة فتحقق لسراقة وعْد النّبيّ له حيث ألْبسه عمر سواري كسرى. مات سراقة سنة 24 في خلافة عثمان بن عفّان وقيل: مات بعد عثمان. انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير؛ الإصابة في تمييز الصّحابة لابن حجر العسقلاني؛ تفسير القرآن للحسين البغوي؛ الاستيعاب لابن عبد البرّ؛ الطبقات الكبير لابن سعد الزّهري.

[2] هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بنقريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بنعدنان. وأمّه: أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم بن مر بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والوليد بن المغيرة هو من سمي عمرو بن هشام أبا جهل وذلك لسرعة غضبه والجهل في لغة العرب ضد الحِلم وهو العفو بعد المقدرة. وفي رواية عن عمر بن الخطّاب قال: كنت جالسا مع أبي جهل وشيبة ابن ربيعة،

فقال أبو جهل: يا معشر قريش !إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضي من آبائكم يتهافتون في النار، ألا! ومن قتل محمداً فله علي مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة! وقال أبو جهل: "يا معشر قريش، إن محمدا قد أبي إلاّ ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله –أو كما قال– فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف، ما بدا لهم"، قالوا" :والله لا نسلمك لشيء أبدا، فامض لما تريد". فلمّا أصبح أبو جهل، أخذ حجرا كما وصف، ثمّ جلس لرسول الله ينتظره وغدا رسول الله كما كان يغدو، وكان رسول الله بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلّى، صلّى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام .فقام رسول الله يصلي وقد غدت قريش، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل. فلما سجد رسول الله احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما. منتقعا لونه مرعوبا. قد يبست يداه على حجره. حتّى قذف الحجر من يده. فقامت إليه رجال قريش، وقالوا له: "ما لك يا أبا الحكم؟"، قال: "قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني". وجاء الأخنس بن شريق قائد بني زهرة إلى أبي جهل ابن هشام بن المغيرة، ولما اختلى به سأله قائلاً: "أترى محمداً يكذب؟"، فقال أبو جهل: "ما كذب قطّ وكنّا نسميه الأمين ولكن إذا كان في بني هاشم السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء لبني مخزوم؟". قال أبو جهل: "والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد". قالوا: "وما هو يا أبا الحكم؟" قال: "أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتي شابًا جليدًا نَسِيبا وَسِيطًا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعَقْل، فعقلناه لهم". وهو الذي من ألد المشركين يوم بدر فقد قرر كبير القوم عتبة بن ربيعة الانسحاب والعودة إلي مكة وقال: "لا يشق القوم إلاّ ابن الحنظلية", يقصد أبا جهل, وهو ما حصل إذ ردّ عليه أبو جهل بوساطة حكيم بن حزام وقال: "لقد جبن ابن ربيعة لأنّ ابنه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في جيش محمد، فلا نرجع حتى نرد ماء بدر وتعزف القيان وتدق الطّبول وتسمع بنا العرب". فقتل يوم بدر علي يد معوذ ومعاذ أبناء عفراء وقد كانا في حوالي السّادسة عشر من عمرهما، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود فسأله أبو جهل قبل موته: "لمن الغلبة اليوم؟"، فردّ عليه ابن مسعود: "لله ورسوله يا عدو الله"، فرد عليه أبو جهل: "لقد ارتقيت مرتقا صعبا يا رويعي الغنم"، فقطع ابن مسعود رأسه وحمله

بني مدلجٍ إنّي أخال سفيهَكُـــــم سراقة متسغوٍ لأمر محمّـــــــد

وهي قصيدة مشهورة لأبي جهل، فأجابه سراقة:

أبا حكم واللاّت لو كنت شاهـدًا لأمر جوادي إذْ تسوخ قوائمـــه

شهدتَ ولم تشكّك بأنَّ مُحَمَّـــدًا نبيٌّ ببرهان فمَن ذَا يكاتمـــــه

وهي قصيدة له.

وقيل في ذلك شِعْرٌ كثيرٌ.

من ذلك: قول أبي بكر[1]:

إن تخسف الأرض بالأحوى وفارسه فانْظر إلى أربع في الأرض غـــوارِ

فهيل لما رأى أرساغ معرفـــة قـد سخن في الأرض لم تُحفَر بمحفـــارِ

إلى رسول الله وقد قطعت أذنه، فضحك الرسول وقال: "أذن بأذن والرأس زيادة"، حيث قطع أبو جهل ذات مرة أذن ابن مسعود، ويقال أن رأس أبو جهل كانت ثقيلة جدًّا.

انظر ترجمته في: سيرة ابن هشام؛ القرآن الكريم، سورة غافر ,الآيات3-1؛ القرآن الكريم؛ سورة المدثر ,الآيات 25-18؛ البداية والنهاية لابن كثير؛ تاريخ الطبري. تفسير القرطبي.سير أعلام النّبلاء للذهبي.سيرة ابن هشام. معجم البلدان لياقوت الحموي.

[1] هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة -و اسمه عثمان- بن عامر، من ولد تيم ابن مرّة -تيم قريش-. كان اسمه في الجاهليّة عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عبد الله، ولقبه عتيق، لُقّب به لجمال وجهه -رضي الله عنه-، وسمّي صدّيقًا لتصديقه خبر المسرى. وأمّه سلمى وتكنّى أمّ الخير بنت صخر، وهي بنت عمّ أبيه. بويع له يوم الاثنين الذي توفّي فيه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وتوفّي بالسلّ ليلة الثّلاثاء، وقيل يوم الجمعة، لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وسنّه ثلاث وستّون سنة. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيّام، وصلّى عليه عمر -رضي الله عنه-. ودُفن في حجرة عائشة ورأسه بين كتفي رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

حول ترجمته راجع: ابن خلّكان، *وفيّات الأعيان*، ج3/ص64 إلى ص71؛ *الرّياض النّضرة*؛ الذّهبي، *تذكرة الحفّاظ*؛ *غاية النّهاية*.

ومن ذلك: حديث الشّجرة التي دعاها، فأقبلت إليه تخدّ الأرض؛ وحديثها: أنّ رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطّلب بن عبد مناف[1]، وكان من أشدّ النّاس بطشًا وأقْواهم قوّة، قد اعْترفت له بذلك قريْش كلّها، تلقّاه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– في بعض شعاب مكّة، فقال له:" ألستَ تزعم أنّك أشدُّ العرب بطشًا وأقواهم قوّة، قد أُعتُرف لك بذلك؟"، قال: "نعم!"، قال: "أرأيتك إن صارَعْتك فصَرعْتُك، تؤمِن بي، وأنّ ما أتيتُ به حقّ؟"، قال: نعم!".

فصارَعه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وأضْجعه، حتّى لا يملك من نفسه شيئًا؛ فعاد أيضًا، فصرَعه؛ وفعَل به مثل ذلك، حتّى فعَل به ذلك ثلاث مرّات؛ فقال:

---

[1] قد صارع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– رجلا معروفا بقوته يسمى (ركانة) فصرعه النّبيّ أكثر من مرة. وفي رواية أن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– صارعه –وكان شديدًا–، فقال: شاة بشاة. فصرعه النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، فقال: عاودني في أخرى، فصرعه النّبيّ، فقال: عاودني، فصرعه النّبيّ الثّالثة، فقال الرّجل: ماذا أقول لأهلي؟ شاة أكلها الذئب، وشاة نشزت، فما أقول في الثالثة؟ فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "ما كنّا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك، خذ غنمك". وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وأمّه بنت العجلان، من بني سعد بن ليث بن بكر بن كنانة، يُقال: إنّه بقي إلى زمن عثمان بن عفان –رضي الله عنهما–". حدّثنا عبد الله بن محمّد بن سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن يوسف الفرياوي (ح). وحدّثنا أبو مسلم الكشي، ثنا سليمان بن حرب (ح). وحدّثنا علي بن عبد العزيز، ثنا حجاج بن المنهال (ح). وحدّثنا أحمد بن عمرو القطراني، ثنا أبو الربيع الزهراني (ح). وحدّثنا محمّد بن عبد الله الحضرمي، ثنا شيبان بن فروخ قالوا: ثنا جرير بن حازم، ثنا الزّبير بن سعيد، ثنا عبد الله بن عليّ بن يزيد بن ركانة فأتيته في قرية، فحدثني عن أبيه، عن جدّه، أنّه طلّق امرأته البتّة فأتى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فسأله فقال له: "ما نويتَ؟". قال: واحدة، قال: "آلله" قال: "آلله" قال: "هو ما نويت". قالوا: وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب الشديد قدم من سفر له، فأخبر خبر النبي –صلّى الله عليه وسلّم–، فلقيه في بعض جبال مكة ، فقال: يا ابن أخي، قد بلغني عنك أمر، وما كنت عندي بكذّاب، فإن صرعْتني، علمت أنك صادق، فصرعه النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ثلاثًا. فأتى قريشًا، فقال: "يا هؤلاء، صاحبكم ساحر، فساحروا به مَن شئتم".

"إنّ هذا واللهِ لَعجبٌ يا محمّد أن تصْرعني، وأنا أشدّ قريْش بطشًا!"، فقال له رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: "إن شئتَ أريتُك ما هو أعْجب من هذا إن اتّبعت أمْري!"، قال: "وما هو؟"، قال: "أدْعو هذه الشّجرة فتأتيني"، قال: "فافْعل!". فدعاها، فأقبلت تخدّ الأرض حتّى وقعت بين يديْه؛ ثمّ قال لها: "ارْجعي إلى مكانك!"، فرجعت إلى مكانها.

فجاء رُكانة إلى نادي قريش وقال: "يا آل قريش! ساحِروا بصاحبكم أهل الأرض! فما في الأرض أسحرُ منه!". ثمّ أخْبرَهم بالذي رأى منه، وانْتشر ذلك في قريْش. ولم يزالوا يتحدّثون به، وأخذه الخَلَف من كفّار قريش.

فهذا وجْهٌ من أعلامه، ومن هذا النّوع أخباره كثيرة.

مثل خروجه على قريْش لما اجْتمعوا في دار النّدوة، وتشاوروا في أمْره؛ فاتّفقوا على أن يجتمع عليه من كلّ قبيلة قومٌ، فيقْتلوه ويطلب دمه، فلا يقدر بنُو هاشم[1]

---

[1] هم بنو: هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة. وإلى الهاشميين ينتسب محمد بن عبد الله رسول الإسلام، وكان هاشم بن عبد مناف قد أنجب عبد المطلب بن هاشم، الذي أنجب عبد الله بن عبد المطلب، وأبو طالب، وحمزة، والعبّاس وأبو لهب والحارث وغيرهم. فأنجب عبد الله النبي محمد، وأنجب الرسول محمد من الذكور: القاسم وبه يكنى وعبد الله وإبراهيم الذي توفي صغيراً (جميعهم توفّوا صغارًا)، من الإناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وآل علي بن أبي طالب وينقسمون إلى 5 أقسام: آل الحسن بن علي بن أبي طالب، آل الحسين بن عليّ بن أبي طالب، آل محمد بن علي بن أبي طالب، آل العباس بن علي بن أبي طالب، آل عمر بن عليّ بن أبي طالب الملقب بالأطرف، آل عقيل بن أبي طالب، آل جعفر بن أبي طالب، آل العباس بن عبد المطلب (ومنهم خلفاء الدولة العباسية)، آل الحارث بن عبدالمطلب، آل أبو لهب بن عبد المطلب. ويعتقد أن بداية ظهور اللقب وتخصيصه لبني هاشم (حيث كان يطلق سابقا على بعض شيوخ وزعماء القبائل العربية في الجاهلية فيقال لهم سادات أو أشراف العرب) في الفترة بين القرن الرابع الهجري وقبيل مجيء الحكم الأيّوبي. حيث أن أقدم شخصية لقبت به من بني هاشم ولبني لام هي في كتاب لابن الأثير حيث قال: "في سنة 369 قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين"، وقال أيضًا: "في سنة 396 توفّي الشّريف أبو تمام

على قريْش كلّها في الطّلب بدمه؛ فاجتمعوا على باب داره ليدخلوا عليه؛ فخرج عليهم، ووضع التّراب على رؤوسهم، ومضى وهُم لا يرؤنه.

ومن ذلك حين رماهم يوْم بدْر بكفٍّ من حصًى، وقال: "شاهت الوجوه"، فهزمهم الله؛ فأنزل الله –عزّ وجلّ– في ذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولَكنَّ الله رَمَى﴾[1].

وممّا يُشاكِل هذه، أعْلام كثيرة.

ووجْهٌ آخر منها: أمور غائبة عنه كان يُخبر بها، فيظهر صدقه[2] فيها.

من ذلك: حديث النّجاشي حين مات بأرْض الحبشة، وقد كان أجاب إلى الإسلام، فقال –صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه: "إنّ أخاكم النّجاشيّ قد مات بأرض الحبشة، فاخْرجوا نصلّي عليه". فخرج بأصحابه إلى البقيع، فصفّهم خلْفه، وصلّى عليه. فحفظوا ذلك يوم وَرَد الخبر أنّه مات في ذلك اليوم.

محمّد الزّينبي". وفي نفس الفترة (القرن الرابع الهجري) كان الحسنيّون قد أسّسوا إمارة مكة المكرمة وإمارة المدينة المنورة، بقي اللقب في أثناء قيام دول أخرى لتسيير أمور الكعبةوالحج في الحجاز.

[1] سورة الأنفال (8)، الآية 17.

[2] في الأصل: **صدقة**.

ومثْله: خبر كسْرى لما كتب إلى باذان[1]، وهو عامله على اليمن، أن "ابْعث إلى هذا الرّجل الذي خرج بالحجاز رجليْن من عندك يأتياني به"؛ فبعث باذان قهرمانة ورجلاً آخر معَه في ذلك.

فلمّا قدمَا عليه –صلّى الله عليه وسلّم–، قال لهما: "إنَّ الله قد أوْحى إليَّ أنّ شيرويه[2] وَثَب على أبيه كسْرى، فقتله في شهر كذا من ليلة كذا ". فانصرفَا إلى باذان، فأخبراه بذلك؛ فقال باذان: "نَنْتظر به. فإن صحَّ ما قال، فهو نبيٌّ؛ وإن يكُ غير ذلك، رأَيْنا فيه".

فلم يلْبث باذان أن ورَد عليه كتاب شيرويه بقتْله أباه.

فأسْلم باذان، وأسْلم مَن كان معه من أصحابه.

---

[1] باذان) باذان بن ساسان) كان حاكم الفرس على اليمن في عهد كسرى الثاني .استبعد من صنعاء . خلال فترة حكمه أمره كسرى الثاني بإرسال بعض الرجال إلى المدينة المنوّرة لجلب محمد إلى قصره. أرسلت باذان رجلين لهذه المهمة. عندما التقى الرجلان محمد وطالبوه بالمجيء معهما رفض طلبهما. بدلا من ذلك تنبأ بالإطاحة بكسرى الثّاني وقتله على يد ابنه قباذ الثّاني .عاد الرجلان إلى باذان وأخبراه بالأنباء عن كسرى الثاني. انتظر باذان للتّحقّق من صحة هذا النبأ. اعتنق باذان الإسلام عندما ثبت صحة ما قاله نبي الإسلام محمد. الرجلان والفرس الذين كانوا يعيشون في اليمن وخارج اليمن ساروا على نفس خطى باذان واعتنقوا الإسلام. بعد ذلك أرسل باذان رسالة إلى محمد يبلغه فيها بإسلامه. في رده سمح محمد لباذان في الاستمرار في حكم اليمن. بعث باذان عدة رسائل إلى أجزاء مختلفة من المستوطنين العرب من الممالك اليمنية المختلفة ممن لديهم صلة التجارة في ذلك الوقت وأمر ببناء المساجد هناك. بعد فترة وجيزة خلف باذان ابنه شاهر. (من أبناءه داذويه) والٍ مسلم تولى حكم اليمن بعده، ومهران (أحد قادة الفرس في معركة البويب). قام باذان بنفسه بالسفر إلى أماكن مختلفة لنشر الدين الإسلامي. بالقرب من الساحل الفارسي مرض وتوفي هناك ودفن.

[2] في الأصل: **شيروية**.

ومثله: حديث خالد بن الوليد[1] لما وجّهه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إلى أُكَيْدَرِ -[ملك] دومة الجندل-[2]، وكان ملكًا عليها، وكان نصرانيًّا؛ فقال لخالد: "إنّك

---

[1] خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي. توفي سنة 21 هـ / 642. م صحابي وقائد عسكري مسلم، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول. اشتهر بحسن تخطيطه العسكري وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الردة وفتح العراق والشام، في عهد خليفتي الرسول أبي بكر وعمر في غضون عدة سنوات من عام 632 حتّى عام 636. يعد أحد قادة الجيوش القلائل في التاريخ الذين لم يهزموا في معركة طوال حياتهم، فهو لم يهزم في أكثر من مائة معركة أمام قوات متفوقة عدديًا من الإمبراطورية الرومية البيزنطية والإمبراطورية السّاسانيّة الفارسيّة وحلفائهم، بالإضافة إلى العديد من القبائل العربية الأخرى. اشتهر خالد بانتصاراته الحاسمة في معارك اليمامة وأُلّيس والفراض، وتكتيكاته التي استخدمها في معركتي الولجة واليرموك. قبل إسلامه، لعب خالد بن الوليد دورًا حيويًا في انتصار قريش على قوّات المسلمين في غزوة أحد، كما شارك ضمن صفوف الأحزاب في غزوة الخندق. ومع ذلك، اعتنق خالد الدّين الإسلامي بعد صلح الحديبية، شارك في حملات مختلفة في عهد الرّسول، أهمها غزوة مؤتة وفتح مكّة. وفي عام 638، وهو في أوج انتصاراته العسكريّة، عزله الخليفة عمر بن الخطاب من قيادة الجيوش، ثمّ انتقل إلى حمص حيث عاش لأقلّ من أربع سنوات حتّى وفاته ودفنه بها.

[2] هو أكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل، أحد نصارى العرب الذين صالحهم النّبيّ محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- على الجزية وأخوه بشر بن عبد الملك يذكرون أنّه ذهب إلى الحيرة، وتعلم بها الخط، ثم رجع إلى مكّة فتزوّج الضهياء بنت حرب أخت أبي سفيان. أرْسل الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- خالد بن الوليد على 450 فارس لقتال الأكيدر بعد معركة تبوك لمساندة الأكيدر حلفاء الرّوم من العرب في معركتهم تلك. وصالح نصارى العرب مثل يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة ولم يبقى إلاّ الأكيدر الكندي. وأبلغه رسول الله أنّه سيلاقي أكيدر خارج حصنه، وكان الأكيدر يهوى اصطياد الوحوش فلقيه خالد يصطاد البقر الوحشي مع أخاه حسان ونفر من العرب فقتل خالد حسان وأسّر الأكيدر، وكان عليه قباء من ديباج منسوج بالذّهب، فبعثها إلى رسول الله في المدينة وصالحه على الجزية شرط ألاّ يقاتل المسلمين. وروي كذلك أنّه سمع بتوجه سرية خالد نحوه فاستقبلهم لمقابلة رسول الله وطلب منه الأمان وأهداه قبة ديباج من ذهب فوهبها رسول الله إلى عمر بن الخطاب، وقال رسول لله للأكيدر :"ارْجِعْ بِقَبَائِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَلْبَسُ هَذَا فِي الدُّنْيَا إِلَا حُرِمَهُ فِي الآخِرَةِ" واستنكر رسول الله تعجب الصحابة من ديباج الأكيدر وقال :"لمناديل سعد بن معاذ في

تجده يصيد البقر، ويظفّرك الله به".

فمضى خالد، فلمّا قرب من قصْره، وهو مع حرمه في قصره، وجاءت بقرٌ وحكّت بقرونها باب قصره؛ فخرج مع نفر من أصحابه يتّبع البقر ليصيدها؛ فأوْقع به خالد، وأخذه، وقتل أخاه حسّان. فقال في ذلك بجير بن بُجْرَة الطّائي:

تبارك سائقُ البقرات إنّـــــــي رأيتُ الله يهدي كلّ هـــــادِ

وهي قصيدة.

الجنة أحسن من هذا "وكتب إليه كتابا بالأمان ولم يكن معه خاتم فختمه بظفره –صلّى الله عليه وسلّم– وجاء في الكتاب: "بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا كتاب من محمّد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها إنّ له الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسّلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور وبعد الخمس لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النّبات ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزّكاة بحقها وعليكم بذلك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين". وهذا الكتاب هو ما جعل بعض الرواة يقول بإسلامه واعترض ابن الأثير. بعد وفاة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– توقف الأكيدر وجودي بن ربيعة عن دفع الجزية وقاتل الأكيدر عياض بن غنم وعزم نصارى العرب على قتال المسلمين فلما علم بقدوم المدد للمسلمين رأى الصلح وقال :"أنا اعلم النّاس بخالد لا أحد أيمن طائرًا منه ولا أحد في حرب ولا يرى وجه خالد قومًا أبدًا قلوا أو كثروا إلاّ انهزموا عنه فأطيعوني وصالحوا القوم"، فأبوا عليه واتّجه الأكيدر نحو العراق فبلغ خالد ذلك وأرسل في طلبه وضرب عنقه.

انظر ترجمته في: الإصابة – ابن حجر – ج ١ أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص 2130؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ معرفة الصحابة, أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني؛ المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم 41888؛ السّيرة الحلبية؛ المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي؛ السيرة الحلبية؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ تاريخ الطبري.

ومثله: حديث صرد بن عبد الله الأزَدي: بعثَه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وأمره أن يجاهد بمَن معه من قبائل اليمن؛ فمضى ونزل بجرَش، وهي يومئذ مدينة مُغلَقة. فخرجوا إليه، والْتقوا بجبل يُقال له: كَشْر.

وكان قد أُحضِر عند رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- رجلان من جرش وَفَدا لهم. فبينا هما عنده عشيّةٌ بعد العصْر، قال -صلّى الله عليه وسلّم-: "أيّ بلادكم شكر؟"، فقالاَ: "يا رسول الله! ببلادنا جبَل يُقال له كشر"، فقال: "ليس بكشر ولكنّه شَكْر، وإنّ البدن تُنحر فيه الآن"، فقال أبو بكر للرّجلين: "وَيْحكما! إنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ينْعى إليكما قوْمكما، فاسْألاه أن يدعو الله ليرْفع عن قومكما". فسألاه، فقال: "اللهمّ، ارْفع عنهم". فرجعَا إلى قوْمهما، وقد أُصيبوا في ذلك اليوم، وفي تلك السّاعة.

ووجْهٌ آخر، وهو قريبٌ من هذا الباب، حديث العبّاس بن عبد المطّلب[1] حين أُسّر، فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– له: "افْدِ نفسك، وابنَيْ أخيك: عقيلاً ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وحليفك عتبة بن عمرو[2] بن جحدم، فإنّك ذو مال"، فقال: يا رسول الله، ليس لي مال". قال: "فأيْن المال الذي دفعتَه إلى أمّ الفضل وقلتَ لها: إن أُصِبتُ في سفري هذا. فللْفضْل كذا، ولعبْد الله كذا، ولقثم كذا، ولعبيد الله كذا؟!". وذكر له مقدار ما سمّاه لكلّ واحد منهم. فقال له العبّاس: "وربّ الكعبة، ما

---

[1] هو العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، عمّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، أبو الفضل. كان أسنّ من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بسنتيْن –وقيل: بثلاث–. كان العبّاس رئيسًا في الجاهليّة وفي قري، وإليه كانت عمارة البيت والسّقاية في الجاهليّة. قال ابن عبد البرّ: أسلم العبّاس قبل فتح خبير، وكان يكتم إسلامه، ثمّ أظهر إسلامه يوم الفتح؛ وشهد حنينا والطّائف وتبوك. وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. فلذلك قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يوم بدر: "مَن لقي منكم العبّاس فلا يقتله، فإنّه أُخرِج كُرهًا". تُوفّي سنة 32 هـ.، وصلّى عليه عثمان. ودُفن بالبقيع. وعاش 88 سنة.

حول ترجمته راجع: *الوافي بالوفيّات*، ج/ص629 إلى ص633؛ *نكت الهميان في نكت العميان* للصّلاح الصّفدي، ص175؛ *طبقات* ابن سعد، ج4/ق1/ص1؛ *المحبَّر* لابن حبيب، ص16 وص63؛ *طبقات* خليفة، ص10؛ *تاريخ* خليفة بن خيّاط، ص168؛ *تاريخ* البخاري، ج7/ص2؛ *أنساب الأشراف* للبلاذري، (نشرة الدّوري) ج3/ص1 إلى ص42؛ *المعرفة والتّاريخ*، ج1/ص295 وص493؛ *المعارف*، ص118 وما بعدها؛ *ذيل المذيّل*، ص505، وص548؛ *الجرح والتّعديل*، ج6/ص210؛ معجم المرزباني، ص101؛ *جمهرة أنساب العرب* لأبي محمّد ابن حزم الظّاهري، ص17 إلى ص37؛ *الاستيعاب*، ص810؛ *الجمع بين رجال الصّحيحين*، ج1/ص360؛ *تهذيب* ابن عساكر، ج7/ص229؛ *صفة الصّفوة*، ج1/ص203؛ *أسد الغابة*، ج3/ص109؛ *تهذيب الأسماء واللّغات*، ج1/ق1/ص257؛ *تاريخ الإسلام*، ج2/ص98؛ *سير أعلام النّبلاء*، ج2/ص78؛ *العبر*، ج1/ص33؛ *البداية والنّهاية*، ج7/ص161؛ *مرآة الجنان*، ج1/ص85؛ *الإصابة*، ج2/ص271؛ *تهذيب التّهذيب*، ج5/ص122؛ *شذرات الذّهب*، ج1/ص38؛ *العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين* لتقيّ الدّين المكّي، ج5/ص93؛ *معجم الرّجال*، ج3/ص247.

[2] في الأصل: **عمروا**.

علم هذا أحدٌ غيري وغيرها، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله". ففدى نفسه، وابنيْ أخيه، وحليفه.

ومثل ذلك: حديث ناقته التي ضلّت، فخرج قومٌ في طلبها، وكان زيد بن اللُّصيت[1] منافقًا، وكان في رحل عمارة بن حزم[2]، وكان عمارة عقبيًّا بدريًّا، وكان عمارة

---

[1] قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– سار حتّى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم، وكان عقبيا بدريا؟ وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقًا. قال ابن هشام: ويقال: ابن لصيب (بالباء). قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللصيت، وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: أليس محمد يزعم أنّه نبيّ، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وعمارة عنده: إنّ رجلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنّه نبيّ، ويزعم أنّه يخبركم بأمر السّماء وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتّى تأتوني بها، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– آنفا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للّذي قال زيد بن لصيت؛ فقال رجل ممَّن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول: إلي عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر، اخرج أي عدو الله من رحلي، فلا تصحبني.

[2] عُمَارَة بن حَزْم بن زَيْد الأَنصاري الخزرجي النجاري: أخو عمرو بن حزم، وأمّهما خالدة بنت أبي أنس بن سِنان، لم يشهدْ أخوه عمرو بن حزم بدْرًا. ولهما أَخٌ ثالث معمر بن حزم الأنصاريّ لا رواية له ومن ولد معمر بن حزم أبو طُوَالة عبد الله بن عبد الرّحمن بن معمر بن حزم الأنصاريّ شيخ مالك بن أنس. كان لعمارة من الولد مالك ولا عَقِب له، وأمّه النَّوار بنت مالك بن صِرْمة وأخو مالك لأمّه يزيد وزيد ابنا ثابت بن الضّحّاك بن زيد. وليس لعمارة عقب. كان من السبعين الذين بايعوا رسول الله –صَلَّى الله عليه وسلّم– ليلة العقبة في قول الجميع، شهد بدْرًا، وأُحُدًا، والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وكانت معه رايةَ بني مالك بن النّجار في غزْوَةِ الفتح، وخرج مع خالد لقتال أهلِ الرّدّة، قال أَبُو حَاتِمٍ: له صحبة. وكان عمارة بن حزم وأسعد بن

جالسًا عند رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فقال: –صلّى الله عليه وسلّم–: "إنّ رجلاً من المنافِقين قد قال: إنّ محمّدًا يزْعم أنّه نبيٌّ، وأنّه يُخبر بأخبار السّماء، وهو لا يدري ناقته أنّى [هي]"؛ فقال–صلّى الله عليه وسلّم–: "والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله، وقد دلّني عليها، هي في وادي كذا من شعْب كذا، قد حبستها شجرة بزمامها"؛ فانطلقوا، فوجدوها هناك. فرجع عمارة إلى أهله، فحدّثهم بذلك، فقال أهله: "زيد بن اللّصيت هو –والله– قال هذا القول". فأقبل عمارة يجافي عنْقه وقال: "والله إنَّ في رحْلي منافقًا داهيةً، والله لا يصْحبني أبدًا!". فأخْرجه من رحْله.

ومن هذا الوجْه أخبار كثيرة، ومنها أمورٌ كان يخْبر أن تكون بعْده، فكانت كما قال.

من ذلك: قوله –صلّى الله عليه وسلّم– في كسْرى وقيْصر لما بعث حِذّافة بن قيس السّهمي بكتابه إلى كسرى. فلمّا وصَل إليه وقرأ كتابه، شقّه وقال: "يكْتب إليَّ بمثل

زُرارة وعوف بن عَفْراء حين أسلموا يكسرون أصنام بني مالك بن النجّار، وآخى رسول الله –صَلَّى الله عليه وسلم–، بين عمارة بن حَزْم ومُحْرز بن نَضْلة. روى أبي بكر محمّد بن عمرو بن حزم: أنَّ النّبيّ –صَلَّى الله عليه وسلم– قال لعُمَارة بن حزم: "اعْرِضْ عَلَيَّ رُقْيَتَكَ"، فلم ير بها بأسًا، فهم يرقون بها إلى اليوم. وهذا مرسل. وروى ابْنُ سَعْدٍ عن الوَاقِدِيِّ بسند له عن أمّ سلمة قالت: كانت الأنصارُ الذين يكثرون إلطاف رسول الله –صَلَّى الله عليه وسلّم–: سعد بن عبادة، وعمارة بن حَزْم، وأبو أيوب، وسعد بن معاذ، لقُرْبِ جوارهم. وروى سعيد بن عمرو بن شُرَحْبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة، قال: وجدْتُ في كتاب سعيد بن سعد بن عبادة أنّ عمارة بن حزم شهد أنَّ النبيَّ –صَلَّى الله عليه وسلّم– قضى باليمن مع الشاهد. وفي رواية ابن قانع، عن سعيد، عن أبيه، عن جده: أن عمارة بن حزم حدثهم، روى عمارة بن حزم أَنّ رسول الله –صَلَّى الله عليه وسلّم– قَالَ: "أَرْبَعٌ مِنْ عَمِلِ هِنَّ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَمَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ لَمْ تَنْفَعْهُ الثَّلَاثُ ."قُلْتُ لِعُمَارَةَ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: الْصَّلَاةُ، وَالْزَّكَاةُ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَالْحَجُّ. روى عمارة بن حزم: رآني رسولُ الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم– جالسًا على قَبْرٍ، فقال: "انْزِلْ مِنَ الْقَبْرِ لَا تُؤْذِ صَاحِبَ القَبْرِ". قُتِلَ عمارةُ باليمامة شهيدًا.

هذا، وهو لي عبدٌ؟!"، وأمَر أن يعطي حذّافة بن قيس كفًّا من تراب. فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-: "مزّق ملْكه وملّكني من أرْضه!"، فكان كما قال.

وكتَب إلى قيصر مع دحية بن خليفة الكلبيّ[1]، فأخذ كتابه ووَضَعه بين فخْذه

---

[1] دحية بن خليفة الكلبي هو سفير رسول الله، -عليه الصّلاة والسّلام-، إلى هرقل ملك الروم وتروي عائشة أن جبريل كان يأتي رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام- في صورة رجل حسن الهيئة يشبه الصّحابي دحية الكلبي. وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرؤ القيس بن الخزرج وهو زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. أسلم دحية بن خليفة قديماً ولم يشهد بدرًا، وكان يشبهه بجبرائيل، وقد تزوّج درة بنت أبي لهب بنت عمّ الرّسول -عليه الصّلاة والسّلام-. قال: أخبرنا يعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى والفضل بن دكين قالوا: حدثنا زكرياء بن أبي زائدة عن عامر الشّعبي قال: شبه رسول الله، ثلاثة نفر من أميّة، فقال: دحية الكلبي يشبه الرسول -عليه الصّلاة والسّلام-، وعروة بن مسعود الثقفي يشبه عيسى بن مريم، وعبد العزى يشبه بالمسيح الدجّال. قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدّثنا أبو عوانة عن مغيرة عن يزيد بن الوليد عن أبي وائل قال: كان دحية الكلبي يشبه النبي -عليه الصّلاة والسّلام-، وكان عروة بن مسعود مثله كمثل صاحب يس وكان عبد العزى ابن قطن يشبه بالدجال. قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن ابن شهاب قال: قال رسول الله : أشبه ما رأيت بالنّبيّ الكريم دحية الكلبي. قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدّثنا حماد بن سلمة بن إسحاق بن سويد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن النّبيّ قال: كان جبرائيل يأتي النبي في صورة دحية الكلبي. قال: أخبرنا خالد بن مخلد قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمّد عن عائشة قالت: وثب رسول الله وثبةً شديدةً فنظرت فإذا معه رجلٌ واقف على برذون وعليه عمامةٌ بيضاء قد سدل طرفها بين كتفيه ورسول الله، واضع يده على معرفة برذونه، فقلت: يا رسول الله لقد راعتني وثبتك، من هذا؟ قال: ورأيته؟ قلت: نعم قال: ومن رأيت؟ قلت: دحية الكلبي قال: ذاك جبرائيل. قال: أخبرنا وكيع بن الجراح عن سفيان بن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد قال: بعث رسول الله، دحية الكلبي سرية وحده. قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن صالح بن كيسان قال :قال ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عبّاس أخبره أنّ رسول الله، كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي وأمره رسول الله أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر. قال محمّد بن عمر: لقيه بحمص فدفع إليه كتاب رسول

وخاصرته، فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "ثبّت ملْكه!"، فكان كما قال.

ومنها: قوله لعليّ[1] –كرّم الله وجهه–: "إنّك تقاتل النّاكثين والمارِقين والفاسِقين"، فقاتل بعْده هذه الفِرَق الثّلاث.

وقوْله في غزوة العشيرة، حين نظر إليه وهو نائمٌ مع عمّار، وقد أصابه من دقعاء التّراب، فوقف عليهما، وأيْقظهما برجْله، وجعَل ينْفض التّراب عن رأس عليّ –كرّم الله وجهه–، ويقول له: "يا أبا تراب! ألا أخبرك بأشْقى النّاس؟". قال: "بلى يا رسول الله!". قال: "رجلان، أحيمر ثمود عاقر النّاقة، والآخر الذي يضربك على هذه، –ووضَع يدَه على هامته– حتّى تبتلّ منها هذه"، وأخذ بلحْيته.

فكان عليّ –كرّم الله وجهه– يقول في أوْقات ملاله أشياء كان يراها من أصحابه، فيضيق صدْره، منها: "ما يمْنع أشقاها أن يُخضّب هذه من هذه".

ومرض مرضًا شديدًا، فقال له أهله: "إنّا نخاف عليك"، فقال: "أنا –والله– ما أخاف على نفسي من مرَضي هذا؛ فقد أعْلمني رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه يقْتلني أشْقى هذه الأمّة".

ومثل هذا: حديث عمّار عند حفر الخنْدق ونظره إليه، وقد أثْقلوه بحمل التّراب، فقال: "يا رسول الله، يقتلونني يحملون عليَّ ما لا أُطيق"؛ فنفض التّراب عن رأسه، ووفرته بيده، وقال : "ويْح ابن سميّة! ليسوا بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئة الباغية"؛ فاستُشْهد بصفّين، وهو مع عليّ –كرّم الله وجهه–.

الله، وذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة. وشهد دحية مع رسول الله المشاهد بعد بدر وبقي إلى خلافة معاوية ابن أبي سفيان.

[1] واسم أبي طالب: عبد المناف بن عبد المطّلب. ويُكنى عليّ أبا الحسن. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هامش بن عبد مناف بن قصيّ. وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم الكبرى. وأمّهم فاطمة بنت الرّسول. لما قُتل عثمان بويع لعليّ بن أبي طالب بالمدينة يوم الجمعة 13 ذي الحجّة من سنة 35 هـ. توفّي مقتولاً بالكوفة في شعبان سنة 38 هـ.

حول ترجمته راجع: *تاريخ الخلفاء* للسّيوطي، ص185 إلى ص211.

وقالوا لعمرو: "ألستَ حدّثْتنا أنّ رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- قال لعمّار: "تقتلك الفئة الباغية؟"؛ فلام معاوية[1] عمرو على ذلك. فقال عمرو: "حدّثتُ النّاس بهذا

---

[1] أبوه: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وابنته هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان. وأبو سفيان من سادات قريش وواحد من ذوي الرأي والحكمة في مكة. أمه: هند بنت عتبة بنت ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي أخت الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة، وتجتمع مع أبو سفيان في عبد مناف بن قصي. ولد معاوية بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة وكان سنه يوم الفتح 23 سنة. وأسلم معاوية يوم فتح مكة وهو من الطلقاء الذين اسْلموا من مسلمة الفتح. تولى قيادة جيش إمداد لأخيه يزيد بن أبي سفيان في خلافة أبو بكر، وأمره أبو بكر بأن يلحق به فكان غازيًا تحت إمرة أخيه، وقاتل المرتدين في معركة اليمامة، ومن بعد ذلك أرسلهُ الخليفة أبو بكر مع أخيهِ يزيد لفتح الشّام وكان معه يوم فتح صيدا وعرقة وجبل وبيروت وهم من سواحل الشام. تولى معاوية بن ابي سفيان ولاية الأردن في الشّام سنة 21 هـ في عهد عمر بن الخطاب. وبعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان من طاعون عمواس، ولاّه عمر ولاية دمشق وما يتبع لها من البلاد، ثمّ جمع له الخليفة عثمان بن عفّان على ولاية الشام كلها، فكان من ولاّة أمصارها. وبعد موت عثمان سنة 35 هـ خرج عن أمر خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب ونادى بأخذ الثأر من قتلة الخليفة عثمان ابن عفان وحرض على قتالهم. وقبل ذلك وقعت موقعة الجمل حيث كانت عائشة بنت أبي بكر زوجة النّبيّ محمّد في جيشا يقاتل خليفة المسلمين آنذاك وكان في قيادة الجيش طلحة بن عبيد الله والزّبير بن العوامّ، وكانوا خرجوا جميعًا لأخذ الثأر من قتلة عثمان، وبعد موقعة الجمل قاد معاوية جيشاً ضدّ خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب وكانت موقعة صفين التي انتهت بالتحكيم الجبري، وبعد مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب تولى الحسن بن علي الخلافة فثار معاوية على الحسن وحاربه؛ فما كان من الحسن إلاّ أن حقن دماء المسلمين وأقام عهدًا مع معاوية ينصّ على أنّ الأمر يعود للمسلمين لاختيار خليفتهم بعد وفاة معاوية وهذا ما لم يحدث، وبموجب ذلك العهد تسلم معاوية الحكم، فأصبح خليفة المسلمين في دمشق عاصمة دولة الخلافة الإسلامية. توفّي في دمشق عن 78 سنة بعدما عهد بالأمر إلى ابنه يزيد بن معاوية ودفن في دمشق وكانت وفاته في رجب

قبْل أن يكون صفّين، وأنا لا أعلم بأنّ صفّين يكون".

ومن ذلك: حديث أبي ذرّة، فإنّه لما خرج إلى تبوك تخلّف عنه قومٌ، فقيل له: "تخلّف فلان وفلان"، فقال: "دَعوهم، فإن يكنْ فيهم خيرٌ يُلحقهم الله بكم". وأبطأ بأبي ذرّ بعيره، فتخلّف؛ ثمّ أخذ متاعه على ظهره ولحقه، فقيل: "يا رسول الله، قد أقْبل رجلٌ"، فقال:" اللّهُمّ، اجْعله أبا ذرّ". فلمّا دنا، قال: "يرحم الله أبا ذرّ! يمشي وحْده، ويموت وحْده، ويُدفَنُ وحْده". فتوفّي بالرّبذة، ولم يكنْ معه غير امرأته وغلامه؛ فوضَعوه على الطّريق؛ فأقْبل رهطٌ من العراق مارًّا، وفيهم ابن مسعود؛ فقال الغلام: "هذا أبو ذرّ أعينونا على دفْنه". فجعل ابن مسعود يبكي ويقول: "صَدَق رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– حيث (قال): "تمْشي وحْدك، وتموت وحْدك، وتُدفن وحْدك".

ومن قوله –صلّى الله عليه وسلّم– لفاطمة[1] (ع): "أنتِ أوّل أهلي لحوقًا بي"؛ فكان كما قال.

فهذا وجْهٌ آخرٌ من أعلامه. ومثلها كثيرة تشاكلها.

منها: أخبارٌ جاءت في وقت الطّعام والشّراب الذي كثّره الله وبارك فيه، حتّى أَكَل منه وشرب قومٌ كثيرٌ، فشبعوا وروووا.

من ذلك: حديث عليّ –كرّم الله وجهه–، قال: "لما أُنْزِلت: ﴿وأَنْذِر عَشِيرَتَكَ الأقربين﴾[2]، قال لي رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "اصْنع لي صاعًا من طعام،

سنة 60 هـ كان خلالها واليًا ل 20 عام وخليفة ل 20 عام أخرى. كان معاوية أوّل مَن أوْصى بالملك لولده من الخلفاء.

[1] هي فاطمة بنت رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. توفّيت بعد الرّسول –عليه السّلام– بستّة أشهر، وقيل بثمانية؛ علمًا بأنّه توفّي –عليه الصّلاة والسّلام– في ضحى يوم الاثنين الثّامن من شهر ربيع الأوّل –وقيل: الثّاني عشر منه– سنة إحدى عشرة من الهجرة.

حول ترجمتها راجع: ابن قنفد، *الوفيّات*، ص9.

[2] سورة الشّعراء (26)، الآية 214.

واجعل عليه رِجل شاة، واملأ لنا عسًّا من لبن"، ففعلتُ. فاجْتمع بنو عبد المطّلب، وهم يومئذ أربعون يزيدون رجلاً أو ينقصون.

ثمّ دَعَا بالطّعام، فتناول جذبة من اللّحم، فشقّها، ثمّ ألْقاها في نواحي الصّحفة، [و]قال: "خُذوا باسْم الله!"؛ فأكلوا حتّى ما لهم بشيء من حاجة، ثمّ قال: "اسْق القوْم"؛ فجئْتهم بالعسّ، فشربوا، حتّى رووا منه. وأيم الله إنّ الرّجل منهم ليأْكل ما قدّمتُ ويشْرب مثل ذلك العسّ.

فلمّا أراد -صلّى الله عليه وسلّم- أن يتكلّم، بَدَرَه أبو لهب فقال: "سحَرنا محمّد!"؛ فتفرّق القوْم، ولم يكلّمهم.

ثمّ قال من الغد: "يا عليّ، إنّ هذا سبقني إلى القوْل، فتفرّق القوْم؛ فاتّخذ لنا من الطّعام مثل ما صنعته". ففعلتُ، ثمّ اجتمعوا؛ ففعَل مثل ما فعل بالأمس؛ فأكلوا وشربوا، حتّى شبعوا ورووا.

ثمّ تكلّم -صلّى الله عليه وسلّم-، فقال: "إنّ الله أمَرني أن أُنْذر عشيرتي الأقربين"، الحديث المشهور.

ومثل ذلك حديث جابر بن عبد الله الجعفي[1] أيّام الخندق، قال: "ذبحتُ شاة غير جدّ سمينة، وأمرتُ بها، فطُبخت، وصُنع خبزٌ من شعير؛ وقلتُ لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "أُحبُّ أن تنْصرف معي إلى منْزلي". قال: "نعم"، وأمَر صارخًا؛ فنادى في الخنْدق: "انصرفوا مع رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– إلى منزل جابر". فقلتُ: "إنّا لله، وإنّا إليه راجعون"؛ فأقْبل –صلّى الله عليه وسلّم– وأقْبل النّاس، وقعد –صلّى الله

---

[1] هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، صحابي جليل من الأنصار، يكنّى أبا عبد الله، وقيل: أبُو عبد الرّحمن، والأوّل أصحّ، شهد العقبة الثّانية مع أبيه وهو صبيّ، وقد كان أصغر من شهد العقبة الثّانية، وقال بعضهم: شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد. وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسّنن، روى عنه محمد بن علي بن الحسين، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير المكّي، وعطاء، ومجاهد، وغيرهم. كما روى جابر بن عبد الله علمًا كثيرًا عن النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– وعن عمر وعلي وأبي بكر وأبي عبيدة ومعاذ بن جبل والزّبير وطائفة، وكان مفتي المدينة في زمانه، شهد ليلة العقبة مع والده، وكان والده من النّقباء البدريين، استشهد يوم أحد، وكان جابر قد أطاع أباه يوم أحد، وقعد لأجل أخواته. وقاتل جابر بن عبد الله مع الرّسول في سبع عشرة غزوة، قال جابر: غزوت مع رسول اللهِ –صلّى الله عليه وسلّم– سبع عشرة غزوة، لم أشهد بدرا ولا أحدا، منعني أبي، فلما قتل يوم أحد، لم أتخلف عن رسول الله –صلّى اللهُ عليه وسلّم– في غزوة قط. وقال الكلبي: شهد جابر أحدا، وقيل: شهد مع النبي –صلّى اللهُ عليه وسلّم– ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه–، وعمي في آخر عمره، وكان يخفي شاربه، وكان يخضب بالصفرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممّن شهد العقبة. وقد استغفر له رسول الله، قال جابر: استغفر لي رسول اللهِ –صلّى اللهُ عليه وسلّم– ليلة البعير خمسًا وعشرين مرة، يعني بقوله ليلة البعير: أنّه باع من رسول الله –صلّى اللهُ عليه وسلّم– بعيرًا، واشترط ظهره إلى المدينة، وكان في غزوة لهم؛ وتوفّي جابر سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين، وصلّى عليه أبان بن عثمان، وكان أمير المدينة، وكان عمر جابر أربعًا وتسعين سنة.

انظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصّحابة؛ سير أعلام النبلاء؛ كتاب الإيمان للقاسم بن سلام؛ المحدث الفاصل بين الرّاوي والواعي للرامه رمزي؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي؛ الأسماء المبهمة في الأسماء المحكمة.

عليه وسلّم- يأْكل ويوردها النّاس، كلّما فرغ قومٌ جاء قومٌ؛ حتّى صدر عنها أهْل الخنْدق، وقد شبعوا، وهم ثلاثة ألف رجل.

ومثل ذلك: حديث ابنة أُخت عبد الله بن رواحة، كانت قد حملتْ تمرًا إلى خالها، وهو يعمل في الخندق؛ فقال لها رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: "هاتيه يا بنيّة!"، فأخذه وهو ملء كفّيْه؛ فدعى بثوْب وبسطه، ثمّ دحى بالتّمر عليه، فسدّد فوق الثّوب. ثمّ أمَر أن يصرخ في أهْل الخندق، وهم ثلاثة ألف، يجيء نَفرٌ وينْصرف آخرون، حتّى صدروا عنه، وبقيتْ على الثّوب بقيّة.

فهذا في باب الطّعام، ومثله أخبار غيرها.

وشبه هذا: فعل المسيح (ع)، كما هو مكتوبٌ في الإنجيل، أنّ المسيح لما سمع بقتْل يوحنّا الصّابغ، انتقل إلى القفر ومعه جمعٌ من المدائن، فرحمهم وأبرأ مرضاهم.

فلمّا كان العشاء، قال له تلاميذه: "المكان قفرٌ، وقد حان أن يسرّح النّاس، فيذهبوا ويشتروا طعامهم"، فقال: "أَطْعِموهم أنتم ما تأكلون". قالوا: "ليس معنا إلاّ خمسة أرغفة وسمكتان!". قال: "ائتوني بها"، وأمَر النّاس أن يتّكئوا رفاقًا، وأخَذ الخبز والسّمكتيْن؛ فبارك عليه، وكسّره، وفرّقه؛ فأكل جميعهم، وشبعوا، وأخذوا فضلة الكسر اثنتيْ عشرة قفّة.

وكان الذين أكلوا: خمسة ألف رجل، سوى النّساء والصّبيان.

فهذا شبيه بما فعَل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في هذا الباب.

وأمّا في باب الماء، فإنّه لما خرج في غزوة الحديبيّة، نزل ثنية المرار، فقيل: "يا رسول الله، ما بالوادي ماء". فنزل عليه، فأخرج سهمًا من كنانته، فأعطاه البراء بن عازب؛ فنزل في قليب من تلك القلب، فغرزه في جوف القليب ناجية بن جندب يميح على النّاس، وهو يقول:

قد علمت جارية يمانيّـــة أنّي أنا المائح واسمي ناجيـــة

ببلغة ذات رشاشة واهيـــة

ومثل ذلك: لما كان بتبوك، أصاب المسلمين العطش، حتّى كادوا يهْلكون؛ فأمر -صلّى الله عليه وسلّم- أن يطلبوا الماء في الرّحال، فأتى بأداوة وأمر، فصُبَّت في إناء، ووضع يده فيها.

قال أنس بن مالك[1]: "فرأينا الماء تخلّل من بين أصابعه، كأنّها عيون، ففاضت؛

[1] وهو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وأمّه: أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، النّجاريّة الخزرجيّة. وكنيته حمزة. كناه الرسول محمد ببقلة كان يجتنيها، ويقال: أبو ثمامة. ومن أشهر إخوته البراء بن مالك وزيد بن مالك ,وكان له أخ من أمّه من أبو طلحة الأنصاري يقال له: أبو عمير، حيث كان النبي محمد يمازحه إذا دخل على أم سليم، فدخل يومًا فوجده حزينًا، فقال: "ما لأبي عمير حزيناً؟ فقالت: يا رسول الله مات نغيره الذي كان يلعب به، فجعل يقول: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟". وُلد قبل الهجرة بعشر سنوات، وكان عمره لما قدم النبي محمد المدينة المنورة مهاجرًا عشر سنين. وتوفّي النّبيّ محمد وهو ابن عشرين سنة. كان يخضب بالصفرة: وقيل: بالحناء، وقيل بالورس، وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، وكانت له ذؤابة فأراد أن يجزها فنهته أمه، وقالت: كان النبي يمدها ويأخذ بها. وداعبه النّبيّ محمد فقال له: "يا ذا الأذنين". قدم دمشق أيّام الوليد بن عبد الملك [6],ثم رحل إلى البصرة، يحدث النّاس، وهو آخر من مات من الصّحابة. توفّي يوم الجمعة في سنة ثلاث وتسعين بعد الهجرة الموافق لعام 712 م, روى عن الرسول محمد 2286 حديثًا ,اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين. عاش أنس بن مالك مع الرّسول أبرز أيّام حياته فكان لخدمة الرّسول محمّد أبلغ الأثر في حياة أنس, نقل من خلالها أنس للمسلمين أخلاق نبيهم في التعامل معه ومع زوجاته ومع مواليه ومع عامة الأمّة, كان الرّسول محمد بالنّسبة لأنس الأب والمربي والقدوة والأسوة الحسنة. وكان أنس حريصًا أشد الحرص في فترة خدمة الرّسول على اقتفاء أثره وحفظ حديثه ومعاملته حتى مع زوجاته. لذلك اكتسب حديث أنس بن مالك أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين حتى حزن كثير من المسلمين لوفاته حتى قال مؤرق العجلي لما مات أنس بن مالك» ذهب اليوم نصف العلم. وكان أنس شديد الإعجاب بشخصية الرّسول محمّد وكان يقول: "كان رسول الله من أحسن النّاس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبيّ". ولم يكن أنس بالنسبة للرسول مجرد خادم ولكنه كان أمين سره ومساعده وتلميذه

وصاحبه ومرافقة وكان يدعو له فيقول: "اللّهمّ أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته". وكان أنس مجاب الدعاء فما دعا لأرض بالمطر إلاّ ثار السّحاب وغشيت الأرض الأمطار حتّى في الصّيف. أبتلي أنس بن مالك في نهاية حياته بمرض البهاق. وضعف جسده حتّى أنّه لم يستطع الصيام فصنع جفنة من ثريد ودعا بثلاثين مسكينًا، فأطعمهم. توفي أنس بن مالك في يوم جمعة من سنة ثلاث وتسعين وهو يقول: لقنوني لا إله إلا الله فلم يزل يقولها حتى قبض. وكان ذلك في البصرة. وكان موته بقصره بالطف، ودفن هناك على فرسخين من البصرة، وصلى عليه صلاة الميت قطن بن مدرك الكلابي. وكان عنده عصية للرّسول محمّد، فمات فدفنت معه بين جيبه وبين قميصه. قال قتاده: "لما مات أنس بن مالك قال مورق: ذهب اليوم نصف العلم، قيل: كيف ذلك يا أبا المعتمر؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعالى إلى من سمعه من النّبيّ".

انظر ترجمته في: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور,127/2؛ أنس بن مالك في قصّة إسلام؛ أسد الغابة، ابن الأثير، 80/1 مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 131/2 الموسوعة العربية العالمية سورة الفتح، الآية 18 تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، 331/1؛ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (368/4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، (2336/5)؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، (365/9)، تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، (364/3) البداية والنهاية، ابن كثير، (353/5) الروض الداني والمعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (100/2) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، (8935/1) المتفق والمفترق، الخطيب البغدادي,(19/1) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، (273/7) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (328/5 مسند الشهاب، محمّد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، (376/1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدّين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، (909/15) تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرّحمن أبو الحجاج المزي، (371/3) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، (129/2) كتاب فضل قيام اللّيل والتهجّد، أبو بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، (14/1) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (428/6) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، (128/2) اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، (96/7) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (364/9) صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، 2-/830 خلاصة الوفا

فرُوِيَ منها العسْكر مع إبلهم وخيلهم".

ولما انْصرف من تبوك، فبلغ وادي المشقّق قال -صلّى الله عليه وسلّم-: "مَن سبقنا إلى الماء، فلا يستقينَ".

فلمّا أتاه، وَقَف عليه، فلم يرَ شيئًا، فقال: "مَن سبق إلى الماء؟"، فقالوا: "فلان وفلان"، فقال:" أوَلمْ أنْهم أن يستقوا؟"؛ فلعنهم، ودَعَا عليهم.

ثمّ نزَل، فوضع يده تحت الوشل، ثمّ مسحه بيده؛ فانْخرق الماء، حتّى سمعوا له حسًّا شديدًا؛ فشرب النّاس، واستقوا حاجتهم؛ فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: "لِتسمعنَّ بهذا الوادي، وهو أخْصب ما بين يديْه وخلْفه". فخضب ذلك الوادي بعد ذلك كما قال.

ومثل هذا فعَل موسى (ع)، كما هو مكْتوبٌ في التّوراة، أنّ بني إسرائيل لما نزلوا بريّة سيناء، ولم يقْدروا على ماء يشْربون؛ وضجّ الشّعب إلى موسى وهارون، فكلّم الربّ موسى، فقال له: "خُذ قضيبًا، واجمع الجماعة أنت وهارون، وتكلّم على الصّخرة باسْمي يجرّ ماؤها". فأخْرج لهم الماء في الصّخرة، فشرب منه الجماعة كلّها ومواشيها.

فهذا في التّوراة وتصديقه في القرآن؛ قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَومُه أَن اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثنتا عَشَرَة عَيْنًا قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[1].

فهذا شبيه بما فعَله محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- في هذا الباب.

ووجْه آخر من أعلامه، وهو دعاؤه على قوْمٍ، فاستجاب الله له فيهم.

ومن ذلك: دعاؤه -عليه السّلام- على مضر حين آذوه وكذّبوه، فقال: "اللّهُمَّ أشددْ وطأتَك على مضر؛ ابعثْ عليهم سنين كسنّي يوسف". فاحْتبسَ عنهم المطر وقحطوا، حتّى جفّ الشّجر والنّبات، وهلك الخفُّ والظّلف، وأكلوا العهن، واشْتووا القدّ.

بأخبار دار المصطفى، السمهودي، 1-/268- سير أعلام النّبلاء، الذهبي، (402/3) الوافي بالوفايات، الصّفدي، (306/3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (284/2).

[1] سورة الأعراف (7)، الآية 160.

ومن ذلك: دعاؤه على عامر بن الطّفيل وأربد بن قيس[1]، كانَا وفدَا إليه عن بني عامر، فطلبَا منه شرائط، ولم يجبْهما إلى ذلك؛ فقال عامر بن الطّفيل: "والله لأملأنّها عليك خيلاً ورَجْلاً"؛ فدَعَا عليهما حين ولَّيَا عنه وقال: "اللّهمّ اكْفني عامرًا، واهْدِ بني عامر".

فلمّا كان ببعْض الطّريق أرْسل الله إلى عامر بن الطُّفيل الطّاعون، فمات في بيت امرأة من بني سلول، وهو يقول: "أُغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية؟!".

وأرْسل الله على أربد بن قيس صاعقة، فأحْرقته.

وفيه يقول لبيد بن ربيعة، وكان أخاه لأمّه:

أخشى على أربد الحتـــوف ولا أرهب نوء السّماك والأســد

فجّعني الرّعد والصّواعق بالـــــ ـفارس يوم الكريهة النّجْــد

فهلكَا في طريقهما، وجاءت بنو عامر، فأسْلمتْ.

ومن ذلك: أنّه بعث نفرًا من أصْحابه إلى إضم، وفيهم مُحلّم بن جثامة؛ فمَرَّ عليهم في طريقهم عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلّم عليهم، فأمسكوا عن أذاه؛ فقام إليه محلّم بن جثامة، فقتله لأمر كان بينهما، وأخذ بعيره ومتاعه.

فلمّا انْصرفوا، أخبروا به رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فرَفع يديْه وقال: "اللّهمّ لا تغفر لمحلّم بن جثّامة!"؛ فما لبث إلاّ قليلاً حتّى مات، فدفنوه، فلفَظتْه الأرض؛ ثمّ أعادوه، فلفَظتْه الأرْض، حتّى فعلوا ذلك ثلاث مرّات، ثمّ واروه بالحجارة. فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: "إنّ الأرْض لتنْطوي على مَن هو أشرّ[2] منه، ولكنّ الله -عزّ وجلّ- أراد أن يعظكم به".

ومن ذلك: دعاؤه على المسْتهزئين، وهم نفرٌ من قريش كانوا يؤذونه ويستهزئون به وبالقرآن، وهم لهب بن أبي لهب، والأسود بن المطّلب، والعاص بن وائل السّهمي،

---

[1] هو أربد بن مقيس بن جزء بن جعفر بن خالد.

انظر: البداية والنهاية/الجزء الخامس/وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن مقيس.

[2] في الأصل: **شر**.

والحارث بن الطّلاطلة[1]؛ كانوا يجْتمعون، فيسْتهزئون. فأوْحَى الله إليه: "أن سلْني فيهم"؛ فوقف حتّى مرَّ عليه لهب بن أبي لهب، فقال: "اللّهُمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك"؛ فأكله الأسد. ومرّ عليه الوليد بن المغيرة، وفي رجله جرح، فأوْمى -صلّى الله عليه وسلّم- إلى رجْله، فانْتقض جرحه حتّى قتله. ومرّ عليه الأسود بن عبد يغوث[2]، فأوْمى إلى بطنه ودعَا

---

[1] هو مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن عبسان، واسمه الحارث بن عمرو بن مزيقياء كان من المستهزئين وكان سفيها، فدعى عليه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- واستعاذ بالله من شره فعصر جبريل عليه السلام بطنه حتى خرج خلاه من بطنه فمات وقيل: بل أشار إليه فامتخض رأسه قبحا، وقتل به عمرو بن الطلاطلة، وهو باطل. وقيل: الحارث بن الطلاطلة وليس بشئ، وهم يغلطون بابن الغيطلة وابن الطلاطلة فيجعلون هذا ذلك، وذاك هذا. قاله ابن الكلبي. وقيل: إن المستهزئين ماتوا في وقت واحد، وما تقدّم ذكره أثبت.

[2] هو الأسود بن خلف بن عبد يغوث القرشي كذا نسبه البخاري في ترجمته وفي ترجمة ابنه محمد وقال ابن السكن يقال أنه من بني جمح ورجحه ابن عبد البر وتعقب ذلك بن الأثير بأنه ليس في بني جمح أحد اسمه عبد يغوث. وقال ابن منده: هو زهري وقال العسكري قال مطين: هو قرشيّ أسلم يوم الفتح وعبد يغوث هو ابن وهب بن زهرة. وكان له ابن يُقال له الأسود بن عبد يغوث وكان أحد المستهزئين ومات على كفره وكان الأسود بن خلف يسمى باسم عمه والله أعلم. وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا بن جريج قال :أخبرني ابن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أبا الأسود رأى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يبايع النّاس عند قرن مصقلة وأخرجه الحاكم من رواية بن جريج وقال فيه أنّ آباه حدّثه أنّه رأى قال البغوي وابن السكن: لم يحدّث به غير بن جريج. وروى البغوي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم بهذا الإسناد أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أخذ حسنًا فقبله وقال: "إنّ الولد مبخلة مجبنة". قال البغوي وابن السكن والدارقطني: تفرّد به معمر، وقال البغوي وابن السكن: ليس للأسود غير هذين الحديثين انتهى. وقد وجدت له ثالثا أخرجه البزار: عن بشر بن معاذ عن فضيل بن سليما عن ابن خثيم عن محمد بن خلف عن أبيه أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أمَره أن يجدّد أنصاب الحرم وأخرجه الطبراني عن البزار وله رابع قال البخاري في تاريخه: حدّثنا معلي حدثنا وهيب عن ابن خثيم حدثني محمّد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث عن أبيه إنهم وجدوا كتابًا أسفل المقام فدعت قريش رجلاً من حمير فقال إنّ فيه لحرفا لو أحد ثكموه لقتلتموني قال فظننا أن فيه ذكر محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- فكتمناه. لأسود بن خلف بن عبد يغوث القرشي كذا نسبه البخاري في ترجمته وفي ترجمة ابنه محمد

عليه، فسُقي ومات. ومرّ عليه الأسود بن المطّلب[1]، فرماه بورقة في وجهه وقال: "اللّهمّ

وقال ابن السكن يقال أنّه من بني جمح ورجحه ابن عبد البر وتعقب ذلك بن الأثير بأنه ليس في بني جمح أحد اسمه عبد يغوث. وقال ابن منده: هو زهري وقال العسكري قال مطين: هو قرشي أسلم يوم الفتح وعبد يغوث هو ابن وهب بن زهرة وكان له ابن يقال له الأسود بن عبد يغوث. وكان أحد المستهزئين. ومات على كفره. وكان الأسود بن خلف يسمى باسم عمّه والله أعلم. وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا بن جريج قال: أخبرني ابن خثيم أنّ محمّد بن الأسود بن خلف أخبره أنّ أبا الأسود رأى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يبايع النّاس عند قرن مصقلة وأخرجه الحاكم من رواية بن جريج وقال فيه أن آباه حدثه أنّه رأى قال البغوي وابن السّكن: لم يحدث به غير بن جريج وروى البغوي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم بهذا الإسناد أن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أخذ حسناً فقبله وقال: "إنّ الولد مبخلة مجبنة". ''قال البغوي وابن السكن والدّارقطني: تفرد به معمر وقال البغوي وابن السكن: ليس للأسود غير هذين الحديثين انتهى. وقد وجدت له ثالثا أخرجه البزار: عن بشر بن معاذ عن فضيل بن سليما عن ابن خثيم عن محمد بن خلف عن أبيه أن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أمره أن يجدد انصاب الحرم وأخرجه الطبراني عن البزار وله رابع. قال البخاري في تاريخه: حدّثنا معلي حدّثنا وهيب عن ابن خثيم حدّثني محمّد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث عن أبيه إنّهم وجدوا كتابًا أسفل المقام فدعت قريش رجلاً من حمير فقال إن فيه لحرفا لو أحد ثكموه لقتلتموني قال فظننّا أنّ فيه ذكر محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، فكتمناه.

[1] كان الأسود من المستهزئين، وكان يكنى: أبا زمعة، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه، ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ثم يمكون ويصفرون، وكلم رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– بكلام شق عليه. فدعا عليه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أن يعمي الله بصره ويثكله ولده .فخرج يستقبل ابنه. وقد قدم من الشّام، فلمّا كان في بعض طريقه، جلس في ظل شجرة. فجعل جبريل –عليه السّلام– يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها خضراء، وبشوك من شوكها، حتّى عمي .ويقال: إنّ جبريل –عليه السّلام– أومأ إلى عينيه، فعمي، فشغل عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأسود، ويكنى: أبا حكيمة، قتله أبو دجانة. ويقال: ثابت بن الجذع. وقتل ابنه عقيل أيضا، قتله حمزة وعليّ –رضي الله تعالى عنهما–، اشتركا فيه. ويقال: قتله علي وحده. وقتل الحارث بن زمعة بن الأسود، قتله علي. وقوم يقولون: والحارث بن الأسود نفسه، والأوّل أثبت. وكان الأسود بن

اعْم بصره، واثكله ولده"، ففعل الله ذلك به. ومَرّ عليه العاص بن وائل السّهمي، فأشار إلى رِجله ودعَا عليه، فدخلت الشّوكة في أخمصه، فقتلته.

ومرّ عليه الحارث بن الطّلاطلة، فأوْمى إليه ودعَا عليه، فجعل يتقيّأ قيحًا، حتّى هلك: فأنزل الله -عزّ وجلّ-: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ المسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ الله إِلهًا آخَرَ فَسَوفَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ووجهٌ آخر من إعلامه: أمورٌ نطَق بها القرآن قبْل أن حدثت، ثمّ حدثت وصحّت، وظهر صدْق ما أنْزل الله على لسانه -صلّى الله عليه وسلّم-.

فمنْها ما صحّت في حياته، ومنها ما صحّت بعد وفاته.

المطلب، يقول: دعوت على محمد أن يكون طريدا في غير قومه وبلده. واستجيب لي. ودعا علي بعمى عيني، فعميت، وأن أثكل ولدي، فثكلتهم. قال الواقدي: ومات الأسود بمكة، وهم يتجهّزون لأحد، وهو يذمرهم، أي: يحثّهم، ويشجعهم في مرضه، وقد قارب المائة. وكان أهل مكّة، لما قتل منهم من قتل منهم ببدر، تركوا البكاء على قتلاهم، كراهة أن يبلغ المسلمين جزعهم فيشمتوا بهم، فسمع الأسود بكاء، فسأل عنه، فقيل: امرأة ضل لها بعير، فهي تبكي عليه. فقال: أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تصاعرت الخدود فبكي إن بكيت على عقيل وبكي حارثا أسد الأسود وبكيهم ولا تسمّي جميعًا وما لأبي حكيمة من نديد على بدر سراة بني هصيص ومخزوم ورهط أبي الوليد ألا قد ساد بعدها رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا قال: وكان الأسود يجلس، ومعه قوم من المشركين، فيقولون: ما ندري ما جاء به محمّد؟ ما هو إلى سجع كسجع الكهان. فنزلت فيهم: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ (سورة الحجر آية 91)، أي: عضة عضة. ويقال: إن الآية نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا ببعضه وكفروا ببعض. والأثبت أنّها نزلت في كفّار قريش. وكانوا يسألون عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فيقول بعضهم: مجنون، ويقول بعضهم: ساحر، ويقول بعضهم: شاعر، ويتحدّثون عليه ويصدّون النّاس عنه. فأنزل الله -عزّ وجلّ- ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (سورة العنكبوت آية 13). يقول: "أوزار من يصدونه عن الإسلام". وذكر رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عاقر النّاقة، فقال: "كان عزيزا منيعا ، كان كأبي زمعة الأسود بن المطلب فيكم". وكان يقال لأبي زمعة بن الأسود: زاد الراكب.

[1] سورة الحجر (15)، الآيتان 95-96.

من ذلك: فتْح مكّة، وصلْح الحديبيّة. وقد كان الله –عزّ وجلّ– بشّر بأن يفتح عليه مكّة، حتّى يدخل هو وأصحابه والمسلمون مكّة آمنين، محلّقين رؤوسهم، ومقصّرين حاجّين ومُعتمِرين لا يخافون؛ فقال –جلّ ذكْره–: ﴿لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسُولَه الرّؤيا بالحقّ لتَدْخُلنَّ المِسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاء الله آمنين مُحَلِّقين رُؤُوسكم ومُقَصّرين لا تخافون فَعَلِمَ مَا لَمَ تَعلَمُوا فجَعَلَ مِنْ دون ذَلِكَ فتْحًا قريبًا﴾[1].

فسهَّل الله له صلح الحديبيّة، وفتَح له بعد ذلك مكّة، وأنْجز وعْده.

فلمّا فتَحها، دخل الكعْبة، وأخذ بعضادتيْ الباب، وأمَر بالصُّور التي كانت في الكعبة فطُلست، وبالأصنام فكُسّرت. وقال: "الحمد لله وحْده، أنْجز وعْده، ونصَر عبْده، وهزَم الأحزاب وحْده".

فإن قال قائلٌ: فلِمَا اسْتثنى في هذه الآية حين قال: "لتدخلنّ المسْجد الحرام –إن شاء الله– آمنين"، فإنّ الاسْتثناء في أشياء يقع فيها الشّك؛ فقد احْتجّ الملحِدون بذلك.

قلنا: لم يشكّ في أنّ الله ينجز له ما وعَده، ولم يكن استثناؤه لذلك، ولكنّه –عزّ وجلّ– كان أدّبه أن لا يقول لشيء إنّه يفعل حتّى يستثني فيه.

وذلك أنّ المشركين كانوا سألوه عن قصّة أصحاب الكهْف، فقال: "أُخبِركم بها غدًا"، ولم يسْتثنِ؛ فانْقطَع عنه الوحْي أربعين يومًا، حتّى قال المشرِكون: "قد قلاه صاحبه وودّعه"، يعنون به: جبرائيل –عليه السّلام–. فأنزل الله –عزّ وجلّ– بعد ذلك: ﴿ما ودّعك ربُكَ ومَا قَلَى﴾[2]، وأنْزل عليه "سورة الكهف"، وقصَّ عليه نبأ الفِتْيَة؛ ثمّ قال له بعْد تمام القصّة: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله﴾[3]، فأدَّبه بذلك. فكان لا يقول بعد ذلك لشيْءٍ أن يكون إلاّ ويسْتثني فيه.

---

[1] سورة الفتح (48)، الآية 27.

[2] سورة الضّحى (93)، الآية 3.

[3] سورة الكهف (18)، الآية 23.

ونزَلت "سورة الكهف" قبيل الهجرة بمكّة، ونزلت "سورة الفتح" بعد الهجرة بالمدينة؛ فلذلك اسْتثنى.

وكان نزل أيضًا في فتح مكّة: ﴿إِنّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآن لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[1]، فوعده –عزّ وجلّ– أن يرُدّه إلى مكّة عوْدًا بعد بدْء ويفْتحها عليه؛ ونزل به القرآن، فأنْجز الله وعْده.

فهذا ما كان في حياته.

ومن ذلك: أنّ فارس غلبت الرّوم على مملكة الجزيرة، فسُرَّت قريش بذلك مخالفة لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وحزن –عليه السّلام– وأصحابه لميْلهم إلى الرّوم، لأنّ هرقل قبلَ كتاب رسول الله وكسرى مزّقه؛ فأنزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿أَلَمَ غُلِبَت الرّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون فِي بِضْعِ سِنِينِ﴾[2]؛ فجاءت الرّوم، وغلبت فارس بعد سبع سنين، وحقَّق الله قوله، وسُرَّ المؤمنون بذلك.

فهذا ما نزل في القرآن قبل أن كان ثمّ صحّ بعد ذلك، وهذا في حياته –صلّى الله عليه وسلّم–.

ومن ذلك: قوله –عزّ وجلّ–: ﴿وَعَد الله الذين آمنوا منكم وعَمِلوا الصّالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض كما استَخْلَفَ الّذين من قبلهم وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهم الذي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوفِهم أَمِنًا يعْبدُونَنِي لا يُشْرِكُون بي شيئًا﴾[3]؛ فحقّق الله قوله، فاسْتخْلَفهم في حياته، وأهْلك أعدائهم، ومكَّن لهم في دارِهم في حياته –صلّى الله عليه وسلّم–، حتّى عبدوا الله، وأقاموا شرائع الإسلام؛ وأباد أهلَ الشّرك. هذا قبْل أن مكَّن أهل الإسلام في الأرض، وفتَح عليهم هذه الفتوح.

---

[1] سورة القصص (28)، الآية 85.

[2] سورة الرّوم (30)، الآيات 1 إلى 4.

[3] سورة النّور (24)، الآية 55.

ومن ذلك: ما وعَده الله أن ينصره[1] على قريش ببدْر، وأنزل عليه في قوله –عزّ وجلّ–: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمعُ ويُوَلُّون الدّبر﴾[2]. وذلك أنّ أبا جهل قال: "نحن أكثر منه جمعًا، وعدّة، وعتادًا، وأقوى قوّة؛ لأنّهم كانوا يزيدون على ألفٍ في خيْل، وسلاح، وشوكة شديدة.

وكان أصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس معه إلاّ فرس المقداد بن الأسود، وفرس الزّبير بن العوّام[3]، كانوا يركبون المطايا، وكانوا خرجوا يطلبون عير قريش، وفيها الأموال؛ فاجتمعت قريش تنصر بعضها بعضًا.

وكان أصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يودُّون أن يظفروا بالعير، ويأخذوا الأموال. فلمّا فاتتْهم العير وجاءت قريش بشوْكتها هالهم ذلك، فنزل جبرائيل

---

[1] في الأصل: ينصر.

[2] سورة القمر (54)، الآية 45.

[3] هو الزّبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والعوامّ. وعمّته هي أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد. أمّه الصحابية الجليلة: صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي عمة رسول الله وشقيقة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطّلب. كان من المهاجرين بدينهم إلى الحبشة، تزوّج أسماء بنت أبي بكر وهاجرا إلى المدينة، فولدت له أوّل مولود للمسلمين في المدينة عبد الله بن الزّبير، ثمّ مصعب بن الزّبير. يعرف الزّبير بن العوام بحواري الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–، كما أن الزبير يعتبر أحد العشرة المبشّرين بالجنّة. قتله غدرا رجل يدعى عمرو بن جرموز، فقد طعنه في ظهره وهو يصلّي. وقد توعد النّبي قاتله بالنّار. وقد دفن الزّبير في أطراف البصرة في موضع يسمى اليوم باسْمه. دُمّر ضريح الزّبير بن العوام بعد هجوم دموي على منطقة البصرة جنوب العراق، وقد تمت إعادة بناء الضريح بعد قيام الدولة العراقية الحديثة وفي عام 2007 م.

انظر ترجمته في: سيرة ابن هشام؛ غريب تفرد به البخاري؛ تاريخ العراق بين الاحتلالين – عباس العزاوي، بغداد 1954، الطبعة المنقحة, عام 1963 ج 6, ص161.

(ع) بهذه الآية، وأنْزل أيضًا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بإذنِ الله واللهُ مَعَ الصَّابرين﴾[1]؛ فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه: "إنّ الله قد بشّرني أن ينصّرني عليهم، ووعدَني إحدى الطّائفتيْن: إمّا العير، وإمّا الظّفر بقريْش؛ وقد فاتت العير، وجاءكم جبرائيل (ع) بالنّصر، وقد عرّفني مصارع القوم".

ووَقَف –صلّى الله عليه وسلّم– على مصارعهم[2]، وقال لأصحابه: "هذا مصْرع فلان، وهذا مصْرع فلان"؛ فعرّفهم مصارعهم رَجلاً رجلاً.

فأظْفره الله –عزّ وجلّ– بهم، ولم يخالف أحدٌ مصْرَعه، وحقَّق قوله، وصدق وَعْده؛ ثمّ نزلت: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمْ الله إِحْدَى الطَّائِفَتَيْن أَنَّهَا لَكُمْ وتَوَدُّون أَنْ غَيْرَ ذاتِ الشّوكةِ تكونُ لَكُمْ ويُريدون اللهُ أنْ يُحَقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرِ الكَافِرِين﴾[3]؛ فحقّق الله قوله، وقطع دابرهم، وقتل فُرسانهم وصناديدهم، وأسّر رؤسائهم وعظمائهم، وانْتقم الله منهم ببطْشه.

وأنْزل أيضًا: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[4]، ونزلت: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ الله وَعْدَهُ إِذْ تَحِسُونَهُمْ بِإذنه حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ﴾[5] إلى قوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخرة﴾[6].

وذلك أنّ كثيرًا منهم كانوا يودّون أن يأخذوا الأموال التي في العير بغير حرب، وكثيرًا منهم رضوا بما اختار الله لهم، فنزلتْ أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِين يُحادُّونَ اللهَ ورَسُوله أُولئك في الأذلين كَتَبَ الله لأغلبنَّ أنا ورُسُلي إِنَّ الله قويٌّ عزيز﴾[7].

---

[1] سورة البقرة (2)، الآية 249.

[2] في الأصل: **مصراعهم**.

[3] سورة الأنفال (8)، الآية 7.

[4] سورة الدّخان (44)، الآية 16.

[5] سورة آل عمران (3)، الآية 152.

[6] سورة آل عمران (3)، الآية 152.

[7] سورة المجادلة (58)، الآيتان 20–21.

فهذا نزَل به القرآن قبل أن كان قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُولّون الدّبر﴾[1]. والآية تدلُّ على أنّها نزلت قبل هذه القصّة؛ لأنّ قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجمعُ﴾[2]. هذه السّين تكون للمستقبل لا للماضي. وكذلك السّين التي في الآية قصّة الرّوم: ﴿سَيَغْلَبُونَ في بِضْعِ سنينِ﴾[3] تدلُّ على المسْتقبل.

ونزَلت هذه الآيات بهذه الأنباء قبل أن كانت، ثمّ كانت من بعد ذلك وصحَّت.

وهذا القرْآن ينطق إلاّ جاهلٌ عديم العقْل.

ومثل مَن ينكر هذه القصص مثْل شيْخ كان يقول بالإرجاء والنّصب، وكان جاهلاً، قال لي يومًا: "ما رأيتُ أكْذب من الرّافضة[4]، يزْعمون أنّ طلحة[5] والزّبير[6] أخْرجَا

---

[1] سورة القمر (54)، الآية 45.

[2] سورة القمر (54)، الآية 45.

[3] سورة الرّوم (30)، الآيتان 3-4.

[4] أو الرّوافض. وإنّما سمّوا بالرّوافض لأنّ زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره في أبي بكر، فمنعهم من ذلك فرفضوه، ولم يبق معه إلاّ مائتا فارس. فقال لهم -أي زيد بن عليّ-: "رفضتموني"، قالوا: "نعم"، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم أربع طوائف: الزّيديّة، الإماميّة، الكيسانيّة، الغالية. وفي *مقالات الإسلاميّين* للإمام الأشعري: سمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- نصّ على استخلاف عليّ بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأنّ أكثر الصّحابة ضلّوا بتركهم الإقتداء به بعد وفاة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وأنّ الإمامة لا تكون إلاّ بنصّ وتوقيف، وأنّها قرابة، وأنّه جائز للإمام في حال التّقيّة أن يقول إنّه ليس بإمام... (ص17 من طبعة ريتر). وفي *تاج العروس* للزّبيدي: فرق من الشّيعة. قال الأصمعي: سمّوا بذلك لأنّهم تركوا زيد بن عليّ، كذا نصّ الصّحاح. وفي *اللّسان والعباب* قال الأصمعي: كانوا بايعوا زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -رحمهم الله تعالى-، ثمّ قالوا له: "تبرّأ -وفي بعض النّصوص: اِبرأ- من الشّيخين نقاتل معك"، فأبى وقال : "كانا وزيريْ جدّي -صلّى الله عليه وسلّم-، فلا أبرأ منهما"، وفي بعض النّسخ: "أنا مع وزيريْ جدّي"، فتركوه وأرفضوا عنه... فسمّوا رافضة... (ج5/ص34). وفي *فرق الشّيعة* للنّوبختي: لما توفّي أبو جعفر -عليه السّلام- افترقت أصحابه فرقتين: فرقة منهما

قالت بإمامة محمّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، الخارج بالمدينة المقتول بها؛ وزعموا أنّه القائم، وأنّه الإمام المهدي، وأنّه قُتل؛ وقالوا إنّه حيّ لم يمت، مقيم بجبل يُقال له العلميّة... وكان المغيرة بن سعيد قال بهذا القول لما توفّي أبو جعفر محمّد بن عليّ وأظهر المقالة بذلك، فبرئت منه الشّيعة أصحاب عبد الله جعفر بن محمّد –عليهما السّلام– ورفضوه، فزعم أنّهم رافضة، وأنّه هو الذي سمّاهم بهذا الاسم..." (ص62–ص63). ويستعمل الأشعري والبغدادي والإسفراييني والملطي لفظ الرّوافض بالمعنى العامّ للفظ الشّيعة، ويعدّون من فرقتهم الزّيديّة والإماميّة والكيسانيّة وغلاة... وهكذا يكون معنى رافضة وأسباب تسميتهم بها يدور على عدّة تفسيرات: الأولى: رفض زيد أن يتبرّأ من الشّيخين، وهو يعني أنّ الرّافضة هم الزّيديّة، ولعلّه أطْلق على الشّيعة عمومًا هذا اللّقب من باب إطلاق الجزء على الكلّ (رأي الرّازي، وقد سبق أن ذكره الأشعري في *المقالات*). الثّانية: أنّهم سمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر (رأي الأشعري). الثّالثة: أنّ الذين سمّوا رافضة هم فرقة من الشّيعة (رأي النّوبختي). وقد نُقل عن الطّبري أنّ الشّيعة سمّوا بالكوفة بالرّافضة لكونهم رفضوا زيد بن عليّ.

انظر أيضا مادّة رافضة في *موسوعة الإسلام المختصرة*، ص466.

[5] أبوه: عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أمّه: الصعبة بنت الحضرمي بن عبدة بن ضماد بن مالك من بني الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت وهي أخت الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي. قال أبو عبد الله بن منده : كان رجلا آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط حسن الوجه إذا مشى أسرع ولا يغير شعره. وعن موسى بن طلحة قال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة مربوعا إلى القصر هو أقرب رحب الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم القدمين إذا التفت التفت جميعا. كان طلحة في تجارة بأرض بصرى حين لقي راهبا من خيار رهبانها، وأنبأه أن النبي الموعود سيخرج في مكة، والذي تنبأ به الأنبياء وقد هل عصرة وأشرقت أيّامه. ولم يرد طلحة أن بفوته هذ الموكب، فإنه موكب الهدي والرّحمة والخلاص, وحين عاد طلحة إلى مكة بعد شهور قضاها في بصرى وفي السفر، فكلما يلتقي بأحد أو بجماعة منهم يسمعهم يتحدثون عن محمد الأمين, وعن الوحي الذي يأتيه, وعن الرسالة التي يحْملها إلى العرب خاصّة، وإلى النّاس كافّة. وسأل طلحة أوّل ما سأل عن أبي بكر الصدّيق فعلم أنه عاد مع قافلته وتجارته من وقت قريب، وأنه يقف إلى جوار محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– مؤمنًا أوابا. وحدّث طلحة نفسه: محمّد، وأبو بكر؟؟ تالله لا يجتمع الإثنان على ضلالة أبدا ولقد بلغ محمد

الأربعين من عمره، وما عهدنا عليه خلال هذا العمر كذبة واحدة. أفيكذب اليوم على الله، ويقول: إنّه أرسلني وأرسل إلي وحيًا...؟؟ فهذا هو الذي يصعب تصديقه. وأسرع طلحة الخطى إلى دار أبي بكر، ولم يطل بينهم الحديث، فقد كان شوقه إلى لقاء الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– ومبياعته أسرع من دقّات قلبه. فصحبه أبو بكر إلى الرسول –عليه الصّلاة والسّلام–، حيث أسْلم وأخذ مكانه في القافلة المباركة, وهكذا كان طلحة من السّابقين الأوّلين المبكّرين للإسلام. كناه رسول الله محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– عدّة كنى: هو صقر أحد. في غزوة أحد كناه بطلحة الخير. في غزوة ذي العشيرة كناه بطلحة الفياض. في غزوة خيبر كناه بطلحة الجود. المشهور عند المحققين هو أن مروان بن الحكم قتل طلحة يوم الجمل. روي عن علقمة بن وقاص اللّيثي قال: لما خرج طلحة والزّبير وعائشة للطلب بدم عثمان عرجوا عن منصرفهم بذات عرق، فاستصغروا عروة بن الزّبير وأبا بكر بن عبد الرّحمن فردّوهما. قال: ورأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أحلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: "يا أبا محمّد، إنّي أراك وأحبّ المجالس إليك أحلاها. إن كنتَ تكره هذا الأمر، فدعْه". فقال: يا علقمة لا تلمني كنا أمس يدا واحدة على من سوانا فأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدنا إلى صاحبه ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي وطلب دمه. قلت الذي كان منه في حق عثمان تأليب فعله باجتهاد ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان فندم على ترك نصرته ما، وكان طلحة أول من بايع عليًّا أرهقه قتلة عثمان وأحضروه حتى بايع، قال البخاري حدّثنا موسى بن أعين حدثنا أبو عوانة عن حصين في حديث عمرو بن جاوان قال: التقى القوم يوم الجمل فقام كعب بن سور معه المصحف فنشره بين الفريقين وناشدهم الله والإسلام في دمائهم فما زال حتّى قتل وكان طلحة أوّل قتيل وذهب الزبير ليلحق ببنيه فقتل. قال ابن سعد: أخبرني من سمع إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: قال طلحة إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم أمثل من أن نبذل دماءنا فيه اللّهم خذ لعثمان مني اليوم حتّى ترضى. وروي عن وكيع :حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في ركبته فما زال ينسح حتّى مات. وروي عن عبد الله بن إدريس عن ليث عن طلحة بن مصرف أن عليا انتهى إلى طلحة وقد مات فنزل عن دابته وأجلسه ومسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وروى زيد بن أبي أنيسة عن الأنصار عن أبيه أنّ عليًّا قال: بشّروا قاتل طلحة بالنّار. وكان قتله سنة ست وثلاثين في جمادى الآخرة وقيل في رجب وهو ابن ثنتين وستّين سنة أو نحوها وقبره بظاهر البصرة.

عائشة[1] إلى البصرة، وأنّها ركبت الجمل، وحاربت عليًّا بن أبي طالب. قلتُ له: "فما تقول في هذا؟". قال: "هذا حديثٌ وضعه الرّافضة، وهو كذبٌ ليس له أصلٌ".

وكذلك مَن ينْكر هذه القصص ويدْفعها، ويزْعم أنّها لم تكن، فقد ردَّ العيان. وإن أنْكر الآيات التي هي في القرآن، فهو أيضًا ردٌّ للعيان.

ومثال الملحِد في ردّ هذه الأعلام مثال هذا الشّيخ الذي قد ذكرْناه في ردّ ما هو مثل العيان ولا مرية فيه؛ لأنّها أعلام نطق بها القرآن قبل أن كانت، ثمّ كانت بعد ذلك.

ووجْهٌ آخر من أعلامه ممّا جاءت في القرآن، منها: حديث الإسراء، والبُراق، والمعراج، وما أراه الله –عزّ وجلّ– من ملكوت السّماوات والأرض في ليلة الإسراء. فلمّا أصبح حدثّ به النّاس. فأنزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿سُبحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من المسْجدِ الحرام إلى المسْجد الأقْصى الذي باركنا حولَه لِنُريه من آياتنا إنّه هو السّميع البصير﴾[2]؛ فقالت العرب: "ما سمعْنا مثل هذا".

انظر ترجمته في: سيرة ابن هشام .ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. محمّد بن طلحة بن عبيد الله سير أعلام النبلاء .ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. تفسير ابن كثير، سورة الممتحنة، تفسير الآية.10. تقريب التّهذيب، ص 765، ترجمة رقم: 8606 رجال حول الرسول – خالد محمد خالد. طلحة بن عبيد الله من كتاب سير أعلام النّبلاء – الذهبي.

[6] هو الزّبير بن العوامّ، أحد الصّحابة العشرة. توفّي في سنة ستّ وثلاثين، وسنّه وستّون سنة. حول ترجمته راجع: ابن قنفد، *الوفيّات*، ص10.

[1] هي عائشة بنت أبي بكر الصدّيق. تزوّجها الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– قبل الهجرة بثلاث سنين. وكان لها يوم تزوّجها ستّ سنين، فكان لها عند موته ثمان عشرة سنة. وتوفّيت هي في خلافة معاوية سنة 58 هـ.، ولها 67 سنة، ودُفنت بالبقيع.

حول ترجمتها راجع: *طبقات* ابن سعد، ج8/ص58؛ *الاستيعاب* لأبي عمر بن عبد البرّ، ص1881؛ *أسد الغابة* لعزّ الدّين ابن الأثير الجزري، ج5/ص501؛ *الإصابة* لابن حجر العسقلاني، ج8/ص139؛ *حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصفهاني، ج2/ص43؛ *تهذيب التّهذيب*، ج12/ص433؛ *صفة الصّفوة* لابن الجوزي، ج2/ص6.

[2] سورة الإسراء (17)، الآية 1.

وكانوا يسْألونه عن صفة بيت المقْدس، فجعل يصفه لهم، ثمّ قال: "إنّي مررتُ بعير بني فلان بوادي كذا، وأنا متوجّه إلى المسْجد الأقْصى، فأنْفرها حسُّ الدّابة، فندّ لهم بعير، فدلّلتهم عليه.

فلمّا أقبلتُ، مررتُ بعير بني فلان، فوجدتُ القوم نيامًا ولهم إناءٌ فيه ماء قد غطّوه؛ فكشفتُ غطاءه، وشربتُ ما فيه، وغطّيتُ عليه كما كان".

وآية ذلك: أنّ بعيرهم الآن يصوب من البيضاء ثنيّة التّنعيم، يقدّمها جمل أورق عليه غرارتان: إحداهما[1] سوداء، والأخرى برقاء. فابْتدر القوم الثّنيّة، فأوّل ما لقيهم: الجمل كما وصَفه. وسألوهم عن الإناء، فأخبروهم أنّهم وضعوه مملوءًا وغطّوا عليه، وأنّهم لما هبّوا، وجدوه فارغًا مغطّى. وسألوا القوْم الآخرين، وهم بمكّة، عن خبر البعير الذي ندّ لهم، فقالوا: "ندّ لنا بعير، فسمعْنا صوت رجل يدعونا إليه، فأخذناه". فهذه من دلالاته التي نطَق بها القرآن.

ولما نزل ذلك، سمعه المشرِكون، وسمعوا هذه القصّة، وطالبوه بذلك؛ فكان حديثها ما ذكرناه، والقرآن ينطق بأنّ ذلك كان بمحْضر منهم.

ومن ذلك: حديث انْشقاق القمر. وذلك أنّ أبا جهل قال لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "إن كنتَ نبيًّا، فأْتِ بآية، كما أتتْ بها الرّسل لنؤمن لك، فأْتِ بآية من السّماء لا من الأرْض!". فدعا –صلّى الله عليه وسلّم– ربّه، فانْشقّ القمر والْتقى طرفاه على جبل أبي قبيس. فقال أبو جهل: "يا معشر قريش، إنّ محمّدًا قد سحَر القمر، فانظروا مَن يُقدَّم عليكم من النّواحي هل رأوا ما رأيتم؟". فكان مَن يُقدَّم عليهم يحدّثهم بانْشقاق القمر. فقال أبو جهل: "هذا سحرٌ ذاهبٌ في الدّنيا!". فأنْزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشقَّ القَمَرُ وإِنْ يَرَوْا آية يُعرِضُون ويقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[2].

---

[1] في الأصل: **أحدهما**.

[2] سورة القمر (54)، الآية 1.

فهذا ما نطق به القرآن، ولو لم يكن ذلك لطالبوه، ولقالوا: "أين هذا الذي تدّعي من انْشقاق القمر؟"، ولكنّهم شاهدوه ورأوه. ويصحّح ذلك قوله: ﴿وإِنْ يَروا آيةٌ يُعْرِضوا وَيَقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾[1].

فهذا يدلّ أنّه قد كان، وأنّهم قالوا إنّه سحْرٌ مُستمِرٌّ لما رأوه مُنشقًّا؛ وقالوا عند ذلك: "هو من السّحْر، هذا سحْرٌ من سِحْره وحيلة من حيله".

وهذه القصّة كانت بمكّة قبل الهجرة، وأعداؤه متوافرون يتطلّبون عليه العثرات. وهذه السّورة مكّية، والقرآن لا يقع فيه تغيير، وتبديل، وزيادة، [و]نقْصان؛ وليْست سبيله سبيل الخبر الذي ادّعى الملحِد أنّه نقله واحدٌ واثنان وثلاثة، وأنّه يجوز عليه التّواطؤ؛ لأنّ الذي نزَل به القرآن سمعه الكافِرون، كما سمعه المسلمون؛ ونطق بهذه القصص بمشْهد من كفّار قريْش، وغيرهم من العرب، ومن أهل الكتاب. ثمّ ظهرت حقيقتها بعد نزول القرآن، وظهر صدقُ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– فيها؛ ثمّ القرآن نقلتْه الأمّة بأسْرها، ولم يقع فيه زيادة ونقصان.

فهذا أوْكد من أن يقدر أحدٌ على إنكاره، إلاّ أن يجْحده على معرفة ويقين، أو مكابرة، أو يقول إنّه سحرٌ وكَهانةٌ، كما قاله مَن شاهد هذه الآيات؛ أو يكون جاهلاً أحْمق مثل الشّيخ الذي ذكرنا قوله في شأن عائشة، وحديث الجمل؛ وإلاّ فمَن يقْدر أن ينْكر حديث غَلَبة فارس على الجزيرة، ثمّ غلبة الرّوم بعد ذلك، فيقول: "إنّ هذا لم يكن"، أو ينْكر حديث غزْوَة بدْر، أو يقْدر أن يقول إنّ هذا الذي نطق به القرآن في هذه القصص هو شيء قد زِيد فيه؟!

ومَن ردّ هذا، فقد ردّ العيان. ونعوذ بالله من الكفْر والطّغْيان.

---

[1] سورة القمر (54)، الآية 2.

الباب الخامس

الفصل الأوّل
سموا قال الملحد أيدًا

قال الملحِد: أخبرُونا مَن وجَد إلى أمْرٍ طريقيْن، فسلك الأطْول[1] منهما والأوْعر؛ وهل يكون مريدًا إلى الأفْضل والأصْلح مَن يجد إلى تعريف شيء من وجهيْن سبيلاً، فيعرّفه مَن أعْسَرهما، وأبْدَعهما، وأكْثَرهما ريْبًا، وشكوكًا، وجلْبًا لسُوء العواقب، ويدَع ما خالف هذه الوجوه؟

فإن قلتُمْ: "لا"، قلنا: "فهلاّ ألْهَم الله عباده معرفة منافعهم ومضارّهم في عاجلهم وآجلهم، وترك الاحتجاج ببعضهم على بعض؟! فإنّا نرى ذلك قد أهْلك كثيرًا من النّاس، وأدْخل عليهم أعْظم البلاء في عاجلهم بالعيان وفي آجلهم. أمّا في عاجلهم، فلتصديق كلّ أمّة إمامَها، وضرْب بعضهم وجوه بعض بالسّيف، واجْتهادهم في ذلك".

وقال: لوْلا ما انْعقد بين النّاس بأسباب الدّيانات، لَسقطت المجاذبات، والمحاربات، والبلايا[2]؛ لأنّ المنازعات تقع إمّا لعاجل، وإمّا لآجل.

وأوْرد كلامًا طويلاً في هذا الباب، ولكن هذه جملته.

وقال أيضًا: إن قُلتُم: "إنّ المجاذبات والمحاربات، من أجْل إيثارهم أعراض الدّنيا"، قلنا لكم: "هل رأيْتم أحدًا آثر القليل على الكثير، إلاّ لِشكٍّ منه في نيْل الكثير".

فإن قُلتُم: "نعمْ"، كابَرْتم؛ وإن قُلْتم: "لا"، فكذلك المؤْثِرُ لأعراض الدّنيا وشهواتها على الأمور الجليلة والثّواب العظيم الذي عجَز الوَاصِفون عنه، ليس ذلك إلاّ لِشكٍّ منه في نيْل ذلك الكثير العظيم الدّائم الذي يعجز الواصفون عنه؛ كما نرى الرّجل يُؤْثِر المائة دينار على الألْف إذا خاف فَوْت المائة والألف. فإذا كان مستيْقنًا أنّه يصل الألْف، مع ترْك المائة، فإنّه لا يرى أخْذ المائة.

---

[1] في الأصل: **الأطوال**.

[2] في الأصل: **البلاية**.

قال: وكذلك لو أنّ النّاس أخْلصوا اليقين بقوْل أئمّتهم فيما وَعدوهم من الثّواب الجزيل، لَمَا آثروا القليل من عاجلهم على الكثير من آجلهم.

قال: وفِيمَ جُعل بعض الخَلْق أئمّة لبعض؟ هو إشلاءُ بعضهم على بعض، وكثْرة الهرج، والفساد، والتّهالك.

وليْس يجوز هذا في حكمة الحكيم، بل الأفْضل والأعمُّ للنّفع: أن يلْهم النّاس معْرفة منافعهم ومضارّهم، ويركّب ذلك في طباعهم كما ركّبه في طباع البهائم؛ فإنّا نرى البهائم بطباعها وبضروب من الرّوائح تعْرف كثيرًا من الأشياء التي لا توافقها. فهلاّ جُعِل النّاس كذلك، إذ كان ذلك في طباعهم ممكنًا؟! فإنّ ذلك أعمُّ نفعًا وأحْوَط لهم من أن يُجعَل بعضهم أئمّة لبعض.

هذا قوْل الملحِد، وحذَفْنا الكثير منه تركًا للتّطْويل، وذكرتُ النّكت منه.

وإنّما أراد بقوله: "جُعِل بعضهم أئمّة لبعض"، أنّه اخْتار منهم أنبياء ورُسلاً، فجعَلهم أئمّة لهم.

وقد تقدّم القوْل منّا فيما ذكرْنا أنّه جرى بيْننا وبيْنه؛ وفيما أجبْناه مَقْنَع لِمَن أنْصف –إن شاء الله–، ولكنّا نُعيده، ونُشبِع القول به، إذ كان رسمه في كتابه.

فنقول في جوابه: إنّ الأفْضل والأصْلح والأشْبهَ بحكْمة الحكيم: أن يقْصد لأيسر الأمريْن، ويأْتي من أقرب الطّريقيْن، ويتْرك الأوْعر والأبْعد.

وقد وجَدْنا ما اختاره الله –عزّ وجلّ– لخلْقه بأن بعَث فيهم أنبياء ورُسُلاً، وجعَل بعضهم أئمّة لبعض، هو أشْبه بحكْمته ورحْمته، وأحْوط لعباده وأعمّ نفعًا؛ وهو أيْسر الأمريْن وأقرب الطّريقيْن من أن يكلّفهم النّظر في أمور دُنياهم، وأن يهْملهم في أمور أخراهم؛ فيكونوا كالسّوائم المهمَلة التي قد طُبِعت على منافعها ومضارّها، فعرفت ذلك بضروب من الرّوائح وبطابعها، وميّزت ذلك، وأهْمِلَت في أمْر معادها؛ فلا ثوابٌ عليها ولا

عقابٌ، على حسب ما اختاره[1] الملحِد[2] لنفسه وأشباهه؛ وأنّه لو جُعل مثل البهيمة على هذه الشّريطة، لَكان خيرًا له.

ولَعمْري إنّهم لو كانوا كالبهائم في صورها وطباعها، لَسقط عنهم الثّواب والعقاب؛ ولَكان ذلك خيرًا لهم من أن كانوا في دُنيَاهم في صوَر البشر وفي معرفة البهائم، فألْحدوا في دين الله، وهم يُرَدُّون في أخراهم إلى العذاب الأليم.

فأمّا أهل الدّيانة، فما اخْتاره الله لهم من طاعة الأنبياء والرّسل التي قامت بها سياستهم في أُولاهم، ثمّ جزاهم على ذلك بالثّواب الجزيل في أُخراهم، هو خيرٌ لهم وأعمّ نفعًا من أن يكون سبيلهم سبيل البهائم.

وبعد، فلوْ اخْتار الله لهم ما ذكره الملحِد، لَقُلنا: إنّ الذي اخْتاره الله لهم هو خيرٌ لهم. ولكنّا نجدهم مُحتاجين إلى الأئمّة والمعلِّمين في جميع أسباب الدّين والدّنيا، ولا نجدُهم قد أُلهِموا ذلك طبعًا، ولا يسْتغْنون عن مُعلِّمين في كلّ صناعة.

ولوْ أنّ أحدهم تكلّف شيئًا من الصّناعات من غيْر تعْليم من مُعلِّم قد راضه وعلّمه حتّى مهر به، ثمّ خاض فيه بتكلّفه، لأفْسد علْمه، ولا يلْتئم له شيءٌ ممّا يُحاوِلُه.

هذا في الأمور الدُّنيويَّة، فكيْف مَن ينْظر في أمور الدّين، وما يحْتاج إليه من دقيق العلْم وجليله؟

وكذلك في سائر العلوم الدُّنيويّة الدّقيقة مثل النّجوم، والهندسة، ومعرفة الطّبائع، وغير ذلك، لا يسْتغنى النّاظر فيها عن معلّم يوقفه على تلك الأصول.

فتَرى الصّانع الحكيم، الرّحيم بخلْقه، قد اخْتار لهم أن يبْعث فيهم أنْبياء، فعلّموهم هذه الأسباب بوحْي من الله –عزّ وجلّ–؛ ثمّ أخذها الآخر عن الأوّل بتعْليم.

ولم يُكلَّفوا أن ينظروا في ذلك بطباعهم؛ وهذا ما نُشاهده ونعايِنُه.

ولوْ كُلِّفوا ذلك كذلك، لكُلِّفُوا عسيرًا، لتفاوت طبقات النّاس في العقول، والأفْهام، والتّمييز، والمعرفة؛ لأنّ النّاس لم يُخلقوا مُتساوين في الطّبائع، كما خُلقت البهائم

---

[1] في الأصل: **اختارها**.

[2] في الأصل: **ملحد**.

التي لا تتفاضل في معرفة ما تحْتاج إليه؛ ولأنّ كلّ طبقة من الحيوان قد استوَت في طباعها من معرفة ما كُلِّفت من طلب الغذاء والتّناسل؛ فلا تفاوتٌ فيها، كما ذكرنا من تفاوت طبقات النّاس في العُقول والأفْهام.

وهكذا نرَى التّفاوت في جبلّة البشر، وفي جبلّة الحيوان. ولو خلَقهم الحكيم -جلّ ذكره- مُتساوِين على خلْقة البهائم، لَقُلْنا ما اختاره الله لهم، وهو خيرٌ لهم. ولكنّه -عزّ وجلّ- أعْدل، وأحْكم، وأرْحم من أن يسوّي بين البشر والبهائم، وهو -سبحانه- أحْسن الخالِقين.

الفصل الثاني
في الفرق الغالبة

وأمّا قوْله: لولا ما انْعقد بين النّاس بأسباب الدّيانات، لَسقطت المجاذبات والمحاربات، من أجْل إيثارها أعراض الدّنيا؛ وأنّهم إنّما آثروا القليل من عرض الدّنيا على الثّواب الجزيل في الأخرى، لأنّهم شكُّوا في نيْل الكثير والجَزاء العظيم؛ وضرب المثل بالألف دينار والمائة، كما حكيْنا.

نقول في جوابه: إنّا قد نجد أكثر المجاذبات والمحاربات في أمُور الدّنيا، لا في أمور الدّين؛ لأنّا نرى الحروب بين أهل المِلَل بعضهم في إثر بعض أكثر من محاربتهم لِمخالِفهم، تنازعًا في الدّنيا، وتنافسًا عليها؛ كما نشاهده في دار الإسْلام من المنازعات على الممالك والأمصار. وهكذا سبيل سائر أهل الملل في بلادهم.

وليس ذلك من جهة أنّ أهل الإسلام شكُّوا في الإسلام، وأنكروا ما جاء به محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، بل اتّفقوا على الإقرار به، والتّمسّك بشرائعه، وإقامته.

وكذلك سائر أهل الملل، والمتنازعين بينهم لم يشكّوا في ملَلهم ولم يتنازعوا فيها، ولكنّهم آثروا الدّنيا على الدّين؛ وهم موقِنون بالثّواب والعقاب اللّذيْن وُعِدوا وأُوعدوا بهما؛ فاختاروا عَرَض الدّنيا على الآخرة، إلاّ القليل من النّاس.

ونرَى كثيرًا منهم يقْتلون الأنفس، ويأْخذون الأموال، ويرتكبون المحارم، ويأتُون الحدود؛ وقد عرفوا ما يُحرَّم عليهم من ذلك، وآمنوا بالعقاب على ما يرتكبونه في أُخراهم؛ ولا يرتابون فيما أوعدوا من العذاب الأليم؛ ولا يشكّون فيما وُعِدوا من الثّوَاب العظيم على اجْتناب هذه الحدود، والقصْد لأعمال الخيْر؛ وقد أيقنوا بذلك ويعْتقدونه في دينهم. ولكنّ الشّهْوة الغريزيّة تحْملهم على ذلك وتغْلب عقولهم، حتّى يختاروا الأخسُّ على الأفضل، وذلك على يقين وبصيرة.

وهذا أشْهرُ من أن يُحْتاج فيه إلى شاهد ودليل. ومَن دفع هذا، فقد ردّ العِيان وكابَر.

فإنّ شغب[1] مُشاغِبٌ[2]، وعاند، ودفع العيان، قلنا: فهل تشكُّ فيما يُلحق أهل العبث والفساد في هذه الدّنيا من القتْل، والصّلْب، وقطْع الأيْدي والأرْجل، والحبْس، والضّرب، وغير ذلك ممّا يلحقهم على ما يرتكبونه، وهم يشاهدون ذلك ويعاينونه ولا يرتدعون؟ فهل يقدر على دفْع هذا أحدٌ، وهل يردّه إلاّ مجنون؟

ولوْلا ما سنّه الأنبياء (ع) في كلّ أمّة، بأن أقاموا فيهم أئمّة يأخذون على أيْدي سفهائهم، يعلّمون جاهلهم، ويحامون عن ضعفائهم، ويقمعون أهْل العبث والفساد، ويقيمون فيهم الحدود من القصاص والقود وغير ذلك، كما سنّه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-؛ لَتهارج النّاس، وفسد أمْر العالم؛ ولَمَا كان يُسَالِم بعْضهم بعْضًا، كما يجْري عليه أمْر أصْناف الحيوان من المسالَمة؛ فإنّها لا يعدو[3] بعضها عن بعْض في أجناسها؛ إلاّ ما يعدو بعْض الأجناس على بعْض، ويصيدها للغذاء وطلب الرّزق.

ولكنّ النّاس قد طُبعوا على الحرْص والتّنافس على أعراض الدّنيا، والجمْع، والادّخار؛ وما رُكّب فيهم من حُبّ الشّهوات من النّساء، والبنِين، والقناطير المقنطَرة من الذّهب والفضّة، والخيل المسوّمة، والأنعام، والحرث، وسائر ذلك من متاع الدّنيا؛ وليس سبيل أصْناف الحيوان هكذا.

كما نرى أنّ إنسانًا لو جمَع ما يعلم أنّه يكْفيه ألْف سنةٍ وزيادة، لَمَا انتهى عن الجمْع، والزّيادة فيه، والحرْص عليه.

وكلّ أصْناف الحيوان تطلب غذاءها مقدار ما يشبعها، وليس سبيلها سبيل البشر.

---

[1] في الأصل: **شغب**.

[2] في الأصل: **مشغب**.

[3] في الأصل: **يعدوا**.

فلذلك اخْتار الله –عزّ وجلّ– للنّاس أئمّة يسُوسُونَهم ويقوّمونهم، لِيَستقيم أمْر العالم، ويكون فيه صلاح النّاس دينًا ودنيًا، فيحيا الأنام ولا يهْلكوا؛ كما قال الله – تعالى–: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْض﴾[1]... بما شرّعه الأنبياء للنّاس وسنّوه، وحملوهم عليه، وأقاموا فيهم الحدود والأحكام.

والنّاس، وإن كانوا يتَنافسون في أمور الدّنيا، فإنّ كلَّ مُتغلِّب لا يقْدر على التّغلّب، حتّى يكون مرْجعه إلى الدّين، ويقْهر النّاس على ذلك الأصل وبتلك الرّيح؛ كما نرى لو أنّ يهوديًّا أو نصرانيًّا، أو مَن كان من أيّ ملّة غير ملّة الإسلام، إن أراد أن يتغلّب في دار الإسلام، لَمَا طاق ذلك، ولا قدر عليه.

وهم، مع إيثارهم أعْراض الدّنيا على الآخرة، غير شاكّين في أمْر الملّة حسب ما قد شرحْناه.

وكذلك السّبيل في سائر المِلَل، لا يقْدر أحدٌ أن يرْأسهم، حتّى يكون من أهْل ملّتهم في البلدان التي تغلّبوا عليها.

وما قال الملحِد: إنّهم آثاروا الدّنيا على الدّين، لأنّهم شكّوا في أمْر الدّين، فهو أمْحل المحال، وهو ردّ للعيان: لأنّ المتجاذبين في أمْر الدّنيا والمتنافسين فيها، مرْجعهم إلى الدّنيا؛ ويجْتمعون على كلّ مُتغلِّب بريح الدّيانة في كلّ ملّة، على ما ذكرْنا؛ كما نرَى من اقْتداءِ هذه الأمّة بمَن هو أوْلى بالخلافة، وتفْويضهم أمْر الخلافة إليه.

وكذلك مَن يرى الخلافة في قريش، يجعلونها فيمَن هو مُقدَّمٌ عندهم في الدّين.

وهكذا سبيل اليهود في اقتدائهم بآل داود؛ وكذلك سبيل كلّ أمّة، وإن كان الأمْر مُختلِطًا عليهم من غَلَبة الأهواء، فأصْلهم على ما قلْنا.

وكذلك الملوك في كلّ أمّة: ملكوا النّاس بريح الدّيانة، ثمّ قويت أسبابهم بالتّغلّب؛ ومع ذلك، فإنّهم حملوا النّاس على أحْكام الدّين في كلّ أمّة حتّى انْتظم أمْرهم، واسْتتبّ أمْر العالم بريح الدّين في الوقت المعْلوم.

---

[1] سورة الحجّ (22)، الآية 40.

وكذلك قوْل الملحِد: إنّه لولا ما انْعقد بين النّاس بأسباب الدّيانات، لَسقطت المجاذبات والمحاربات، وهو أمْحل من الأوّل؛ لأنّ المجاذبات والمحاربات، كما قلْنا، هي في أمُور الدّنيا أكثر وأعمَّ؛ ولولا الدّين وشرائع الأنبياء التي قام بها أمرُ العالم وانْتظم، لَتفاني النّاس، ولَمَا قامت في الأرض سياسة.

فبِأحْكام الأنبياء (ع) قد اسْتقام العالم؛ وهذا واضحٌ لا خفاء به، والحمد لله.

الفصل الثالث
الفرق بين المعجزات والدلائل

قال الملحِد في باب المعْجِزات قولاً كثيرًا، وجَعَله سؤالاً وجوابًا، وضعَّف فيه حُجج مَن ادَّعى المعجِزات للأنبياء (ع)، واحتَجّ بكلام واهٍ، نترْكه.

ونخْتصر النّكت التي ادّعاها، ونذْكر بعض دلائل مُحَمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، ومُعْجِزاته التي ليس في وسْع البَشَر أن يأتوا بمثْلها إلاّ بتأييد[1] من الله -عزّ وجلّ-؛ وهي على وُجُوه كثيرة.

فنَذْكُر من كلّ وجْه شيئًا بالاخْتصار دون ذكر الجميع؛ لأنّنا، إن ذكرْناها بأسْرها، ذهب الكتاب بقنّها، وطال القوْل بها، لأنّها كثيرة جدًّا.

وقد اتّفقت عليها الأمّة، وشاهدها المؤمن والكافر، وأخذها الخَلَف عن السّلَف.

وليْس قوْل الملحِد بحُجّة حين زعَم أنّ أعلام مُحَمَّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم- نقلَها واحدٌ واثنان وثلاثة، ويجوز عليهم التّواطؤ؛ لأنّ أكْثرها ما قد شاهَدها عددٌ كثير من المسلمين[2] والكافِرين، ولا يجوز عليهم التّواطؤ؛ وأكْثَرها برْهانها واضحٌ، وشاهَدها عدلٌ

---

[1] في الأصل: **بتأيد**.

[2] يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج1/ص40-ص41): "فرق في التّفسير بين الإسلام والإيمان. والإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهرًا، ويشترك فيه المؤمن والمنافق. قال الله -تعالى-: ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ (سورة الحجرات (49)، الآية 13)، ففرّق التّنزيل بينهما. فإذا كان الإسلام بمعنى التّسليم والانقياد ظاهرا مؤضع الاشتراك، فهو المبدأ؛ ثمّ إذا كان الإخلاص معه بأن يصدّق بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ويقرّ عقدا بأنّ القدر خيره وشرّه من الله تعالى، بمعنى أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كان مؤمنا حقّا. ثمّ إذا جمع بين الإسلام والتّصديق، وقرن المجاهدة بالمشاهدة، وصار غيبه شهادة؛ فهو الكمال.

قائمٌ، لا مدْفع له.

ولكنّا لا نحتجُّ عليه بما يقدر الملْحِدون على دفْعه وإنْكاره، وإنّما نذْكرها ليكون لها في الكتاب رسمٌ.

فإنّ النّاظِر في كتابنا هذا لا يخلو[1] من أن يكون مُوافِقًا أو مُخالِفًا. فأمّا المُوَافِق، فإنّ الله –عزّ وجلّ– يزيده بذلك إيمانًا وتصديقًا؛ ولعلّ بعْض المخالِفين يوفّقه الله للرُّشد والهداية.

ثمّ نكْشف، بعد ذكْرها، عمّا في القرآن العظيم من المعجِزة الكبيرة التي هي حجّة أكيدة على الملحِدين، وبرهانٌ واضحٌ منيرٌ لا يقْدر على دفْعه إلاّ مباهِتٌ[2] مُكَابِرٌ؛ لأنّه علمٌ قائمٌ في العالم، وليست سبيله سبيل الدّلائل والمعْجزات التي قد سلَفتْ، ويقْدر الملحِدون أن ينكروها، ويدّعون أنّه يجوز عليها التّواطؤ، وأنّهم لم يشاهدوها، ولا يقْبِلون دعاوينا فيها إلاّ ببراهين حاضرة؛ كما قال الملحِد في كتابه، وكما ادّعى أنّ مثْل هذه الأسْباب قد كانت ممَّن لم يدّع النّبوّة؛ ثمّ ذكر عمل أصحاب الخفّة والشّعبذة، كالرّقص على الأرسان، والدَّوَران على الأسنّة فوق الرّماح، وكلام القافية، والكهّان، وسحْر السَّحَرة، وغير ذلك ممّا ادّعاه، وعارض به مَن يدّعي المعجِزات للأنبياء (ع).

ثمّ قال: إنّكم تدَّعون أنّ المعجِزة قائمة مؤجودة، وهي القرآن؛ وتقولون: مَن أنكر ذلك، فلْيَأتِ بمثْله.

وقال: نحن نأْتيكم بألْف مثْله. وسوْف نشْرح ما في القرآن من المعجز العظيم، حتّى يعلم الملحِدون أنّه لا يقْدر أهْل الأرض أن يأتوا بمثْله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وبالله الحوْل والقوّة.

فكان الإسلام مبدأ والإيمان وسطًا والإحسان كمالاً، وعلى هذا شمل لفظ المسلمين: النّاجي والهالك".

[1] في الأصل: **يخلوا**.

[2] في الأصل: **مباهات**.

نقول: إنّ دلائل محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- ومعجزاته كثيرة، وهي على وجوه: فمنها ما يُقال لها: دلائل؛ ومنها ما يُقال لها: مُعجِزات.

فأمّا المعجِزات، فإنّها تُسمّى: مُعجِزات، وتُسمّى: دلائل؛ لأنّها أسْباب يأتي بها الأنبياء (ع)، ويعْجز غيرهم أن يأتوا بمثلها؛ فلذلك يُقال إنّها معْجزات. وتكون دالّة على صدق دعواهم في نبوّاتهم؛ فلذلك يُقال لها: دلائل.

ومنها أسْباب يُقال لها: دلالات، ولا يُقال لها: مُعجِزات؛ لأنّها أسباب لا يأتي بها النّبيُّ بنفْسه، بل تكون من غيره، وتدلُّ على نُبوّته؛ كقول نبيّ يشْهد لِمَن يجيء بعْده ويدلُّ عليه؛ مثل الذي هو في التّوراة، والإنجيل، وسائر الكتب من الدّلائل على نُبوّة محمّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ ومثل أشياء حدثت في العالم.

كما حدَث أيّام كسرى من ارتجاس الإيوان، وغير ذلك؛ فسأل عنه الكهَنة، فتكلّموا فيه بما يكون من بعد، ودلُّوا على ظهور محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بالنّبوّة.

وكذلك ما جاء عن سائر الكهّان من سجعهم بنبوّته، مثل كلام البهائم، والسّباع، وغير ذلك، ونطْقهم بنبوّته، وآيات كانت في العالم نحو ذلك.

فهذه يُقال لها: دلائل، ولا يُقال لها: مُعْجِزات، لأنّها كانت من غيْره فيه، لم يأْتِ هو بها بنفْسه.

فكلُّ هذه يُقال لها: أعلام، ويُقال لها: آيات؛ لأنّها علامات وشَوَاهد تدلّ عليه.

وهذه الوجوه كلّها من الآيات والأعلام التي قد كانت لمحمّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم-.

ونحْن نذْكر من كلّ نوع شيئًا على الاختصار كما شرطْنا، ونترْك التّطوِيل[1] بذكْر الجميع، وبالله التّوفيق.

---

[1] في الأصل: **الطويل**.

الفصل الرابع
ذكر الدليل من الوجود في الكتاب[1] المقدّس

في التّوراة أنّ الله –عزّ وجلّ– قال لبني إسرائيل: "إنّي أُقيمُ نبيًّا من إخوتكم أجْعل كلامي على فَمِه". فإخْوَة بني إسرائيل هم بنُو إسماعيل: هو محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

وفي التّوراة أيضًا: جاء الله من سيناء، وأشْرف من ساعير، وأضاء من جبال فاران. فمجيءُ الله من سيناءَ هو مجيءُ موسى (ع)، لأنّ الله أعْطاه الألْواح بطور سيناء؛ وإشْراقه من ساعير هو خروج المسيح (ع)، لأنّه كان من ساعير، من أرْض الجليل من قرْية يُقال لها: ناصرة؛ وإضاءته من جبال فاران هي ظهور محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم– من مكّة، لأنّ فاران هو مكّة.

وفي التّوراة: أنّ إسماعيل كان يتعلّم الرّمي في بريّة فاران، وهذا ما لا مرية فيه أنّ إسماعيل نشأ بمكّة، وفيها تعلّم الرّمي.

وفي الإنجيل: قال المسيح: "إنّي ذاهبٌ وسيأتيكم "البارقليط" روح حقّ الذي لا يتكلّم من قبَل نفسه، ويعلّمكم كلّ شيءٍ، وهو يشْهد لي كما شهدْتُ له، وهُو يُرْسَل باسْمي".

قوْله: "يُرسَل باسْمي"، أي يكون صاحب شريعة مثْله. ولم يخْرج بعْده صاحب شريعة[2] مثْله إلاّ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–: أنّه ينْقذ الضّعيف الذي لا ناصِر له، ويرْأف بالمساكِين، ويصلّى عليه في كلّ وقت، ويُبارك عليه في كلّ يوم، ويدوم ذكْره إلى الأبَد، ويحوز ملْكه من البحْر إلى البحْر.

---

[1] في الأصل: **الكتاب**.

[2] في الأصل: **شرعة**.

فهذا ما لا مريّة فيه أنّه صِفة محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم–، لأنّ شريعته متّصلة بالقيامة لا تُنسَخ، ولا نبيّ بعده؛ فهو الذي ذِكْره يدوم إلى الأبَد، وهو الذي يُصلَّى عليه ويُبَارَك في كلّ يوم وفي كلّ وقْت.

وفي كتاب إشعياء: "قال لي الرّب: أقمْ نظَّارًا ليخْبر بما يرى"، فكان الذي رأى صاحب المنظرة، قال: "قد أقْبل راكبان: أحدهما على حمار، والآخر على جمل. فبينا أنا كذلك إذ أقْبل أحد الرّاكبيْن وهو يقول: "هوت هوت بابل، ونكست جميع آلهتها النّخرة على الأرض". فهذا الذي سمعتُ من الرّب إله إسرائيل العزيز، قد نبّأتكم به".

يعني براكِب الحمار: المسيح (ع)، لأنّه دخَل أورشليم، وهو راكب حمارًا؛ ويعني براكب الجمل: محمّدًا –صلّى الله عليه وسلّم–، لأنّه دخل المدينة وهو راكِب الجمَل، وعلى يديْه فُتحت بابل، وكُسِّرت أصنامها.

وفي كتاب إشعياء أيضًا: "عبدي الذي سُرَّت به نفسي أحمد المحمود بحمد الله حمدًا حديثًا تفْرح به البريّة وسكّانها"؛ فهذا إفْصاح باسْمه.

والبرّيّة يعني: البادية، لأنّها مسْكن العرَب، وبها أرْض الحجاز، ومنها خرج محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

وفي كتاب إشعياء أيضًا: "لتفْرح أرض[1] البادية، ولتبْتهج البراري والفلوات، وليخرج نور كنور الشّنبليد وتستنير وتزهو مثل الوعا، لأنّها ستعطي بأحمد محاسن الشّأن".

وفي كتاب إشعياء أيضًا: "وُلد لنا مؤْلودٌ، ووُهِب لنا ابنٌ على كتفيْه علامة النّبوّة".

ولم يكنْ أحدٌ من الأنبياء على كتفيْه علامة النّبوّة غير محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

---

[1] في الأصل: **الأرض**.

وفي كتاب حبقُّوق[1]: "لقد انْكشفت السّماء من بهاء محمّدٍ، وامْتَلأت الأرض من حمْده".

هذا، مع كلام كثير مثْله يذْكره في كتابه.

[1] ظهر حبقوق في أثناء السّنوات الأخيرة قبل سقوط أُورشليم في سنة 586 ق.م.، وقد رأى بعين النبوءة، في أواخر القرن السّابع، الدينونة الماحقة التي ستحل بيهوذا، وتساءل بانزعاج: لماذا سمح الله بشُيُوع الشر في أوساط يهوذا وكيف يرضى الله أن يستخدم أُمّة وثنيّة كالبابليين لمعاقبة يهوذا على شرها. وقد أجاب الله عن حيرة حبقوق وكشف له عن أكثر مما طلب، إذ أعطاه رؤْيا عن ذاته المقدسة. هذه البصيرة الجديدة لإدراك ذات الله، وتبيّن النّبيّ عجزه ونقصه أمام كمال الله، منحاه الشّجاعة على تحمّل نكبات تلك الأيّام السّود بقوة وتصميم. إنّ سيادة الله وافتقار الإنسان إلى الاتكال عليه هما محور رسالة هذا الكتاب الرّائع. إنّ الله يتحكم بجميع الأُمم، ويجري ما يراه حقا، لهذا فإن الموقف السّليم الذي يجب على الإنسان أن يتّخذه هو الثقة به، وليس التشكّك في عدله (2: 4). عندما يتّخذ الإنسان هذا الموقف يمكنه آنئذ أن ينظر إلى ما هو أبعد من المظاهر الأليمة للأشياء ويتأمل في المعنى الحقيقي الأعمق لذات الله فيجد القوة على تحمل الظروف مهما كانت قاسية. نحن لا نعرف ما يضمره لنا الغد ولكن الله مطلع على المستقبل فعلينا أن نتّكل عليه كلّ الاتّكال.

وفي كتاب دانيال[1] رؤياه التي رآها وعبّرها، وذكر تفْسيرها، وقال فيها: "رأيتُ

---

[1] النّبيّ دانيال كان ممن تم أسرهم ونقلهم إلى بابل إبان السبي البابلي لبيت المقدس وتدميرها على زمن نبوخذ نصر. ودانيال نبي من أنبياء بني إسرائيل ممَّن لا يُعلم وقته على اليقين، إلاّ أنّه كان في الزّمن الذي بعد داود، وقبل زكريا ويحيى –عليهم السّلام–، وكان في الوقت الذي قدم فيه بختنصر إلى بيت المقدس وخرّبه، وقتل فيه مَن قتل من بني إسرائيل وسبى من سبى وأحرق التوراة. وقيل: إنه أسر دانيال الأصغر، وقيل: بل وجدوه ميّتًا عندما دخل بختنصر بيت المقدس، والظّاهر أنّه كان في بني إسرائيل دانيال الأكبر ودانيال الأصغر –والله أعْلم–. وقد أورد ابن أبي الدنيا بإسناده إلى عبد الله بن أبي الهذيل أن بختنصر سلط أسدين على دانيال بعد أن ألقاه في جُب –أي بئر– فلم يفعلا به شيئاً. فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرمياء وهو من أنبياء بني إسرائيل وهو بالشّام أن أعد طعامًا وشرابًا لـ دانيال. فقال: يا رب أنا بالأرض المقدسة، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق، فأوحى الله إليه أن أعد ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت، ففعل وأرسل إليه من حمله وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب، فقال دانيال من هذا؟ قال أنا أرمياء فقال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك، قال: وقد ذكرني ربي؟ قال: نعم. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي يجيب من دعاه، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانًا. والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا وكربنا، والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطّع الحيل عنّا... واشتهر أن الصحابة عثروا على قبره عندما فتحوا (تستر) ثم أمرهم عمر بن الخطاب أن يغيبوا قبره خشية أن يتخذه الناس معبدًا أو يشرك بالله عنده. وقيل إنّ الذي وجدوه رجلاً صالحًا. والأوّل أشهر. وأخرج ابن أبي الدنيا بإسناد حسن –كما قال الحافظ ابن كثير– عن أبي الزناد قال: رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتمًا نقش فصّه (أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرّجل). قال أبو بردة وهذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسى يوم دفنه أي يوم دفن دانيال. قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه، جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له: إنّه يولد كذا وكذا غلام يُذهب ملكك ويفسده، فقال الملك :والله لا يبقى تلك الليلة مولود إلا قتلته. إلاّ أنّهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد فبات الأسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه. فجاءت أمّه فوجدتهما يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما

عتيق الأيّام قد جلَس وبيْن يديْه ألف ألف خدّام يخدمونه وكتّاب لا تُحصَى، وذكَر أشْياء كثيرة قد جرى ذكْرها في صدْر كتابنا هذا، وقال فيها: "رأيتُ على سحاب السّماء كهيْئة إنسان، فانْتهى إلى عتيق الأيّام، وقدّموه بين يديْه، فخوّلوه الملك والسُّلطان والكرامة؛ وأن تتعبَّد له جميع الشّعوب، والأُمَم، واللّغات؛ سلْطانه دائمٌ إلى الأبَد، وملْكه لا يتغيّر إلى الأبد".

وقد ذكرْنا رؤياه التي رآها الملِك، في آخر كلامه: "فيفْتح إله السّماء في تلك الأيّام مُلكًا دائمًا لا يتغيّر ولا يزول، ولا يذر لغيْره من الأمم مملكة ولا سلطانًا، بل يدقّ ويُبيد الممالك كلّها، ويقول هو إلى دهْر الدّاهرين".

هذا في تعبير الحجر الذي دقّ ذلك الصّنم من الحديد، والنُّحاس، والخزَف الذي رآه الملك في رؤياه؛ وهو مشْهورٌ في كتاب دانْيال، وفي حديثه الذي في أيْدي العامّة.

وفي كتاب إرميا: "جعلتك نبيًّا للأُمَم لتَنْسف، وتهْدم، وتبيد، وتسْحق، وتبْني، وتغْرس".

وفي كتاب هوشع: "أنا الرّبُّ الإله الذي أرْعاك في البَدْو في أرْض خراب قفر".

فليس نبيٌّ خرج في أرْض قفر إلاّ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، لأنّه خرج في البادية[1].

فهذه دلائله –صلّى الله عليه وآله– في كتب الأنبياء (ع)؛ وأهْل الكتاب يقرؤونها[2]، ولا ينكرون ما قد ذكرْنا منها؛ لأنّها مكتوبة في هذه الكُتب؛ ولكن قد غلب عليهم الهوَى ورموا بالخذْلان والعمى، ليقْضي الله أمرًا كان مفعولاً.

بلغ. قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلاّ ينسى نعمة الله عليه في ذلك.

[1] في الأصل: **البداية**.

[2] في الأصل: **يقرأونها**.

وفيها من هذا النّحو دلائل كثيرة، تركْنا الأكثر منها لشرْط الاخْتصار الذي قدّمنا، أنّا نذْكر من كلّ فنّ شيئًا دون الجميع.

وهذا ممّا[1] لا يجوز عليه التّواطؤ، وليس هو ممّا نقَله رجلٌ أو رجلان أو ثلاثة، كما ادّعاه الملحِد؛ لأنّها نبوّات من الأنبياءِ، وكانوا في دهور متباينة قبْل محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بزمن طويل.

[1] في الأصل: **ما**.

الفصل الخامس
أعلام مولود -صلى الله عليه وسلم-
في أسرته

– ووَجْهٌ آخر من دلالته وأعْلامه: أمور حدثت في العالم، دلّت على نبوّته، مثل: حديث كسرى وإيوانه، وسطيح الكاهن.

فإنّه لما كان في اللّيلة التي وُلد فيها رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ارْتجس إيوان كسْرى، وسَقطتْ منه أربع عشرة شرْفة، فاهتمَّ لذلك كسْرى، وجمع وزراءه وموابذته، وسألهم عن الحال فيه. فقال له الموبذان الأكبر: "أنا رأيتُ في هذه اللّيلة في منامي إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا، قد قطعتْ دجلة، [و]دخلتْ من بلاد العرَب، فَرَعَت في بلاد العَجَم".

وما لبث إلاّ قليلاً حتّى أتاه كتاب عامله بفارِس: أنّ نار فارس طُفِئت في تلك اللّيلة، ولمْ تُطْفأ قبْل ذلك بألْف عام. فهمَّه ذلك، واسْتقْصى في البحْث عنه، فقالوا: "حادثة تكون في بلاد العرب!".

فكتَب إلى النّعمان بن المنذر ليبْعث إليه رجلاً عالمًا يسْأله عن أشياء، فبعَث إليه عبد المسيح بن عمرو بن نُفَيْلة العبادي.

فلمّا قدم عليه، سأله عن ذلك، فقال: "عِلْمُ هذا عند خالٍ لي بالشّام، اسمه: سطيح". فجهّزه وأخرجه إليه ليسْأله. فخرج حتّى قدم عليه وهو بآخر رمقٍ، فوقَف عليه، وقال: "أصمّ أم يسْمع غطريف اليمن؟"، في سجع له.

فلمّا سمعها سطيح، رفع رأسه، وقال: "عبد المسيح جاء إلى سطيح، وقد أوْفى على الضّريح. بعثك ملك ساسان لارتجاس الإيوان ورؤيا الموبذان وخمود النّيران". قال: "نعم، فما تقول في ذلك؟". قال: "إذا كثرت التّلاوة، وفاض وادي السّموات،

وغارت بحيرة ساوة، بُعث صاحب الهراوة، فليست الشّام لسطيح شامًّا". قال: "متى يكون هذا؟". قال: "يملك منْهم ملوك ومَلِكات على عدد الشّرفات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ".

فانْصرف عبد المسيح إلى كسْرى، وأخْبره بقوْل سطيح، فقال: "إلى أن يمْلك منّا أربعة عشر ملكًا، قد كانت أمورٌ". فملك منهم أربعة عشر ملكًا في مدّة يسيرة.

وهذا حديثٌ طويلٌ اختصرْناه.

ومثل هذا: حديث كاهن كان بعسفان، فسافر إليه هاشم بن عبد مناف وأميّة بن عبد شمس[1]؛ وقيل له: "احْكم بينهما: أيّهما أشْرف؟"، فقال: "والقمر الباهر، والكوكب الزّاهر، والغمام الماطر، وما بالجوّ من طائر، وما اهْتَدى بعلْم مسافر، لقد سبق هاشم إلى مآثر، أوّلاً منه وآخرًا[2]؛ وسيكون له ولدٌ فاخرٌ على كلّ بادٍ وحاضر، نبيٌّ مُؤيَّدٌ طاهرٌ، والله لدينِه ناصرٌ؛ وهو على الأديان كلّها ظاهرٌ إلى انقضاء الدّهور الغوابر".

ومثل هذا: حديث عبد المطّلب، حين وُلد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أخذه عبد المطّلب، فأدْخله على هبل، كما كانت قرَيْش تفْعل بمَن يولد لهم؛ فوَلّى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وجْهه عن هبل، فارْتاع عبد المطّلب لذلك، وسمع صوتًا من جوْف الصّنم -ويُقال: من جدار الكعْبة- يقول: "ما لهذا وللصّنم، ثمّ يجلو دجى الظُّلَم!". فارتعدتْ فرائص عبد المطّلب، وفزع فزعًا شديدًا.

وهو حديثٌ طويلٌ اخْتصرْناه.

---

[1] أميّة بن عبد شمس هو الجد الجامع لقبيلة بني أمية القرشية. هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

[2] في الأصل: **آخر**.

ومثله أيضًا حديث العبّاس بن مرْداس السُّلَميّ: أنّه كان عند صنَم لِبَني سُليم يُقال له "ضِمَار"، فسمع صوتًا من جوف الصّنم في بعض اللّيالي يقول:

قُلْ للقبائل من سُلَيْم كلّهـــــا هلك الضّمار وعاش أهلُ المسجِدِ
أودى ضِمار وكان يعبد مـــــرّة قبْل الكتاب إلى النّبيّ محمّـــــــدِ

في أبيات كثيرة؛ فخرج فزعًا وتلقّاه رجلٌ على نعامة، وهو يقول: "بشّر الجنَّ وأبلاسها، ألاَ قد كفيت السّماء أحراسها، ووضعتْ الحربُ أحلاسها، وتجرّعت أنفاسها للنّور الذي نزَل يوم الاثنيْن وليلة الثّلاثاء على صاحب النّاقة الغضباء في وادي العنقاء".

فرجع العبّاس بن مرداس إلى ضمار، فأحرقه؛ ثمّ توجّه إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وآمن به، وقال في ذلك شعرًا:

لعمرك أنّي يوم أجعل جاهـــــلاً ضمارًا لربّ العالِمين مُشارِكـــــــا
فآمنت بالله الذي أنا عبْـــــــده وخالفت مَن أمسى يريد المهالكـــا

وهذه قصيدة طويلة.

فهذه من جهة الكهّان وسدنة الأصنام؛ ومثلها أخبار كثيرة تركْنا ذكْرها.

وهذا وجْه من الدّلالات.

– **ووَجْهٌ آخرٌ من أعْلامه**: كلام أصْناف الحيوان من البهائم، والسّباع، وغير ذلك؛ ونطْقهم بنبوّته -صلّى الله عليه وسلّم-.

من ذلك: حديث أهبان بن أوْس الأسلمي[1] -مكلِّمُ الذّئب-.

---

[1] أهبان بن أوس الأسلمي الصحابي الجليل , ويقال هبان بن أوس الأسلمي، قديم الإسلام، وصلّى القبلتين ونزل الكوفة ومات بها في ولاية المغيرة بن شعبة. قال البخاري: له صحبة يعد في أهل الكوفة. وروى البخاري أيضا عن مجزأة بن زاهر عنه وفيه أنه كان له صحبة. وكان من أصحاب الشجرة, وروى في عن أنيس بن عمرو عن أهبان بن أوس أنه كان في غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح عليه فأقعى على ذنبه, قال: فخاطبني فقال من لها يوم يشغل عنها, قال ابن حبان مات أهبان بن أوس في ولاية المغيرة بن شعبة بالكوفة حيث كان واليا عليها لمعاوية بن أبي سفيان.
انظر ترجمته في: نداء الايمان؛ الإصابة في تمييز الصّحابة.

كان في غنَمٍ له، فرأى ذئبًا قد شدّ على ظَبْي فصاده، فحمل عليه أهبان، فانْتزعه منه؛ فأقعى الذّئب بعيدًا منه على ذَنْبَه، ثمّ قال: "ما لي ولك، سلبتَ[1] منّي رزقًا رزقْنية الله ليس من مالك؟!"؛ فتحيّر أهبان لذلك، وقال: "يا عجبي، ذئبٌ يتكلّم!"، فقال الذّئب: "أعجبُ من كلامي: رسول الله بين هذه النّخلات يحدّث النّاس بأخبار ما سبق وأنباءِ ما يكون، يدعو إلى عبادة الرّحمن، وتأبون إلاّ عبادة الأوْثان". فأتى أهبان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وآمن به؛ وله حديثٌ.

ووُلده يُسَمّون إلى يومنا هذا: بنو مكلّم الذّئب.

وله في ذلك شعرًا[2] يقول فيه:

رعيتُ الضّأن أحميها بكلبـــــي ... من اللّص الخفيّ وكلّ ذيـــبِ
فلمّا أن سمعتُ الذّئب نـــادى ... يبشّرني بأحمَدَ من قريـــبِ
سعيتُ إليه شمّرتُ ثوْبـــــي ... عن السّاقيْن في الوفْد الرّكيـــبِ
فألفيتُ النّبيَّ يقول قـــــوْلاً ... صدُوقًا ليس بالهزْل الكـــــذوبِ

وهي قصيدةٌ.

ومنْه: أنّ بعيرًا للوليد بن مغيرة المخزوميّ تكلّم في اليوم الذي وُلد فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وقال: "هذا أحمد قد وُلِد، أفْلح منكم مَن تبعه، وخسر مَن ولّى عنه". فأقبل الوليد وهو يقول: "يا آل قريْش أدْركوني[3]، فإنّ بعيري قد سُحِر!". فاجتمعتْ قريْش والبعير يقول ذلك، والوليد يقول: "سُحر بعيري، وربِّ الكعْبة!".

فقال في ذلك بعض قريْش:

ألا يا قوم رأيتم بهيمـــــــة ... تكلّم في النّادي بأنباء ما مضـــى
وتخبر عن عملٍ بما هو كائـــن ... فهذا بعير للوليد قد انْبـــــرى
ينادي بأعْلى الصّوت والنّاس حوله ... ألا ضلّت الأصنام واللاّت والعزى

---

[1] في الأصل: **سلب**.

[2] في الأصل: **شعر**.

[3] في الأصل: **أدركوا**.

وهذا أوان الهاشميّ محمّـــــــدٍ بدين الله والحقُّ قد بَـــــــــدا

ومنها: حديث هشام بن سعيد: كان خرج إلى الشّام، فاقْتنص في طريقه ظبية في اليوم الذي وُلد فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–.

فلمّا صارت في يديْه وقبض عليها، تكلّمتْ وقالت: "وُلِدَ أحمد بن عبد الله سيّد المرسَلين". ففزع هشام، وارْتعشت يداه، وذهبت الظّبية.

فلمّا قدم الشّام، دخل على قيصر[1] وأخبره بذلك؛ فبعث إلى الرّهبان، وجمَعهم، وأخبرهم بذلك، فقالوا: "رأيْنا الصّوامع في هذه اللّيلة قد أضاءت نورًا ومالت، حتّى ظنَنَّا أنّها سقطت؛ ورأيْنا قناديل الكنائس كلّها منكوسةً". فحفظوا ذلك اليوم، فإذا هو اليوم الذي وُلد فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–.

ومثل هذا من كلام البهائم، والطّير، وغير ذلك أخْبار كثيرة تركْنا التّطويل بها.

مثل البعير الذي جاء إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فاسْتناخ ورغا، فدعا رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه وعرّفهم ما شكاه منهم.

ومثله حديث العجل الذي لِبَني غفار، أرادوا أن يذبحوه فنطق وقال: "يا بني غفار، أَمِن نجيح ينجح، صائح بمكّة يصيح أن "لا إله إلاّ الله؟". فوفد بنو غفار على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وآمنوا به.

ومثله حديث الجمل الذي نُحِر بمكّة، فتكلّم بعْدما نُحر؛ فأقْبل الجزّار إلى نادي قريش، فقال: "هلُّموا، فاسْمعوا العجب! نحرتُ جزورًا لي وهو يتكلّم!"؛ فأقبلوا إليه، فإذا هو يقول: "وُلد أحمد، نُحِرَتْ قُرَيْش كما نُحرتُ". فانْصرفوا، فإذا عبد المطّلب يحمل محمّدًا إلى هبل. وقد ذكرنا حديثه.

ومثله حديث أتان حليمة، ظئر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. كانت تسبق الرّكب، وكانت قبل ذلك لا تنبعث هزلاً وضرًّا؛ وقالوا لها: "إن لأتانك شأنًا". فنطقت وقالت: "أعْظم شأنٍ، حَمَلَت سيّدَ الأوّلين والآخرين".

---

[1] في الأصل: **قصير**.

ومثله حديث الطّير الذي أُخذت فراخه، فجاء يرفْرِف على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فقال: "إنّ هذا الطّير يزْعم أنّ فراخه أُخذت، فاطْلبوها!"؛ فوُجدت عند رجل، فسيّبوها.

ومثلها أخْبار كثيرة، ولكلّ خبَر من هذه وغيرها حديث طويل، تركْنا تطويل الخطاب بها.

وهذا وجْهٌ من أعلامه.

- ووَجْهٌ آخر من أعْلامه، وهي أمور كانت منه -صلّى الله عليه وسلّم-: من ذلك أنّه لما خرج مهاجرًا إلى المدينة مستخفيًا من قريش، ومضى إلى الغار، جعلت قريش لمن يدلُّ عليه مائة ناقةٍ.

فخرج سراقة بن جعشم المدلجي[1] على فَرَس له في طلبه، رغبة فيما بذلتْه قريش. فلحق رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في طريقه.

فلمّا رآه -صلّى الله عليه وسلّم-، قال: "اللهمّ امْنعْه عنّا"؛ فعثر به فرسه، وساخت قوائمه في الأرض، فناداه سراقة وقال: "يا محمّد، دعْنِي وخلِّ عنّي! فواللهِ لا يأتيك عنّي ما تكْره!"، فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: "اللّهُمَّ إن كان صادقًا، فأنْجه".

---

[1] سراقة بن مالك المدلجي الكناني، (24 هـ) سيد بني مدلج وأحد أشراف قبيلة كنانة وصحابي جليل قائف يقتص الأثر لحق بالرسول محمّد وصاحبه أبي بكر الصدّيق في الهجرة، وهو يومئذ مشرك طمعًا في جائزة قريش. فلمّا وصل للرّسول انغرست قدما فرسه في الوحل، فطلب من رسول الله أن يدعوا الله لينجيه ممّا هو فيه على أن يرجع عنهم ويعمي عنهم الطّلب، فدعا له رسول الله، ثمّ قال له: كيف بك إذا لبست سِوَارَيْ كسرى ومِنْطَقَتَه وتاجه، فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟ فقال رسول الله: نعم. ثمّ انْصرف سراقة. فلمّا فتح سعد بن أبي وقاص المدائن في زمن خلافة عمر بن الخطّاب، أرْسل سواري كسرى وتاجه ضمن الغنائم إلى الخليفة فتحقق لسراقة وعْد النّبيّ له حيث ألْبسه عمر سواري كسرى. مات سراقة سنة 24 في خلافة عثمان بن عفّان وقيل: مات بعد عثمان.
انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير؛ الإصابة في تمييز الصّحابة لابن حجر العسقلاني؛ تفسير القرآن للحسين البغوي؛ الاستيعاب لابن عبد البرّ؛ الطبقات الكبير لابن سعد الزّهري.

فخرجتْ قوائم فرسه، وانْصرف إلى مكّة، وأخْبرهم بشأْنه. فخاف أبو جهل[1] أن يكون

[1] هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بنقريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بنعدنان. وأمّه: أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم بن مر بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والوليد بن المغيرة هو من سمي عمرو بن هشام أبا جهل وذلك لسرعة غضبه والجهل في لغة العرب ضد الحِلم وهو العفو بعد المقدرة. وفي رواية عن عمر بن الخطّاب قال: كنت جالسا مع أبي جهل وشيبة ابن ربيعة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش !إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضي من آبائكم يتهافتون في النار، ألا! ومن قتل محمداً فله علي مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة! وقال أبو جهل: "يا معشر قريش، إن محمدا قد أبي إلاّ ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله –أو كما قال– فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف، ما بدا لهم"، قالوا" :والله لا نسلمك لشيء أبدا، فامض لما تريد". فلمّا أصبح أبو جهل، أخذ حجرا كما وصف، ثمّ جلس لرسول الله ينتظره وغدا رسول الله كما كان يغدو، وكان رسول الله بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلّى، صلّى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام .فقام رسول الله يصلي وقد غدت قريش، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل. فلما سجد رسول الله احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما. منتقعا لونه مرعوبا. قد يبست يداه على حجره. حتّى قذف الحجر من يده. فقامت إليه رجال قريش، وقالوا له: "ما لك يا أبا الحكم؟"، قال: "قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني". وجاء الأخنس بن شريق قائد بني زهرة إلى أبي جهل ابن هشام بن المغيرة، ولما اختلى به سأله قائلاً: "أترى محمداً يكذب؟"، فقال أبو جهل: "ما كذب قطّ وكنّا نسميه الأمين ولكن إذا كان في بني هاشم السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء لبني مخزوم؟". قال أبو جهل: "والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد". قالوا: "وما هو يا أبا الحكم؟" قال: "أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتي شابًا جليدًا نَسِيبا وَسِيطًا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعَقْل، فعقلناه لهم".

قد أسْلم سراقة، فقال:

بني مدلجٍ إنّي أخال سفيهَكُـــــم سراقة متسغوٍ لأمر محمّـــــد

وهي قصيدة مشهورة لأبي جهل، فأجابه سراقة:

أبا حكم واللاّت لو كنت شاهدًا لأمر جوادي إذْ تسوخ قوائمه

شهدتَ ولم تشكّك بأنَّ مُحَمَّـــدًا نبيٌّ ببرهان فمَن ذَا يكاتمـــــه

وهي قصيدة له.

وقيل في ذلك شِعْرٌ كثيرٌ.

من ذلك: قول أبي بكر[1]:

وهو الذي من ألد المشركين يوم بدر فقد قرر كبير القوم عتبة بن ربيعة الانسحاب والعودة إلي مكة وقال: "لا يشق القوم إلاّ ابن الحنظلية", يقصد أبا جهل, وهو ما حصل إذ ردّ عليه أبو جهل بوساطة حكيم بن حزام وقال: "لقد جبن ابن ربيعة لأنّ ابنه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في جيش محمد، فلا نرجع حتى نرد ماء بدر وتعزف القيان وتدق الطّبول وتسمع بنا العرب". فقتل يوم بدر علي يد معوذ ومعاذ أبناء عفراء وقد كانا في حوالي السّادسة عشر من عمرهما، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود فسأله أبو جهل قبل موته: "لمن الغلبة اليوم؟"، فردّ عليه ابن مسعود: "لله ورسوله يا عدو الله"، فرد عليه أبو جهل: "لقد ارتقيت مرتقا صعبا يا رويعي الغنم"، فقطع ابن مسعود رأسه وحمله إلى رسول الله وقد قطعت أذنه، فضحك الرسول وقال: "أذن بأذن والرأس زيادة"، حيث قطع أبو جهل ذات مرة أذن ابن مسعود، ويقال أن رأس أبو جهل كانت ثقيلة جدًّا.

انظر ترجمته في: سيرة ابن هشام؛ القرآن الكريم، سورة غافر ,الآيات3-1؛ القرآن الكريم؛ سورة المدثر ,الآيات 25-18؛ البداية والنهاية لابن كثير؛ تاريخ الطبري. تفسير القرطبي.سير أعلام النّبلاء للذهبي.سيرة ابن هشام. معجم البلدان لياقوت الحموي.

[1] هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة –و اسمه عثمان– بن عامر، من ولد تيم ابن مرّة –تيم قريش–. كان اسمه في الجاهليّة عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– عبد الله، ولقبه عتيق، لُقّب به لجمال وجهه –رضي الله عنه–، وسمّي صدّيقًا لتصديقه خبر المسرى. وأمّه سلمى وتكنّى أمّ الخير بنت صخر، وهي بنت عمّ أبيه. بويع له يوم الاثنين الذي توفّي فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وتوفّي بالسلّ ليلة الثّلاثاء، وقيل يوم الجمعة، لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث

إن تخسف الأرض بالأحوى وفارسه فانْظر إلى أربع في الأرض غـــــوارِ
فهيل لما رأى أرساغ معرفـــــــــة قد سخن في الأرض لم تُحفَر بمحفارِ

ومن ذلك: حديث الشّجرة التي دعاها، فأقبلت إليه تخدّ الأرض؛ وحديثها: أنّ رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطّلب بن عبد مناف[1]، وكان من أشدّ النّاس بطشًا وأقْواهم قوّة، قد اعْترفت له بذلك قريْش كلّها، تلقّاه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–

عشرة، وسنّه ثلاث وستّون سنة. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيّام، وصلّى عليه عمر –رضي الله عنه–. ودُفن في حجرة عائشة ورأسه بين كتفي رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–.
حول ترجمته راجع: ابن خلّكان، *وفيّات الأعيان*، ج3/ص64 إلى ص71؛ *الرّياض النّضرة*؛ الذّهبي، *تذكرة الحفّاظ*؛ *غاية النّهاية*.

[1] قد صارع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– رجلا معروفا بقوته يسمى (ركانة) فصرعه النّبيّ أكثر من مرة. وفي رواية أن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– صارعه –وكان شديدًا–، فقال: شاة بشاة. فصرعه النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، فقال: عاودني في أخرى، فصرعه النّبيّ، فقال: عاودني، فصرعه النّبيّ الثّالثة، فقال الرّجل: ماذا أقول لأهلي؟ شاة أكلها الذئب، وشاة نشزت، فما أقول في الثالثة؟ فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "ما كنّا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك، خذ غنمك". وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وأمّه بنت العجلان، من بني سعد بن ليث بن بكر بن كنانة، يُقال: إنّه بقي إلى زمن عثمان بن عفان –رضي الله عنهما–". حدّثنا عبد الله بن محمّد بن سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن يوسف الفرياوي (ح). وحدّثنا أبو مسلم الكشي، ثنا سليمان بن حرب (ح). وحدّثنا علي بن عبد العزيز، ثنا حجاج بن المنهال (ح). وحدّثنا أحمد بن عمرو القطراني، ثنا أبو الربيع الزهراني (ح). وحدّثنا محمّد بن عبد الله الحضرمي، ثنا شيبان بن فروخ قالوا: ثنا جرير بن حازم، ثنا الزّبير بن سعيد، ثنا عبد الله بن عليّ بن يزيد بن ركانة فأتيته في قرية، فحدثني عن أبيه، عن جدّه، أنّه طلّق امرأته البتّة فأتى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فسأله فقال له: "ما نويتَ؟". قال: واحدة، قال: "آلله" قال: "آلله" قال: "هو ما نويت". قالوا: وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب الشديد قدم من سفر له، فأخبر خبر النبي –صلّى الله عليه وسلّم–، فلقيه في بعض جبال مكة ، فقال: يا ابن أخي، قد بلغني عنك أمر، وما كنت عندي بكذّاب، فإن صرعْتني، علمت أنك صادق، فصرعه النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ثلاثًا. فأتى قريشًا، فقال: "يا هؤلاء، صاحبكم ساحر، فساحروا به مَن شئتم".

في بعض شعاب مكّة، فقال له:" ألستَ تزعم أنّك أشدُّ العرب بطشًا وأقواهم قوّة، قد أُعتُرِف لك بذلك؟"، قال: "نعم!"، قال: "أرأيتك إن صارَعْتك فصَرعْتُك، تؤمِن بي، وأنّ ما أتيتُ به حقّ؟"، قال: نعم!".

فصارَعه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وأضْجعه، حتّى لا يملك من نفسه شيئًا؛ فعاد أيضًا، فصرَعه؛ وفعَل به مثل ذلك، حتّى فعَل به ذلك ثلاث مرّات؛ فقال: "إنّ هذا واللهِ لَعجبٌ يا محمّد أن تصْرعني، وأنا أشدّ قرَيْش بطشًا!"، فقال له رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "إن شئتَ أريتُك ما هو أعْجب من هذا إن اتّبعت أمري!"، قال: "وما هو؟"، قال: "أدْعو هذه الشّجرة فتأتيني"، قال: "فافْعل!". فدعاها، فأقبلت تخدّ الأرض حتّى وقعت بين يديْه؛ ثمّ قال لها: "ارْجعي إلى مكانك!"، فرجعت إلى مكانها.

فجاء رُكانة إلى نادي قريش وقال: "يا آل قريش! ساحِروا بصاحبكم أهل الأرض! فما في الأرض أسحرُ منه!". ثمّ أخْبرَهم بالذي رأى منه، وانْتشر ذلك في قرَيْش. ولم يزالوا يتحدّثون به، وأخذه الخَلَف من كفّار قريش.

فهذا وجْهٌ من أعلامه، ومن هذا النّوع أخباره كثيرة.

مثل خروجه على قرَيْش لما اجْتمعوا في دار النّدوة، وتشاوروا في أمْره؛ فاتّفقوا على أن يجتمع عليه من كلّ قبيلة قومٌ، فيقْتلوه ويطلب دمه، فلا يقدر بنُو هاشم على قرَيْش كلّها في الطّلب بدمه؛ فاجتمعوا على باب داره ليدخلوا عليه؛ فخرج عليهم، ووضع التّراب على رؤوسهم، ومضى وهُم لا يرَوْنه.

ومن ذلك حين رماهم يوْم بدْر بكفٍّ من حصًى، وقال: "شاهت الوجوه"، فهزمهم الله؛ فأنزل الله –عزّ وجلّ– في ذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولَكنَّ الله رَمَى﴾[1].

وممّا يُشاكِل هذه، أعْلام كثيرة.

ووجْهٌ آخر منها: أمور غائبة عنه كان يُخبر بها، فيظهر صدقه[2] فيها.

---

[1] سورة الأنفال (8)، الآية 17.

[2] في الأصل: **صدقة**.

من ذلك: حديث النّجاشي حين مات بأرْض الحبشة، وقد كان أجاب إلى الإسلام، فقال –صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه: "إنّ أخاكم النّجاشيّ قد مات بأرض الحبشة، فاخْرجوا نصلّي عليه". فخرج بأصحابه إلى البقيع، فصفّهم خلْفه، وصلّى عليه. فحفظوا ذلك يوم وَرَد الخبر أنّه مات في ذلك اليوم.

ومثْله: خبر كسْرى لما كتب إلى باذان، وهو عامله على اليمن، أن "ابْعث إلى هذا الرّجل الذي خرج بالحجاز رجليْن من عندك يأتياني به"؛ فبعث باذان قهرمانة ورجلاً آخر معه في ذلك.

فلمّا قدمَا عليه –صلّى الله عليه وسلّم–، قال لهما: "إنَّ الله قد أوْحى إليَّ أنّ شيرويه[1] وَثَب على أبيه كسْرى، فقتله في شهر كذا من ليلة كذا". فانصرفَا إلى باذان، فأخبراه بذلك؛ فقال باذان: "نَنْتظر به. فإن صحَّ ما قال، فهو نبيٌّ؛ وإن يكُ غير ذلك، رأَيْنا فيه".

فلم يلْبث باذان أن وَرَد عليه كتاب شيرويه بقتْله أباه.

فأسْلم باذان، وأسْلم مَن كان معه من أصحابه.

---

[1] في الأصل: **شيروية**.

ومثله: حديث خالد بن الوليد[1] لما وجّهه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إلى أُكَيْدَرِ -[ملك] دومة الجندل-[2]، وكان ملكًا عليها، وكان نصرانيًّا؛ فقال لخالد: "إنّك

---

[1] خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي. توفي سنة 21 هـ / 642 م؛ صحابي وقائد عسكري مسلم، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول. اشتهر بحسن تخطيطه العسكري وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الردة وفتح العراق والشام، في عهد خليفتي الرسول أبي بكر وعمر في غضون عدة سنوات من عام 632 حتّى عام 636. يعد أحد قادة الجيوش القلائل في التاريخ الذين لم يهزموا في معركة طوال حياتهم، فهو لم يهزم في أكثر من مائة معركة أمام قوات متفوقة عدديًا من الإمبراطورية الرومية البيزنطية والإمبراطورية السّاسانيّة الفارسيّة وحلفائهم، بالإضافة إلى العديد من القبائل العربية الأخرى. اشتهر خالد بانتصاراته الحاسمة في معارك اليمامة وأُلّيس والفراض، وتكتيكاته التي استخدمها في معركتي الولجة واليرموك. قبل إسلامه، لعب خالد بن الوليد دورًا حيويًا في انتصار قريش على قوّات المسلمين في غزوة أحد، كما شارك ضمن صفوف الأحزاب في غزوة الخندق. ومع ذلك، اعتنق خالد الدين الإسلامي بعد صلح الحديبية، شارك في حملات مختلفة في عهد الرّسول، أهمها غزوة مؤتة وفتح مكّة. وفي عام 638، وهو في أوج انتصاراته العسكريّة، عزله الخليفة عمر بن الخطاب من قيادة الجيوش، ثمّ انتقل إلى حمص حيث عاش لأقلّ من أربع سنوات حتّى وفاته ودفنه بها.

[2] هو أكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل، أحد نصارى العرب الذين صالحهم النّبيّ محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- على الجزية وأخوه بشر بن عبد الملك يذكرون أنّه ذهب إلى الحيرة، وتعلم بها الخط، ثم رجع إلى مكّة فتزوّج الضهياء بنت حرب أخت أبي سفيان. أرْسل الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- خالد بن الوليد على 450 فارس لقتال الأكيدر بعد معركة تبوك لمساندة الأكيدر حلفاء الرّوم من العرب في معركتهم تلك. وصالح نصارى العرب مثل يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة ولم يبقى إلاّ الأكيدر الكندي. وأبلغه رسول الله أنّه سيلاقي أكيدر خارج حصنه، وكان الأكيدر يهوى اصطياد الوحوش فلقيه خالد يصطاد البقر الوحشي مع أخاه حسان ونفر من العرب فقتل خالد حسان وأسّر الأكيدر، وكان عليه قباء من ديباج منسوج بالذّهب، فبعثها إلى رسول الله في المدينة وصالحه على الجزية شرط ألاّ يقاتل المسلمين. وروي كذلك أنّه سمع بتوجه سرية خالد نحوه فاستقبهم لمقابلة رسول الله وطلب منه الأمان وأهداه قبة ديباج من ذهب فوهبها رسول الله إلى عمر بن الخطاب، وقال رسول لله للأكيدر :"ارْجِعْ بِقَبَائِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَلْبَسُ هَذَا فِي الدُّنْيَا إِلَا حُرِمَهُ فِي الآخِرَةِ" واستنكر رسول الله تعجب الصحابة من ديباج الأكيدر وقال :"لمناديل سعد بن معاذ في

تجده يصيد البقر، ويظفّرك الله به".

فمضى خالد، فلمّا قرب من قصْره، وهو مع حرمه في قصره، وجاءت بقرٌ وحكّت بقرونها باب قصره؛ فخرج مع نفر من أصحابه يتّبع البقر ليصيدها؛ فأوْقع به خالد، وأخذه، وقتل أخاه حسّان. فقال في ذلك بجير بن بُجْرَة الطّائي:

تبارك سائقُ البقرات إنّـــــــي رأيتُ الله يهدي كلّ هـــــادِ

وهي قصيدة.

الجنة أحسن من هذا "وكتب إليه كتابا بالأمان و لم يكن معه خاتم فختمه بظفره –صلّى الله عليه وسلّم– وجاء في الكتاب: "بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها إنّ له الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسّلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور وبعد الخمس لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات ولا يؤخذ منكم إلاّ عشر الثبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزّكاة بحقها وعليكم بذلك العهد والميثاق ولكم بذلك الصّدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين". وهذا الكتاب هو ما جعل بعض الرواة يقول بإسلامه واعترض ابن الأثير. بعد وفاة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– توقف الأكيدر وجودي بن ربيعة عن دفع الجزية وقاتل الأكيدر عياض بن غنم وعزم نصارى العرب على قتال المسلمين فلما علم بقدوم المدد للمسلمين رأى الصلح وقال :"أنا اعلم النّاس بخالد لا أحد أيمن طائرًا منه ولا أحد في حرب ولا يرى وجه خالد قومًا أبدًا قلوا أو كثروا إلاّ انهزموا عنه فأطيعوني وصالحوا القوم"، فأبوا عليه واتّجه الأكيدر نحو العراق فبلغ خالد ذلك وأرسل في طلبه وضرب عنقه.

انظر ترجمته في: الإصابة – ابن حجر – ج ١ أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص 2130؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ معرفة الصحابة, أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني؛ المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم 41888؛ السّيرة الحلبية؛ المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي؛ السيرة الحلبية؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ تاريخ الطبري.

ومثله: حديث صرد بن عبد الله الأزَدي: بعثَه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وأمره أن يجاهد بمَن معه من قبائل اليمن؛ فمضى ونزل بجَرَش، وهي يومئذ مدينة مُغلَقة. فخرجوا إليه، والْتقوا بجبل يُقال له: كَشْر.

وكان قد أُحضِر عند رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- رجلان من جرش وَفَدا لهم. فبينا هما عنده عشيّةٌ بعد العصْر، قال -صلّى الله عليه وسلّم-: "أيّ بلادكم شكر؟"، فقالاَ: "يا رسول الله! ببلادنا جبَل يُقال له كشر"، فقال: "ليس بكشر ولكنّه شَكْر، وإنّ البدن تُنحر فيه الآن"، فقال أبو بكر للرّجلين: "وَيْحكما! إنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ينْعى إليكما قوْمكما، فاسْألاه أن يدعو الله ليرْفع عن قومكما". فسألاه، فقال: "اللهمّ، ارْفع عنهم". فرجعَا إلى قوْمهما، وقد أُصيبوا في ذلك اليوم، وفي تلك السّاعة.

ووجْهٌ آخر، وهو قريبٌ من هذا الباب، حديث العبّاس بن عبد المطّلب[1] حين أُسّر، فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– له: "افْدِ نفسك، وابنَيْ أخيك: عقيلاً ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وحليفك عتبة بن عمرو[2] بن جحدم، فإنّك ذو مال"، فقال: يا رسول الله، ليس لي مال". قال: "فأيْن المال الذي دفعتَه إلى أمّ الفضل وقلتَ لها: إن أُصِبتُ في سفري هذا. فللْفضْل كذا، ولعبْد الله كذا، ولقثم كذا، ولعبيد الله كذا؟!".

---

[1] هو العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، عمّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، أبو الفضل. كان أسنّ من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بسنتيْن –وقيل: بثلاث–. كان العبّاس رئيسًا في الجاهليّة وفي قري، وإليه كانت عمارة البيت والسّقاية في الجاهليّة. قال ابن عبد البرّ: أسلم العبّاس قبل فتح خبير، وكان يكتم إسلامه، ثمّ أظهر إسلامه يوم الفتح؛ وشهد حنينا والطّائف وتبوك. وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. فلذلك قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يوم بدر: "مَن لقي منكم العبّاس فلا يقتله، فإنّه أُخرِج كُرهًا". تُوفّي سنة 32 هـ.، وصلّى عليه عثمان. ودُفن بالبقيع. وعاش 88 سنة.

حول ترجمته راجع: *الوافي بالوفيّات*، ج/ص629 إلى ص633؛ *نكت الهميان في نكت العميان* للصّلاح الصّفدي، ص175؛ *طبقات* ابن سعد، ج4/ق1/ص1؛ *المحبّر* لابن حبيب، ص16 وص63؛ *طبقات* خليفة، ص10؛ *تاريخ* خليفة بن خيّاط، ص168؛ *تاريخ* البخاري، ج7/ص2؛ *أنساب الأشراف* للبلاذري، (نشرة الدّوري) ج3/ص1 إلى ص42؛ *المعرفة والتّاريخ*، ج1/ص295 وص493؛ *المعارف*، ص118 وما بعدها؛ *ذيل المذيّل*، ص505، وص548؛ *الجرح والتّعديل*، ج6/ص210؛ معجم المرزباني، ص101؛ *جمهرة أنساب العرب* لأبي محمّد ابن حزم الظّاهري، ص17 إلى ص37؛ *الاستيعاب*، ص810؛ *الجمع بين رجال الصّحيحين*، ج1/ص360؛ *تهذيب* ابن عساكر، ج7/ص229؛ *صفة الصّفوة*، ج1/ص203؛ *أسد الغابة*، ج3/ص109؛ *تهذيب الأسماء واللّغات*، ج1/ق1/ص257؛ *تاريخ الإسلام*، ج2/ص98؛ *سير أعلام النّبلاء*، ج2/ص78؛ *العبر*، ج1/ص33؛ *البداية والنّهاية*، ج7/ص161؛ *مرآة الجنان*، ج1/ص85؛ *الإصابة*، ج2/ص271؛ *تهذيب التّهذيب*، ج5/ص122؛ *شذرات الذّهب*، ج1/ص38؛ *العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين* لتقيّ الدّين المكّي، ج5/ص93؛ *معجم الرّجال*، ج3/ص247.

[2] في الأصل: **عمروا**.

وذكر له مقدار ما سمّاه لكلّ واحد منهم. فقال له العبّاس: "وربّ الكعبة، ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرها، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله". ففدى نفسه، وابنيْ أخيه، وحليفه.

ومثل ذلك: حديث ناقته التي ضلّت، فخرج قومٌ في طلبها، وكان زيد بن اللُّصيت[1] منافقًا، وكان في رحل عمارة بن حزم، وكان عمارة عقبيًّا بدريًّا، وكان عمارة جالسًا عند رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فقال: –صلّى الله عليه وسلّم–: "إنّ رجلاً من المنافِقين قد قال: إنّ محمّدًا يزْعم أنّه نبيٌّ، وأنّه يُخبر بأخبار السّماء، وهو لا يدري ناقته أنّى [هي]"؛ فقال–صلّى الله عليه وسلّم–: "والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله، وقد دلّني عليها، هي في وادي كذا من شعْب كذا، قد حبستها شجرة بزمامها"؛ فانطلقوا، فوجدوها هناك. فرجع عمارة إلى أهله، فحدّثهم بذلك، فقال أهله: "زيد بن اللّصيت هو والله قال هذا القول". فأقبل عمارة يجافي عنْقه وقال: "والله إنَّ في رحْلي منافقًا داهيةً، والله لا يصْحبني أبدًا!". فأخْرجه من رحْله.

---

[1] قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– سار حتّى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم، وكان عقبيا بدريا؟ وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقًا. قال ابن هشام: ويقال: ابن لصيب (بالباء) . قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللصيت، وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: أليس محمد يزعم أنّه نبيّ، ويخبركم عن خبر السّماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وعمارة عنده: إنّ رجلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنّه نبيّ، ويزعم أنّه يخبركم بأمر السّماء وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتّى تأتوني بها، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– آنفًا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للّذي قال زيد بن لصيت؛ فقال رجل ممَّن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول: إلي عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر، اخرج أي عدو الله من رحلي، فلا تصحبني.

ومن هذا الوجْه أخبار كثيرة، ومنها أمورٌ كان يخْبر أن تكون بعْده، فكانت كما قال.

من ذلك: قوله -صلّى الله عليه وسلّم- في كسْرى وقيْصر لما بعث حِذّافة بن قيس السّهمي بكتابه إلى كسرى. فلمّا وصَل إليه وقرأ كتابه، شقّه وقال: "يكْتب إليَّ بمثل هذا، وهو لي عبدٌ؟!"، وأمَر أن يعطي حذّافة بن قيس كفًّا من تراب. فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: "مزّق ملْكه وملّكني من أرْضه!"، فكان كما قال.

وكتَب إلى قيصر مع دحية بن خليفة الكلبيّ[1]، فأخذ كتابه ووَضَعه بين فخْذه

---

[1] دحية بن خليفة الكلبي هو سفير رسول الله، -عليه الصّلاة والسّلام-، إلى هرقل ملك الروم وتروي عائشة أن جبريل كان يأتي رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام- في صورة رجل حسن الهيئة يشبه الصّحابي دحية الكلبي. وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرؤ القيس بن الخزرج وهو زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. أسلم دحية بن خليفة قديماً ولم يشهد بدرًا، وكان يشبهه بجبرائيل، وقد تزوّج درة بنت أبي لهب بنت عمّ الرّسول -عليه الصّلاة والسّلام-. قال: أخبرنا يعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى والفضل بن دكين قالوا: حدثنا زكرياء بن أبي زائدة عن عامر الشّعبي قال: شبه رسول الله، ثلاثة نفر من أميّة، فقال: دحية الكلبي يشبه الرسول -عليه الصّلاة والسّلام-، وعروة بن مسعود الثقفي يشبه عيسى بن مريم، وعبد العزى يشبه بالمسيح الدجّال. قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدّثنا أبو عوانة عن مغيرة عن يزيد بن الوليد عن أبي وائل قال: كان دحية الكلبي يشبه النبي -عليه الصّلاة والسّلام-، وكان عروة بن مسعود مثله كمثل صاحب يس وكان عبد العزى ابن قطن يشبه بالدجال. قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن ابن شهاب قال: قال رسول الله : أشبه ما رأيت بالنّبيّ الكريم دحية الكلبي. قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدّثنا حماد بن سلمة بن إسحاق بن سويد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن النّبيّ قال: كان جبرائيل يأتي النبي في صورة دحية الكلبي. قال: أخبرنا خالد بن مخلد قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمّد عن عائشة قالت: وثب رسول الله وثبةً شديدةً فنظرت فإذا معه رجلٌ واقف على برذون وعليه عمامةٌ بيضاء قد سدل طرفها بين كتفيه ورسول الله، واضع يده على معرفة برذونه، فقلت: يا رسول الله لقد راعتني وثبتك، من هذا؟ قال: ورأيته؟ قلت: نعم قال: ومن رأيت؟ قلت: دحية الكلبي قال: ذاك جبرائيل. قال: أخبرنا وكيع بن الجراح عن سفيان بن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد قال: بعث رسول الله، دحية الكلبي سرية وحده. قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن صالح بن كيسان قال :قال ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عبّاس أخبره أنّ رسول الله، كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي وأمره رسول الله أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر. قال محمّد بن عمر: لقيه بحمص فدفع إليه كتاب رسول

وخاصرته، فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "ثبّت ملْكه!"، فكان كما قال.

ومنها: قوله لعليّ[1] –كرّم الله وجهه–: "إنّك تقاتل النّاكثين والمارِقين والفاسِقين"، فقاتل بعْده هذه الفِرَق الثّلاث.

وقوْله في غزوة العشيرة، حين نظر إليه وهو نائمٌ مع عمّار، وقد أصابه من دقعاء التّراب، فوقف عليهما، وأيْقظهما برجْله، وجعَل ينْفض التّراب عن رأس عليّ –كرّم الله وجهه–، ويقول له: "يا أبا تراب! ألا أخبرك بأشْقى النّاس؟". قال: "بلى يا رسول الله!". قال: "رجلان، أحيمر ثمود عاقر النّاقة، والآخر الذي يضربك على هذه، –ووضَع يدَه على هامته– حتّى تبتلّ منها هذه"، وأخذ بلحْيته.

فكان عليّ –كرّم الله وجهه– يقول في أوْقات ملاله أشياء كان يراها من أصحابه، فيضيق صدْره، منها: "ما يمْنع أشقاها أن يُخضّب هذه من هذه".

ومرض مرضًا شديدًا، فقال له أهله: "إنّا نخاف عليك"، فقال: "أنا –والله– ما أخاف على نفسي من مرَضي هذا؛ فقد أعْلمني رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه يقْتلني أشْقى هذه الأمّة".

ومثل هذا: حديث عمّار عند حفر الخنْدق ونظره إليه، وقد أثْقلوه بحمل التّراب، فقال: "يا رسول الله، يقتلونني يحملون عليَّ ما لا أُطيق"؛ فنفض التّراب عن رأسه، ووفرته بيده، وقال: "ويْح ابن سميّة! ليسوا بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئة الباغية"؛ فاستُشْهد بصفّين، وهو مع عليّ –كرّم الله وجهه–.

الله، وذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة. وشهد دحية مع رسول الله المشاهد بعد بدر وبقي إلى خلافة معاوية ابن أبي سفيان.

[1] واسم أبي طالب: عبد المناف بن عبد المطّلب. ويُكنى عليّ أبا الحسن. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هامش بن عبد مناف بن قصيّ. وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم الكبرى. وأمّهم فاطمة بنت الرّسول. لما قُتل عثمان بويع لعليّ بن أبي طالب بالمدينة يوم الجمعة 13 ذي الحجّة من سنة 35 هـ. توفّي مقتولاً بالكوفة في شعبان سنة 38 هـ.

حول ترجمته راجع: *تاريخ الخلفاء* للسّيوطي، ص185 إلى ص211.

وقالوا لعمرو: "ألستَ حدّثْتنا أنّ رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- قال لعمّار: "تقتلك الفئة الباغية؟"؛ فلام معاوية[1] عمرو على ذلك. فقال عمرو: "حدّثتُ النّاس بهذا

---

[1] أبوه: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وابنته هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان. وأبو سفيان من سادات قريش وواحد من ذوي الرأي والحكمة في مكة. أمه: هند بنت عتبة بنت ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي أخت الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة، وتجتمع مع أبو سفيان في عبد مناف بن قصي. ولد معاوية بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة وكان سنه يوم الفتح 23 سنة. وأسلم معاوية يوم فتح مكة وهو من الطلقاء الذين أسلموا من مسلمة الفتح. تولى قيادة جيش إمداد لأخيه يزيد بن أبي سفيان في خلافة أبو بكر، وأمره أبو بكر بأن يلحق به فكان غازيا تحت إمرة أخيه، وقاتل المرتدين في معركة اليمامة، ومن بعد ذلك أرسلهُ الخليفة أبو بكر مع أخيهِ يزيد لفتح الشام وكان معه يوم فتح صيدا وعرقة وجبل وبيروت وهم من سواحل الشام. تولى معاوية بن ابي سفيان ولاية الأردن في الشام سنة 21 هـ في عهد عمر بن الخطاب. وبعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان من طاعون عمواس، ولاّه عمر ولاية دمشق وما يتبع لها من البلاد، ثمّ جمع له الخليفة عثمان بن عفان على ولاية الشّام كلها، فكان من ولاّة أمصارها. وبعد موت عثمان سنة 35 هـ خرج عن أمر خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب ونادى بأخذ الثأر من قتلة الخليفة عثمان ابن عفان وحرض على قتالهم. وقبل ذلك وقعت موقعة الجمل حيث كانت عائشة بنت أبي بكر زوجة النّبيّ محمّد في جيشا يقاتل خليفة المسلمين آنذاك وكان في قيادة الجيش طلحة بن عبيد الله والزّبير بن العوامّ، وكانوا خرجوا جميعا لأخذ الثأر من قتلة عثمان، وبعد موقعة الجمل قاد معاوية جيشاً ضد خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب وكانت موقعة صفين التي انتهت بالتحكيم الجبري، وبعد مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب تولى الحسن بن علي الخلافة فثار معاوية على الحسن وحاربه؛ فما كان من الحسن إلاّ أن حقن دماء المسلمين وأقام عهدًا مع معاوية ينصّ على أنّ الأمر يعود للمسلمين لاختيار خليفتهم بعد وفاة معاوية وهذا ما لم يحدث، وبموجب ذلك العهد تسلم معاوية الحكم فأصبح خليفة المسلمين في دمشق عاصمة دولة الخلافة الإسلامية. توفّي في دمشق عن 78 سنة بعدما عهد بالأمر إلى ابنه يزيد بن معاوية ودفن في دمشق وكانت وفاته في رجب سنة

قبْل أن يكون صفّين، وأنا لا أعلم بأنّ صفّين يكون".

ومن ذلك: حديث أبي ذرّة، فإنّه لما خرج إلى تبوك تخلّف عنه قومٌ، فقيل له: "تخلّف فلان وفلان"، فقال: "دَعوهم، فإن يكنْ فيهم خيرٌ يُلحقهم الله بكم". وأبطأ بأبي ذرّ بعيره، فتخلّف؛ ثمّ أخذ متاعه على ظهره ولحقه، فقيل: "يا رسول الله، قد أقْبل رجلٌ"، فقال:" اللّهُمّ، اجْعله أبا ذرّ". فلمّا دنا، قال: "يرحم الله أبا ذرّ! يمشي وحْده، ويموت وحْده، ويُدفَنُ وحْده". فتوفّي بالرّبذة، ولم يكنْ معه غير امرأته وغلامه؛ فوضَعوه على الطّريق؛ فأقْبل رهطٌ من العراق مارًّا، وفيهم ابن مسعود؛ فقال الغلام: "هذا أبو ذرّ أعينونا على دفْنه". فجعل ابن مسعود يبكي ويقول: "صَدَق رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– حيث (قال): "تمْشي وحْدك، وتموت وحْدك، وتُدفن وحْدك".

ومن قوله –صلّى الله عليه وسلّم– لفاطمة[1] (ع): "أنتِ أوّل أهلي لحوقًا بي"؛ فكان كما قال.

فهذا وجْهٌ آخرٌ من أعلامه. ومثلها كثيرة تشاكلها.

منها: أخبارٌ جاءت في وقت الطّعام والشّراب الذي كثّره الله وبارك فيه، حتّى أَكَل منه وشرب قومٌ كثيرٌ، فشبعوا وروووا.

من ذلك: حديث عليّ –كرّم الله وجهه–، قال: "لما أُنْزِلت: ﴿وأَنْذِر عَشِيرَتَكَ الأقربين﴾[2]، قال لي رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "اصْنع لي صاعًا من طعام،

---

60 هـ كان خلالها واليًا ل 20 عام وخليفة ل 20 عام أخرى. كان معاوية أوّل مَن أوْصى بالملك لولده من الخلفاء.

[1] هي فاطمة بنت رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. توفّيت بعد الرّسول –عليه السّلام– بستّة أشهر، وقيل بثمانية؛ علمًا بأنّه توفّي –عليه الصّلاة والسّلام– في ضحى يوم الاثنين الثّامن من شهر ربيع الأوّل –وقيل: الثّاني عشر منه– سنة إحدى عشرة من الهجرة.

حول ترجمتها راجع: ابن قنفد، *الوفيّات*، ص9.

[2] سورة الشّعراء (26)، الآية 214.

واجعل عليه رِجل شاة، واملأ لنا عسًّا من لبن"، ففعلتُ. فاجْتمع بنو عبد المطّلب، وهم يومئذ أربعون يزيدون رجلاً أو ينقصون.

ثمّ دَعَا بالطّعام، فتناول جذبة من اللّحم، فشقّها، ثمّ ألْقاها في نواحي الصّحفة، [و]قال: "خُذوا باسْم الله!"؛ فأكلوا حتّى ما لهم بشيء من حاجة، ثمّ قال: "اسْق القوْم"؛ فجئْتهم بالعسّ، فشربوا، حتّى رووا منه. وأيم الله إنّ الرّجل منهم ليأْكل ما قدّمتُ ويشْرب مثل ذلك العسّ.

فلمّا أراد -صلّى الله عليه وسلّم- أن يتكلّم، بَدَرَه أبو لهب فقال: "سحَرنا محمّد!"؛ فتفرّق القوْم، ولم يكلّمهم.

ثمّ قال من الغد: "يا عليّ، إنّ هذا سبقني إلى القوْل، فتفرّق القوْم؛ فاتّخذ لنا من الطّعام مثل ما صنعته". ففعلتُ، ثمّ اجتمعوا؛ ففعل مثل ما فعل بالأمس؛ فأكلوا وشربوا، حتّى شبعوا ورووا.

ثمّ تكلّم -صلّى الله عليه وسلّم-، فقال: "إنّ الله أمَرني أن أُنْذر عشيرتي الأقربين"، الحديث المشهور.

ومثل ذلك حديث جابر بن عبد الله الجعفي[1] أيّام الخندق، قال: "ذبحتُ شاة غير جدّ سمينة، وأمرتُ بها، فطُبخت، وصُنع خبزٌ من شعير؛ وقلتُ لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: "أُحبُّ أن تنْصرف معي إلى منْزلي". قال: "نعم"، وأمَر صارخًا؛ فنادى في الخنْدق: "انصرفوا مع رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- إلى منزل جابر". فقلتُ: "إنّا لله، وإنّا إليه راجعون"؛ فأقْبل -صلّى الله عليه وسلّم- وأقْبل النّاس، وقعد -صلّى الله

---

[1] هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، صحابي جليل من الأنصار، يكنّى أبا عبد الله، وقيل: أبُو عبد الرّحمان، والأوّل أصحّ، شهد العقبة الثّانية مع أبيه وهو صبيّ، وقد كان أصغر من شهد العقبة الثّانية، وقال بعضهم: شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد. وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسّنن، روى عنه محمد بن علي بن الحسين، وعمرو بن دينار، وأبو الزّبير المكّي، وعطاء، ومجاهد، وغيرهم. كما روى جابر بن عبد الله علمًا كثيرًا عن النّبي -صلّى اللَّهُ عليه وسلّم- وعن عمر وعلي وأبي بكر وأبي عبيدة ومعاذ بن جبل والزّبير وطائفة، وكان مفتي المدينة في زمانه، شهد ليلة العقبة مع والده، وكان والده من النّقباء البدريين، استشهد يوم أحد، وكان جابر قد أطاع أباه يوم أحد، وقعد لأجل أخواته. وقاتل جابر بن عبد الله مع الرّسول في سبع عشرة غزوة، قال جابر: غزوت مع رسول اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- سبع عشرة غزوة، لم أشهد بدرا ولا أحدًا، منعني أبي، فلمّا قتل يوم أحد، لم أتخلف عن رسول الله -صلّى اللهُ عليه وسلّم- في غزوة قط. وقال الكلبي: شهد جابر أحدا، وقيل: شهد مع النبي -صلّى اللهُ عليه وسلّم- ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وعمي في آخر عمره، وكان يحفي شاربه، وكان يخضب بالصفرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممّن شهد العقبة. وقد استغفر له رسول الله، قال جابر: استغفر لي رسول اللهِ -صلّى اللهُ عليه وسلّم- ليلة البعير خمسًا وعشرين مرة، يعني بقوله ليلة البعير: أنّه باع من رسول الله -صلّى اللهُ عليه وسلّم- بعيرًا، واشترط ظهره إلى المدينة، وكان في غزوة لهم؛ وتوفّي جابر سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين، وصلّى عليه أبان بن عثمان، وكان أمير المدينة، وكان عمر جابر أربعًا وتسعين سنة.

انظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصّحابة؛ سير أعلام النبلاء؛ كتاب الإيمان للقاسم بن سلام؛ المحدث الفاصل بين الرّاوي والواعي للرامهرمزي؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي؛ الأسماء المبهمة في الأسماء المحكمة.

عليه وسلّم- يأْكل ويوردها النّاس، كلّما فرغ قومٌ جاء قومٌ؛ حتّى صدر عنها أهْل الخنْدق، وقد شبعوا، وهم ثلاثة ألف رجل.

ومثل ذلك: حديث ابنة أُخت عبد الله بن رواحة، كانت قد حملتْ تمرًا إلى خالها، وهو يعمل في الخندق؛ فقال لها رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: "هاتيه يا بنيّة!"، فأخذه وهو ملء كفّيْه؛ فدعى بثوْب وبسطه، ثمّ دحى بالتّمر عليه، فسدّد فوق الثّوب. ثمّ أمَر أن يصرخ في أهْل الخندق، وهم ثلاثة ألف، يجيء نَفرٌ وينْصرف آخرون، حتّى صدروا عنه، وبقيتْ على الثّوب بقيّة.

فهذا في باب الطّعام، ومثله أخبار غيرها.

وشبه هذا: فعل المسيح (ع)، كما هو مكتوبٌ في الإنجيل، أنّ المسيح لما سمع بقتْل يوحنّا الصّابغ، انتقل إلى القفر ومعه جمعٌ من المدائن، فرحمهم وأبرأ مرضاهم.

فلمّا كان العشاء، قال له تلاميذه: "المكان قفرٌ، وقد حان أن يسرّح النّاس، فيذهبوا ويشتروا طعامهم"، فقال: "أَطْعِموهم أنتم ما تأكلون". قالوا: "ليس معنا إلاّ خمسة أرغفة وسمكتان!". قال: "ائتوني بها"، وأمَر النّاس أن يتّكئوا رفاقًا، وأخَذ الخبز والسّمكتيْن؛ فبارك عليه، وكسّره، وفرّقه؛ فأكل جميعهم، وشبعوا، وأخذوا فضلة الكسر اثنتيْ عشرة قفّة.

وكان الذين أكلوا: خمسة ألف رجل، سوى النّساء والصّبيان.

فهذا شبيه بما فعَل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في هذا الباب.

وأمّا في باب الماء، فإنّه لما خرج في غزوة الحديبيّة، نزل ثنية المرار، فقيل: "يا رسول الله، ما بالوادي ماء". فنزل عليه، فأخرج سهمًا من كنانته، فأعطاه البراء بن عازب؛ فنزل في قليب من تلك القلب، فغرزه في جوف القليب ناجية بن جندب يميح على النّاس، وهو يقول:

قد علمت جارية يمانيّــة أنّي أنا المائح واسمي ناجية

ببلغة ذات رشاشة واهية

ومثل ذلك: لما كان بتبوك، أصاب المسلمين العطش، حتّى كادوا يهْلكون؛ فأمر -صلّى الله عليه وسلّم- أن يطلبوا الماء في الرّحال، فأتى بأداوة وأمر، فصُبَّت في إناء، ووضع يده فيها.

قال أنس بن مالك[1]: "فرأينا الماء تخلّل من بين أصابعه، كأنّها عيون، ففاضت؛

[1] وهو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وأمّه: أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، النّجاريّة الخزرجيّة. وكنيته حمزة, كناه الرّسول محمّد ببقلة كان يجتنيها، ويقال: أبو ثمامة. ومن أشهر إخوته البراء بن مالك وزيد بن مالك ,وكان له أخ من أمه من أبو طلحة الأنصاري يقال له: أبو عمير، حيث كان النبي محمد يمازحه إذا دخل على أم سليم، فدخل يوماً فوجده حزينًا، فقال: "ما لأبي عمير حزيناً؟ فقالت: يا رسول الله مات نغيره الذي كان يلعب به، فجعل يقول: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟". وُلد قبل الهجرة بعشر سنوات، وكان عمره لما قدم النبي محمد المدينة المنورة مهاجرًا عشر سنين, وتوفي النبي محمد وهو ابن عشرين سنة. كان يخضب بالصفرة: وقيل: بالحناء، وقيل بالورس، وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، وكانت له ذؤابة فأراد أن يجزها فنهته أمّه، وقالت: كان النبي يمدها ويأخذ بها. وداعبه النبي محمّد فقال له: "يا ذا الأذنين". قدم دمشق أيّام الوليد بن عبد الملك [6],ثم رحل إلى البصرة، يحدث الناس، وهو آخر من مات من الصحابة توفّي يوم الجمعة في سنة ثلاث وتسعين بعد الهجرة الموافق لعام 712 م, روى عن الرسول محمد 2286 حديثًا ,اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين. عاش أنس بن مالك مع الرّسول أبرز أيّام حياته فكان لخدمة الرّسول محمد أبلغ الأثر في حياة أنس, نقل من خلالها أنس للمسلمين أخلاق نبيهم في التعامل معه ومع زوجاته ومع مواليه ومع عامة الأمّة, كان الرّسول محمد بالنّسبة لأنس الأب والمربي والقدوة والأسوة الحسنة. وكان أنس حريصًا أشد الحرص في فترة خدمة الرّسول على اقتفاء أثره وحفظ حديثه ومعاملته حتى مع زوجاته, لذلك اكتسب حديث أنس بن مالك أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين حتى حزن كثير من المسلمين لوفاته حتى قال مؤرق العجلي لما مات أنس بن مالك» ذهب اليوم نصف العلم. وكان أنس شديد الإعجاب بشخصية الرّسول محمّد وكان يقول: "كان رسول الله من أحسن النّاس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبيّ". ولم يكن أنس بالنسبة للرسول مجرد خادم ولكنه كان أمين سره ومساعده وتلميذه

وصاحبه ومرافقة وكان يدعو له فيقول: "اللّهمّ أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته". وكان أنس مجاب الدعاء فما دعا لأرض بالمطر إلاّ ثار السّحاب وغشيت الأرض الأمطار حتّى في الصّيف. أبتلي أنس بن مالك في نهاية حياته بمرض البهاق. وضعف جسده حتّى أنّه لم يستطع الصيام فصنع جفنة من ثريد ودعا بثلاثين مسكينًا، فأطعمهم. توفي أنس بن مالك في يوم جمعة من سنة ثلاث وتسعين وهو يقول: لقنوني لا إله إلاّ الله فلم يزل يقولها حتى قبض. وكان ذلك في البصرة. وكان موته بقصره بالطف، ودفن هناك على فرسخين من البصرة، وصلى عليه صلاة الميت قطن بن مدرك الكلابي. وكان عنده عصية للرّسول محمّد، فمات فدفنت معه بين جيبه وبين قميصه. قال قتاده: "لما مات أنس بن مالك قال مورق: ذهب اليوم نصف العلم، قيل: كيف ذلك يا أبا المعتمر؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعالى إلى من سمعه من النّبيّ".

انظر ترجمته في: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور,127/2؛ أنس بن مالك في قصّة إسلام؛ أسد الغابة، ابن الأثير، 80/1 مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 131/2 الموسوعة العربية العالمية سورة الفتح، الآية 18 تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، 331/1؛ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (368/4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، (2336/5)؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، (365/9)، تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، (364/3) البداية والنهاية، ابن كثير، (353/5) الروض الداني والمعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (100/2) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، (8935/1) المتفق والمفترق، الخطيب البغدادي,(19/1) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، (273/7) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (328/5 مسند الشهاب، محمّد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، (376/1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدّين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، (909/15) تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرّحمن أبو الحجاج المزي، (371/3) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، (129/2) كتاب فضل قيام اللّيل والتهجّد، أبو بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّيُّ البغدادي، (14/1) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (428/6) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، (128/2) اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، (96/7) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (364/9) صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، 2-/830 خلاصة الوفا

فرُويَ منها العسْكر مع إبلهم وخيلهم".

ولما انْصرف من تبوك، فبلغ وادي المشقّق قال -صلّى الله عليه وسلّم-: "مَن سبقنا إلى الماء، فلا يسْتقينَ".

فلمّا أتاه، وَقَف عليه، فلم يرَ شيئًا، فقال: "مَن سبق إلى الماء؟"، فقالوا: "فلان وفلان"، فقال:" أوَلمْ أنْههم أن يسْتقوا؟"؛ فلعنهم، ودَعَا عليهم.

ثمّ نزَل، فوضع يده تحت الوشل، ثمّ مسحه بيده؛ فانْخرق الماء، حتّى سمعوا له حسًّا شديدًا؛ فشرب النّاس، واستقوا حاجتهم؛ فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: "لِتسمعنَّ بهذا الوادي، وهو أخْصب ما بين يديْه وخلْفه". فخضب ذلك الوادي بعد ذلك كما قال.

ومثل هذا فعَل موسى (ع)، كما هو مكتوبٌ في التّوراة، أنّ بني إسرائيل لما نزلوا بريّة سيناء، ولم يقدروا على ماء يشربون؛ وضجّ الشّعب إلى موسى وهارون، فكلّم الربّ موسى، فقال له: "خُذ قضيبًا، واجمع الجماعة أنت وهارون، وتكلّم على الصّخرة باسْمي يجرّ ماؤها". فأخرج لهم الماء في الصّخرة، فشرب منه الجماعة كلّها ومواشيها.

فهذا في التّوراة وتصديقه في القرآن؛ قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَومُه أَن اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثنتا عَشَرَة عَيْنًا قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[1].

فهذا شبيه بما فعَله محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- في هذا الباب.

ووجْه آخر من أعلامه، وهو دعاؤه على قوْمٍ، فاستجاب الله له فيهم.

ومن ذلك: دعاؤه -عليه السّلام- على مضر حين آذوه وكذّبوه، فقال: "اللّهُمَّ أشددْ وطأتَك على مضر؛ ابعثْ عليهم سنين كسنّي يوسف". فاحْتبسَ عنهم المطر وقحطوا، حتّى جفّ الشّجر والنّبات، وهلك الخفُّ والظّلف، وأكلوا العهن، واشْتووا القدّ.

بأخبار دار المصطفى، السمهودي، 1-/268- سير أعلام النّبلاء، الذهبي، (402/3) الوافي بالوفيات، الصّفدي، (306/3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (284/2).

[1] سورة الأعراف (7)، الآية 160.

ومن ذلك: دعاؤه على عامر بن الطّفيل وأربد بن قيس[1]، كانَا وفدَا إليه عن بني عامر، فطلبَا منه شرائط، ولم يجبْهما إلى ذلك؛ فقال عامر بن الطّفيل: "والله لأملأنّها عليك خيلاً ورَجْلاً"؛ فدَعَا عليهما حين ولَّيَا عنه وقال: "اللّهمّ اكْفني عامرًا، واهْدِ بني عامر".

فلمّا كان ببعْض الطّريق أرْسل الله إلى عامر بن الطُّفيل الطّاعون، فمات في بيت امرأة من بني سلول، وهو يقول: "أُغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية؟!".

وأرْسل الله على أربد بن قيس صاعقة، فأحْرقته.

وفيه يقول لبيد بن ربيعة، وكان أخاه لأمّه:

أخشى على أربد الحتــوف ولا أرهب نوء السّماك والأسـد

فجّعني الرّعد والصّواعق بالـــ ـفارس يوم الكريهة النّجـــد

فهلكَا في طريقهما، وجاءت بنو عامر، فأسلمتْ.

ومن ذلك: أنّه بعث نفرًا من أصحابه إلى إضم، وفيهم مُحلّم بن جثامة؛ فمَرَّ عليهم في طريقهم عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلّم عليهم، فأمسكوا عن أذاه؛ فقام إليه محلّم بن جثامة، فقتله لأمر كان بينهما، وأخذ بعيره ومتاعه.

فلمّا انْصرفوا، أخبروا به رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فرَفع يديْه وقال: "اللّهمّ لا تغفر لمحلّم بن جثّامة!"؛ فما لبث إلاّ قليلاً حتّى مات، فدفنوه، فلفَظتْه الأرض؛ ثمّ أعادوه، فلفَظتْه الأرْض، حتّى فعلوا ذلك ثلاث مرّات، ثمّ واروه بالحجارة. فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: "إنّ الأرْض لتنْطوي على مَن هو أشرّ[2] منه، ولكنّ الله -عزّ وجلّ- أراد أن يعظكم به".

ومن ذلك: دعاؤه على المسْتهزئين، وهم نفرٌ من قريش كانوا يؤذونه ويسْتهزئون به وبالقرآن، وهم لهب بن أبي لهب، والأسود بن المطّلب، والعاص بن وائل السّهمي،

---

[1] هو أربد بن مقيس بن جزء بن جعفر بن خالد.

انظر: البداية والنهاية/الجزء الخامس/وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن مقيس.

[2] في الأصل: **شر**.

والحارث بن الطّلاطلة[1]؛ كانوا يجْتمعون، فيسْتهزئون. فأوْحَى الله إليه: "أن سلْني فيهم"؛ فوقف حتّى مرَّ عليه لهب بن أبي لهب، فقال: "اللّهُمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك"؛ فأكله الأسد. ومرّ عليه الوليد بن المغيرة، وفي رجله جرح، فأوْمى -صلّى الله عليه وسلّم- إلى رجْله، فانْتقض جرحه حتّى قتله. ومرّ عليه الأسود بن عبد يغوث[2]، فأوْمى إلى بطنه ودعَا

---

[1] هو مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن عبسان، واسمه الحارث بن عمرو بن مزيقياء كان من المستهزئين وكان سفيها، فدعى عليه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- واستعاذ بالله من شره فعصر جبريل عليه السلام بطنه حتى خرج خلاه من بطنه فمات وقيل: بل أشار إليه فامتخض رأسه قبحا، وقتل به عمرو بن الطلاطلة، وهو باطل. وقيل: الحارث بن الطلاطلة وليس بشيء، وهم يغلطون بابن الغيطلة وابن الطلاطلة فيجعلون هذا ذلك، وذاك هذا. قاله ابن الكلبي. وقيل: إن المستهزئين ماتوا في وقت واحد، وما تقدّم ذكره أثبت.

[2] هو الأسود بن خلف بن عبد يغوث القرشي كذا نسبه البخاري في ترجمته وفي ترجمة ابنه محمد وقال ابن السكن يقال أنه من بني جمح ورجحه ابن عبد البر وتعقب ذلك بن الأثير بأنه ليس في بني جمح أحد اسمه عبد يغوث. وقال ابن منده: هو زهري وقال العسكري قال مطين: هو قرشيّ أسلم يوم الفتح وعبد يغوث هو ابن وهب بن زهرة. وكان له ابن يُقال له الأسود بن عبد يغوث وكان أحد المستهزئين ومات على كفره وكان الأسود بن خلف يسمى باسم عمه والله أعلم. وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا بن جريج قال :أخبرني ابن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أبا الأسود رأى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يبايع النّاس عند قرن مصقلة وأخرجه الحاكم من رواية بن جريج وقال فيه أنّ آباه حدّثه أنّه رأى قال البغوي وابن السكن: لم يحدّث به غير بن جريج. وروى البغوي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم بهذا الإسناد أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أخذ حسنًا فقبله وقال: "إنّ الولد مبخلة مجبنة". قال البغوي وابن السكن والدارقطني: تفرّد به معمر، وقال البغوي وابن السكن: ليس للأسود غير هذين الحديثين انتهى. وقد وجدت له ثالثا أخرجه البزار: عن بشر بن معاذ عن فضيل بن سليما عن ابن خثيم عن محمد بن خلف عن أبيه أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أمَره أن يجدّد أنصاب الحرم وأخرجه الطبراني عن البزار وله رابع قال البخاري في تاريخه: حدّثنا معلي حدثنا وهيب عن ابن خثيم حدثني محمّد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث عن أبيه إنهم وجدوا كتابًا أسفل المقام فدعت قريش رجلاً من حمير فقال إنّ فيه لحرفا لو أحد ثكموه لقتلتموني قال فظننا أن فيه ذكر محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- فكتمناه. لأسود بن خلف بن عبد يغوث القرشي كذا نسبه البخاري في ترجمته وفي ترجمة ابنه محمد

عليه، فسُقي ومات. ومرّ عليه الأسود بن المطّلب[1]، فرماه بورقة في وجهه وقال: "اللّهمّ

وقال ابن السكن يقال أنّه من بني جمح ورجحه ابن عبد البر وتعقب ذلك بن الأثير بأنه ليس في بني جمح أحد اسمه عبد يغوث. وقال ابن منده: هو زهري وقال العسكري قال مطين: هو قرشي أسلم يوم الفتح وعبد يغوث هو ابن وهب بن زهرة وكان له ابن يقال له الأسود بن عبد يغوث. وكان أحد المستهزئين. ومات على كفره. وكان الأسود بن خلف يسمى باسم عمّه والله أعلم. وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا بن جريج قال: أخبرني ابن خثيم أنّ محمّد بن الأسود بن خلف أخبره أنّ أبا الأسود رأى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يبايع الناس عند قرن مصقلة وأخرجه الحاكم من رواية بن جريج وقال فيه أن آباه حدثه أنّه رأى قال البغوي وابن السكن: لم يحدث به غير بن جريج وروى البغوي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم بهذا الإسناد أن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أخذ حسناً فقبله وقال: "إنّ الولد مبخلة مجبنة". قال البغوي وابن السكن والدارقطني: تفرّد به معمر وقال البغوي وابن السكن: ليس للأسود غير هذين الحديثين انتهى. وقد وجدت له ثالثا أخرجه البزار: عن بشر بن معاذ عن فضيل بن سليما عن ابن خثيم عن محمّد بن خلف عن أبيه أن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أمره أن يجدد انصاب الحرم وأخرجه الطّبراني عن البزّار وله رابع. قال البخاري في تاريخه: حدّثنا معلي حدّثنا وهيب عن ابن خثيم حدّثني محمّد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث عن أبيه إنّهم وجدوا كتابًا أسفل المقام فدعت قريش رجلاً من حمير فقال إنّ فيه لحرفا لو أحد ثكموه لقتلتموني قال: فظننّا أنّ فيه ذكر محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، فكتمناه.

[1] كان الأسود من المستهزئين، وكان يكنى: أبا زمعة، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه، ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ثم يمكون ويصفرون، وكلم رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– بكلام شق عليه. فدعا عليه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أن يعمي الله بصره ويثكله ولده .فخرج يستقبل ابنه. وقد قدم من الشّام، فلمّا كان في بعض طريقه، جلس في ظل شجرة. فجعل جبريل –عليه السّلام– يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها خضراء، وبشوك من شوكها، حتّى عمي .ويقال: إنّ جبريل –عليه السّلام– أومأ إلى عينيه، فعمي، فشغل عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–. ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأسود، ويكنى: أبا حكيمة، قتله أبو دجانة. ويقال: ثابت بن الجذع. وقتل ابنه عقيل أيضا، قتله حمزة وعليّ –رضي الله تعالى عنهما–، اشتركا فيه. ويقال: قتله عليّ وحده. وقتل الحارث بن زمعة بن الأسود، قتله علي. وقوم يقولون: والحارث بن الأسود نفسه، والأوّل أثبت. وكان الأسود بن

اعْم بصره، واثكله ولده"، ففعل الله ذلك به. ومَرّ عليه العاص بن وائل السّهمي، فأشار إلى رِجله ودعَا عليه، فدخلت الشّوكة في أخمصه، فقتلته. ومرّ عليه الحارث بن الطّلاطلة، فأوْمى إليه ودعَا عليه، فجعل يتقيّأ قيحًا، حتّى هلك: فأنزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ المسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ الله إلهًا آخَرَ فَسَوفَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ووجهٌ آخر من إعلامه: أمورٌ نطَق بها القرآن قبْل أن حدثت، ثمّ حدثت وصحّت، وظهر صدْق ما أنْزل الله على لسانه –صلّى الله عليه وسلّم–.

فمنْها ما صحّت في حياته، ومنها ما صحّت بعد وفاته.

من ذلك: فتْح مكّة، وصلْح الحديبيّة. وقد كان الله –عزّ وجلّ– بشّر بأن يفتح عليه مكّة، حتّى يدخل هو وأصحابه والمسلمون مكّة آمنين، محلّقين رؤوسهم، ومقصّرين

المطلب، يقول: دعوت على محمد أن يكون طريدا في غير قومه وبلده. واستجيب لي. ودعا عليَّ بعمى عيني، فعميت، وأن أثكل ولدي، فثكلتهم. قال الواقدي: ومات الأسود بمكة، وهم يتجهّزون لأحد، وهو يذمرهم، أي: يحثّهم، ويشجعهم في مرضه، وقد قارب المائة. وكان أهل مكّة، لما قتل منهم من قتل منهم ببدر، تركوا البكاء على قتلاهم، كراهة أن يبلغ المسلمين جزعهم فيشمتوا بهم، فسمع الأسود بكاء، فسأل عنه، فقيل: امرأة ضل لها بعير، فهي تبكي عليه. فقال: أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تصاعرت الخدود فبكي إن بكيت على عقيل وبكي حارثا أسد الأسود وبكيهم ولا تسمّي جميعًا وما لأبي حكيمة من نديد على بدر سراة بني هصيص ومخزوم ورهط أبي الوليد ألا قد ساد بعدها رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا قال: وكان الأسود يجلس، ومعه قوم من المشركين، فيقولون: ما ندري ما جاء به محمّد؟ ما هو إلى سجع كسجع الكهان. فنزلت فيهم: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ (سورة الحجر آية 91)، أي: عضة عضة. ويقال: إن الآية نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا ببعضه وكفروا ببعض. والأثبت أنّها نزلت في كفّار قريش. وكانوا يسألون عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، فيقول بعضهم: مجنون، ويقول بعضهم: ساحر، ويقول بعضهم: شاعر، ويتحدّثون عليه ويصدّون النّاس عنه. فأنزل الله –عزّ وجلّ– ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (سورة العنكبوت آية 13). يقول: "أوزار من يصدونه عن الإسلام". وذكر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– عاقر النّاقة، فقال: "كان عزيزا منيعا ، كان كأبي زمعة الأسود بن المطلب فيكم". وكان يقال لأبي زمعة بن الأسود: زاد الراكب.

[1] سورة الحجر (15)، الآيتان 95–96.

حاجّين ومُعتمِرين لا يخافون؛ فقال -جلّ ذكره-: ﴿لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسُولَه الرّؤيا بالحقّ لتَدْخُلنَّ المسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاء الله آمنين مُحَلِّقين رُؤُوسكم ومُقَصّرين لا تخافون فَعَلِمَ مَا لَمَ تَعلَمُوا فجَعَلَ مِنْ دون ذَلِكَ فتْحًا قريبًا﴾[1].

فسهَّل الله له صلح الحديبيّة، وفتَح له بعد ذلك مكّة، وأنْجز وعْده.

فلمّا فتَحها، دخل الكعْبة، وأخذ بعضادتيْ الباب، وأمَر بالصُّور التي كانت في الكعبة فطُلست، وبالأصنام فكُسّرت. وقال: "الحمد لله وحْده، أنْجز وعْده، ونصر عبْده، وهزم الأحزاب وحْده".

فإن قال قائلٌ: فلِمَا اسْتثنى في هذه الآية حين قال: "لتدخلنّ المسْجد الحرام -إن شاء الله- آمنين"، فإنّ الاسْتثناء في أشياء يقع فيها الشّك؛ فقد احتجّ الملحِدون بذلك.

قلنا: لم يشكّ في أنّ الله ينجز له ما وعَده، ولم يكن استثناؤه لذلك، ولكنّه -عزّ وجلّ- كان أدّبه أن لا يقول لشيء إنّه يفعل حتّى يستثني فيه.

وذلك أنّ المشركين كانوا سألوه عن قصّة أصحاب الكهْف، فقال: "أُخبِركم بها غدًا"، ولم يسْتثنِ؛ فانْقطَع عنه الوحْي أربعين يومًا، حتّى قال المشرِكون: "قد قلاه صاحبه وودّعه"، يعنون به: جبرائيل -عليه السّلام-. فأنزل الله -عزّ وجلّ- بعد ذلك: ﴿ما ودّعك ربُكَ ومَا قَلَى﴾[2]، وأنْزل عليه "سورة الكهف"، وقصَّ عليه نبأ الفِتْيَة؛ ثمّ قال له بعْد تمام القصّة: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله﴾[3]، فأدَّبه بذلك. فكان لا يقول بعد ذلك لشيْءٍ أن يكون إلاّ ويسْتثني فيه.

ونزَلت "سورة الكهف" قبيل الهجرة بمكّة، ونزلت "سورة الفتح" بعد الهجرة بالمدينة؛ فلذلك اسْتثنى.

---

[1] سورة الفتح (48)، الآية 27.

[2] سورة الضّحى (93)، الآية 3.

[3] سورة الكهف (18)، الآية 23.

وكان نزل أيضًا في فتح مكّة: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[1]، فوعده -عزّ وجلّ- أن يرُدّه إلى مكّة عوْدًا بعد بدْء ويفْتحها عليه؛ ونزل به القرآن، فأنْجز الله وعْده.

فهذا ما كان في حياته.

ومن ذلك: أنّ فارس غلبت الرّوم على مملكة الجزيرة، فسُرَّت قريش بذلك مخالفة لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وحزن -عليه السّلام- وأصحابه لميْلهم إلى الرّوم، لأنّ هرقل قبلَ كتاب رسول الله وكسرى مزّقه؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: ﴿الم غُلِبَت الرّومُ في أدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون في بِضْعِ سِنِينِ﴾[2]؛ فجاءت الرّوم، وغلبت فارس بعد سبع سنين، وحقَّق الله قوله، وسُرَّ المؤمنون بذلك.

فهذا ما نزل في القرآن قبل أن كان ثمّ صحّ بعد ذلك، وهذا في حياته -صلّى الله عليه وسلّم-.

ومن ذلك: قوله -عزّ وجلّ-: ﴿وَعَد الله الذين آمنوا منكم وعَمِلوا الصّالحات لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض كما استَخْلَفَ الّذين من قبلهم وَلِيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهم الذي ارْتَضَى لَهُمْ ولِيُبَدِّلَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوفِهم أَمِنًا يعبدُونَنِي لا يُشْرِكُون بي شيئًا﴾[3]؛ فحقّق الله قوله، فاسْتخْلَفهم في حياته، وأهْلك أعدائهم، ومكَّن لهم في دارِهم في حياته -صلّى الله عليه وسلّم-، حتّى عبدوا الله، وأقاموا شرائع الإسلام؛ وأباد أهلَ الشّرك. هذا قبْل أن مكَّن أهل الإسلام في الأرض، وفتَح عليهم هذه الفتوح.

ومن ذلك: ما وعَده الله أن ينصره[4] على قريش ببدْر، وأنزل عليه في قوله -عزّ وجلّ-: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمعُ ويُوَلُّون الدّبر﴾[5]. وذلك أنّ أبا جهل قال: "نحن أكثر منه جمعًا،

---

[1] سورة القصص (28)، الآية 85.

[2] سورة الرّوم (30)، الآيات 1 إلى 4.

[3] سورة النّور (24)، الآية 55.

[4] في الأصل: ينصر.

[5] سورة القمر (54)، الآية 45.

وعدّة، وعتادًا، وأقوى قوّة؛ لأنّهم كانوا يزيدون على ألفٍ في خيْل، وسلاح، وشوْكة شديدة.

وكان أصْحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس معه إلاّ فرس المقداد بن الأسود، وفرس الزّبير بن العوّام[1]، كانوا يركبون المطايا، وكانوا خرجوا يطْلبون عير قريش، وفيها الأموال؛ فاجتمعت قريش تنصر بعضها بعضًا.

وكان أصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يودُّون أن يظفروا بالعير، ويأخذوا الأموال. فلمّا فاتتْهم العير وجاءت قريش بشوْكتها هالهم ذلك، فنزل جبرائيل (ع) بهذه الآية، وأنْزل أيضًا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]؛ فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لأصْحابه: "إنّ الله قد بشّرني أن

---

[1] هو الزّبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والعوامّ. وعمّته هي أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد. أمّه الصحابية الجليلة: صفيّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي عمة رسول الله وشقيقة سيد الشّهداء حمزة بن عبد المطّلب. كان من المهاجرين بدينهم إلى الحبشة، تزوّج أسماء بنت أبي بكر وهاجرا إلى المدينة، فولدت له أول مولود للمسلمين في المدينة عبد الله بن الزّبير، ثمّ مصعب بن الزّبير. يعرف الزّبير بن العوام بحواري الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–، كما أنّ الزّبير يعتبر أحد العشرة المبشّرين بالجنّة. قتله غدرا رجل يدعى عمرو بن جرموز، فقد طعنه في ظهره وهو يصلّي, وقد توعد النّبي قاتله بالنّار. وقد دفن الزّبير في أطراف البصرة في موضع يسمى اليوم باسْمه. دُمّر ضريح الزّبير بن العوام بعد هجوم دموي على منطقة البصرة جنوب العراق، وقد تمت إعادة بناء الضريح بعد قيام الدّولة العراقيّة الحديثة وفي عام 2007 م.

انظر ترجمته في: سيرة ابن هشام؛ غريب تفرد به البخاري؛ تاريخ العراق بين الاحتلالين – عبّاس العزاوي، بغداد1954 ، الطّبعة المنقحة, عام 1963 ج 6, ص161.

[2] سورة البقرة (2)، الآية 249.

ينْصّرني عليهم، ووعدَني إحدى الطّائفتيْن: إمّا العير، وإمّا الظّفر بقريْش؛ وقد فاتت العير، وجاءكم جبرائيل (ع) بالنّصر، وقد عرّفني مصارع القوم".

ووَقَف –صلّى الله عليه وسلّم– على مصارعهم[1]، وقال لأصحابه: "هذا مصْرع فلان، وهذا مصْرع فلان"؛ فعرّفهم مصارعهم رَجلاً رجلاً.

فأظْفره الله –عزّ وجلّ– بهم، ولم يخالف أحدٌ مصْرَعه، وحقَّق قوله، وصدق وَعْده؛ ثمّ نزلت: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمْ الله إِحْدَى الطَّائِفَتَيْن أَنَّهَا لَكُمْ وتَوَدُّون أَنْ غَيْرَ ذاتِ الشّوْكةِ تكونُ لَكُمْ ويُريدون اللهُ أنْ يُحَقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرِ الكَافِرِين﴾[2]؛ فحقّق الله قوله، وقطع دابرهم، وقتل فُرسانهم وصناديدهم، وأسّر رؤسائهم وعظمائهم، وانْتقم الله منهم ببطْشه.

وأنْزل أيضًا: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[3]، ونزلت: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ الله وَعْدَهُ إِذْ تَحِسُونَهُمْ بِإذنه حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ﴾[4] إلى قوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخرة﴾[5].

وذلك أنّ كثيرًا منهم كانوا يودّون أن يأخذوا الأموال التي في العير بغير حرب، وكثيرًا منهم رضوا بما اخْتار الله لهم، فنزلتْ أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِين يُحادُّونَ اللهَ ورَسُوله أُولئك في الأذلين كَتَبَ الله لأغلبنَّ أنا ورُسُلي إِنَّ الله قويٌّ عزيز﴾[6].

فهذا نزَل به القرآن قبل أن كان قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُولّون الدّبر﴾[7]. والآية تدلُّ على أنّها نزلت قبل هذه القصّة؛ لأنّ قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجمعُ﴾[8]. هذه السّين تكون

---

[1] في الأصل: **مصراعهم**.

[2] سورة الأنفال (8)، الآية 7.

[3] سورة الدّخان (44)، الآية 16.

[4] سورة آل عمران (3)، الآية 152.

[5] سورة آل عمران (3)، الآية 152.

[6] سورة المجادلة (58)، الآيتان 20–21.

[7] سورة القمر (54)، الآية 45.

[8] سورة القمر (54)، الآية 45.

للمستقبل لا للماضي. وكذلك السّين التي في الآية قصّة الرّوم: ﴿سَيَغْلَبُونَ في بِضْعِ سنينِ﴾[1] تدلُّ على المستقبل.

ونزَلت هذه الآيات بهذه الأنباء قبل أن كانت، ثمّ كانت من بعد ذلك وصحَّت.

وهذا القرآن ينطق إلاّ جاهلٌ عديم العقل.

ومثل مَن ينكر هذه القصص مثْل شيْخ كان يقول بالإرجاء والنّصب، وكان جاهلاً، قال لي يومًا: "ما رأيتُ أكْذب من الرّافضة[2]، يزْعمون أنّ طلحة[3] والزّبير[4] أخْرجَا

---

[1] سورة الرّوم (30)، الآيتان 3-4.

[2] أو الرّوافض. وإنّما سمّوا بالرّوافض لأنّ زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره في أبي بكر، فمنعهم من ذلك فرفضوه، ولم يبق معه إلاّ مائتا فارس. فقال لهم -أي زيد بن عليّ- : "رفضتموني"، قالوا: "نعم"، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم أربع طوائف: الزّيديّة، الإماميّة، الكيسانيّة، الغالية. وفي *مقالات الإسلاميّين* للإمام الأشعري: سمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- نصّ على استخلاف عليّ بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأنّ أكثر الصّحابة ضلّوا بتركهم الإقتداء به بعد وفاة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وأنّ الإمامة لا تكون إلاّ بنصّ وتوقيف، وأنّها قرابة، وأنّه جائز للإمام في حال التّقيّة أن يقول إنّه ليس بإمام... (ص17 من طبعة ريتر). وفي *تاج العروس* للزّبيدي: فرق من الشّيعة. قال الأصمعي: سمّوا بذلك لأنّهم تركوا زيد بن عليّ، كذا نصّ الصّحاح. وفي *اللّسان والعباب* قال الأصمعي: كانوا بايعوا زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -رحمهم الله تعالى-، ثمّ قالوا له: "تبرّأ -وفي بعض النّصوص: اِبرأ- من الشّيخين نقاتل معك"، فأبى وقال : "كانا وزيريْ جدّي -صلّى الله عليه وسلّم-، فلا أبرأ منهما"، وفي بعض النّسخ: "أنا مع وزيريْ جدّي"، فتركوه وأرفضوا عنه... فسمّوا رافضة... (ج5/ص34). وفي *فرق الشّيعة* للنّوبختي: لما توفّي أبو جعفر -عليه السّلام- افترقت أصحابه فرقتين: فرقة منهما قالت بإمامة محمّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، الخارج بالمدينة المقتول بها؛ وزعموا أنّه القائم، وأنّه الإمام المهدي، وأنّه قُتل؛ وقالوا إنّه حيّ لم يمت، مقيم بجبل يُقال له العلميّة... وكان المغيرة بن سعيد قال بهذا القول لما توفّي أبو جعفر محمّد بن عليّ وأظهر المقالة بذلك، فبرئت منه الشّيعة أصحاب عبد الله جعفر بن محمّد -عليهما السّلام- ورفضوه، فزعم أنّهم رافضة، وأنّه هو

الذي سمّاهم بهذا الاسم..." (ص62–ص63). ويستعمل الأشعري والبغدادي والإسفراييني والملطي لفظ الرّوافض بالمعنى العامّ للفظ الشّيعة، ويعدّون من فرقتهم الزّيديّة والإماميّة والكيسانيّة وغلاة... وهكذا يكون معنى رافضة وأسباب تسميتهم بها يدور على عدّة تفسيرات: الأولى: رفض زيد أن يتبرّأ من الشّيخين، وهو يعني أنّ الرّافضة هم الزّيديّة، ولعلّه أطْلق على الشّيعة عمومًا هذا اللّقب من باب إطلاق الجزء على الكلّ (رأي الرّازي، وقد سبق أن ذكره الأشعري في *المقالات*). الثّانية: أنّهم سمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر (رأي الأشعري). الثّالثة: أنّ الذين سمّوا رافضة هم فرقة من الشّيعة (رأي النّوبختي). وقد نُقل عن الطّبري أنّ الشّيعة سمّوا بالكوفة بالرّافضة لكونهم رفضوا زيد بن عليّ.

انظر أيضا مادّة رافضة في *موسوعة الإسلام المختصرة*، ص466.

[3] أبوه: عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أمّه: الصعبة بنت الحضرمي بن عبدة بن ضماد بن مالك من بني الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت وهي أخت الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي. قال أبو عبد الله بن منده : كان رجلا آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط حسن الوجه إذا مشى أسرع ولا يغير شعره. وعن موسى بن طلحة قال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة مربوعا إلى القصر هو أقرب رحب الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم القدمين إذا التفت التفت جميعا. كان طلحة في تجارة بأرض بصرى حين لقي راهبا من خيار رهبانها، وأنبأه أن النبي الموعود سيخرج في مكة، والذي تنبأ به الأنبياء وقد هل عصرة وأشرقت أيّامه. ولم يرد طلحة أن يفوته هذ الموكب، فإنه موكب الهدي والرّحمة والخلاص, وحين عاد طلحة إلى مكة بعد شهور قضاها في بصرى وفي السفر، فكلما يلتقي بأحد أو بجماعة منهم يسمعهم يتحدثون عن محمد الأمين, وعن الوحي الذي يأتيه, وعن الرسالة التي يحْملها إلى العرب خاصّة، وإلى النّاس كافّة. وسأل طلحة أوّل ما سأل عن أبي بكر الصدّيق فعلم أنه عاد مع قافلته وتجارته من وقت قريب، وأنه يقف إلى جوار محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– مؤمنًا أوابا. وحدّث طلحة نفسه: محمّد، وأبو بكر؟؟ تالله لا يجتمع الإثنان على ضلالة أبدا ولقد بلغ محمد الأربعين من عمره، وما عهدنا عليه خلال هذا العمر كذبة واحدة. أفيكذب اليوم على الله، ويقول: إنه أرسلني وأرسل إلي وحيًا...؟؟ فهذا هو الذي يصعب تصديقه. وأسرع طلحة الخطى إلى دار أبي بكر، ولم يطل بينهم الحديث، فقد كان شوقه إلى لقاء الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– ومبياعته أسرع من دقّات قلبه. فصحبه أبو بكر إلى الرسول –عليه الصّلاة والسّلام–، حيث أسْلم وأخذ

مكانه في القافلة المباركة, وهكذا كان طلحة من السّابقين الأوّلين المبكّرين للإسلام. كناه رسول الله محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– عدّة كنى: هو صقر أحد. في غزوة أحد كناه بطلحة الخير. في غزوة ذي العشيرة كناه بطلحة الفياض. في غزوة خيبر كناه بطلحة الجود. المشهور عند المحققين هو أن مروان بن الحكم قتل طلحة يوم الجمل. روي عن علقمة بن وقاص اللّيثي قال: لما خرج طلحة والزّبير وعائشة للطلب بدم عثمان عرجوا عن منصرفهم بذات عرق، فاستصغروا عروة بن الزّبير وأبا بكر بن عبد الرّحمن فردّوهما. قال: ورأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أحلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: "يا أبا محمّد، إنّي أراك وأحبّ المجالس إليك أحلاها. إن كنتَ تكره هذا الأمر، فدعْه". فقال: يا علقمة لا تلمني كنا أمس يدا واحدة على من سوانا فأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدنا إلى صاحبه ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي وطلب دمه. قلت الذي كان منه في حق عثمان تأليب فعله باجتهاد ثمّ تغيّر عندما شاهد مصرع عثمان فندم على ترك نصرته ما، وكان طلحة أول من بايع عليًّا أرهقه قتلة عثمان وأحضروه حتّى بايع، قال البخاري حدثنا موسى بن أعين حدثنا أبو عوانة عن حصين في حديث عمرو بن جاوان قال: التقى القوم يوم الجمل فقام كعب بن سور معه المصحف فنشره بين الفريقين وناشدهم الله والإسلام في دمائهم فما زال حتّى قتل وكان طلحة أوّل قتيل وذهب الزبير ليلحق ببنيه فقتل. قال ابن سعد: أخبرني من سمع إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: قال طلحة إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم أمثل من أن نبذل دماءنا فيه اللّهم خذ لعثمان مني اليوم حتّى ترضى. وروي عن وكيع: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في ركبته فما زال ينسح حتّى مات. وروي عن عبد الله بن إدريس عن ليث عن طلحة بن مصرف أن عليا انتهى إلى طلحة وقد مات فنزل عن دابته وأجلسه ومسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وروى زيد بن أبي أنيسة عن الأنصار عن أبيه أنّ عليًّا قال: بشّروا قاتل طلحة بالنّار. وكان قتله سنة ستّ وثلاثين في جمادى الآخرة وقيل في رجب، وهو ابن ثنتين وستّين سنة أو نحوها وقبره بظاهر البصرة.

انظر ترجمته في: سيرة ابن هشام .ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. محمّد بن طلحة بن عبيد الله سير أعلام النبلاء .ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. تفسير ابن كثير، سورة الممتحنة، تفسير الآية.10. تقريب التّهذيب، ص 765، ترجمة رقم: 8606 رجال حول الرسول – خالد محمد خالد. طلحة بن عبيد الله من كتاب سير أعلام النّبلاء – الذهبي.

عائشة[1] إلى البصرة، وأنّها ركبت الجمل، وحاربت عليًّا بن أبي طالب. قلتُ له: "فما تقول في هذا؟". قال: "هذا حديثٌ وضعه الرّافضة، وهو كذبٌ ليس له أصلٌ".

وكذلك مَن ينْكر هذه القصص ويدْفعها، ويزْعم أنّها لم تكن، فقد ردَّ العيان. وإن أنْكر الآيات التي هي في القرآن، فهو أيضًا ردٌّ للعيان.

ومثال الملحِد في ردّ هذه الأعلام مثال هذا الشّيخ الذي قد ذكرْناه في ردّ ما هو مثل العيان ولا مرية فيه؛ لأنّها أعلام نطق بها القرآن قبل أن كانت، ثمّ كانت بعد ذلك.

ووجْهٌ آخر من أعلامه ممّا جاءت في القرآن، منها: حديث الإسراء، والبُراق، والمعراج، وما أراه الله –عزّ وجلّ– من ملكوت السّماوات والأرض في ليلة الإسراء. فلمّا أصبح حدثّ به النّاس. فأنزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿سُبحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من المسْجدِ الحرام إلى المسْجد الأقْصى الذي باركنا حولَه لِنُريه من آياتنا إنّه هو السّميع البصير﴾[2]؛ فقالت العرب: "ما سمعْنا مثل هذا".

وكانوا يسْألونه عن صفة بيت المقْدس، فجعل يصفه لهم، ثمّ قال: "إنّي مررتُ بعير بني فلان بوادي كذا، وأنا متوجّه إلى المسْجد الأقْصى، فأنْفرها حسُّ الدّابة، فندّ لهم بعير، فدلّلتهم عليه. فلمّا أقبلتُ، مررتُ بعير بني فلان، فوجدتُ القوم نيامًا ولهم إناءٌ فيه ماء قد غطّوه؛ فكشفتُ غطاءه، وشربتُ ما فيه، وغطّيتُ عليه كما كان". وآية ذلك: أنّ

---

[4] هو الزّبير بن العوامّ، أحد الصّحابة العشرة. توفّي في سنة ستّ وثلاثين، وسنّه وستّون سنة.
حول ترجمته راجع: ابن قنفد، *الوفيّات*، ص10.

[1] هي عائشة بنت أبي بكر الصدّيق. تزوّجها الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– قبل الهجرة بثلاث سنين. وكان لها يوم تزوّجها ستّ سنين، فكان لها عند موته ثمان عشرة سنة. وتوفّيت هي في خلافة معاوية سنة 58 هـ.، ولها 67 سنة، ودُفنت بالبقيع.
حول ترجمتها راجع: *طبقات* ابن سعد، ج8/ص58؛ *الاستيعاب* لأبي عمر بن عبد البرّ، ص1881؛ *أسد الغابة* لعزّ الدّين ابن الأثير الجزري، ج5/ص501؛ *الإصابة* لابن حجر العسقلاني، ج8/ص139؛ *حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصفهاني، ج2/ص43؛ *تهذيب التّهذيب*، ج12/ص433؛ *صفة الصّفوة* لابن الجوزي، ج2/ص6.

[2] سورة الإسراء (17)، الآية 1.

بعيرهم الآن يصوب من البيضاء ثنيّة التّنعيم، يقدّمها جمل أورق عليه غرارتان: إحداهما[1] سوداء، والأخرى برقاء. فابْتدر القوم الثّنيّة، فأوّل ما لقيهم: الجمل كما وصَفه. وسألوهم عن الإناء، فأخبروهم أنّهم وضعوه مملوءً وغطّوا عليه، وأنّهم لما هبّوا، وجدوه فارغًا مغطّى. وسألوا القوْم الآخرين، وهم بمكّة، عن خبر البعير الذي ندّ لهم، فقالوا: "ندّ لنا بعير، فسمعْنا صوت رجل يدعونا إليه، فأخذناه".

فهذه من دلالاته التي نطَق بها القرآن.

ولما نزل ذلك، سمعه المشرِكون، وسمعوا هذه القصّة، وطالبوه بذلك؛ فكان حديثها ما ذكرناه، والقرآن ينطق بأنّ ذلك كان بمحْضر منهم.

ومن ذلك: حديث انْشقاق القمر. وذلك أنّ أبا جهل قال لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "إن كنتَ نبيًّا، فأْتِ بآية، كما أتتْ بها الرّسل لنؤمن لك، فأْتِ بآية من السّماء لا من الأرض!". فدعا –صلّى الله عليه وسلّم– ربّه، فانْشقّ القمر والْتقى طرفاه على جبل أبي قبيس. فقال أبو جهل: "يا معشر قريش، إنّ محمّدًا قد سحَر القمر، فانظروا مَن يُقدَّم عليكم من النّواحي هل رأوا ما رأيتم؟". فكان مَن يُقدَّم عليهم يحدّثهم بانْشقاق القمر. فقال أبو جهل: "هذا سحرٌ ذاهبٌ في الدّنيا!". فأنْزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشقَّ القَمَرُ وإِنْ يَرَوْا آية يُعرِضُون ويقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[2].

فهذا ما نطق به القرآن، ولو لم يكن ذلك لطالبوه، ولقالوا: "أين هذا الذي تدّعي من انْشقاق القمر؟"، ولكنّهم شاهدوه ورأوه. ويصحّح ذلك قوله: ﴿وإِنْ يَروا آيةٌ يُعْرِضوا وَيَقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾[3].

فهذا يدلّ أنّه قد كان، وأنّهم قالوا إنّه سحْرٌ مُستمِرٌّ لما رأوه مُنشقًّا؛ وقالوا عند ذلك: "هو من السّحْر، هذا سحْرٌ من سِحْره وحيلة من حيله".

---

[1] في الأصل: **أحدهما**.

[2] سورة القمر (54)، الآية 1.

[3] سورة القمر (54)، الآية 2.

وهذه القصّة كانت بمكّة قبل الهجرة، وأعداؤه متوافرون يتطلّبون عليه العثرات. وهذه السّورة مكّية، والقرآن لا يقع فيه تغيير، وتبديل، وزيادة، [و]نقْصان؛ وليست سبيله سبيل الخبْر الذي ادّعى الملحِد أنّه نقله واحدٌ واثنان وثلاثة، وأنّه يجوز عليه التّواطؤ؛ لأنّ الذي نزَل به القرآن سمعه الكافِرون، كما سمعه المسلمون؛ ونطق بهذه القصص بمشْهد من كفّار قريْش، وغيرهم من العرب، ومن أهل الكتاب. ثمّ ظهرت حقيقتها بعد نزول القرآن، وظهر صدقُ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– فيها؛ ثمّ القرآن نقلتْه الأمّة بأسْرها، ولم يقع فيه زيادة ونقصان.

فهذا أوْكد من أن يقدر أحدٌ على إنكاره، إلاّ أن يجْحده على معرفة ويقين، أو مكابرة، أو يقول إنّه سحرٌ وكَهانةٌ، كما قاله مَن شاهد هذه الآيات؛ أو يكون جاهلاً أحْمق مثل الشّيخ الذي ذكرنا قوله في شأن عائشة، وحديث الجمل؛ وإلاّ فمَن يقدر أن ينْكر حديث غَلَبة فارس على الجزيرة، ثمّ غلبة الرّوم بعد ذلك، فيقول: "إنّ هذا لم يكن"، أو ينْكر حديث غزْوَة بدْر، أو يقْدر أن يقول إنّ هذا الذي نطق به القرآن في هذه القصص هو شيء قد زِيد فيه؟!

ومَن ردّ هذا، فقد ردّ العيان. ونعوذ بالله من الكفْر والطّغْيان.

الباب السّادس

في شأن القرآن

قد ذكرْنا بعض دلائل محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، كما اشترطْنا، دون ذكر الجميع، لأنّها كثيرة جدًّا؛ ولم نشْرح قصّة كلّ دلائله، ولا ذكرْنا حديثها بكامله؛ بل اختصرْنا، واقتصرْنا على تلك النّكت.

ولسْنا نحتجّ بها على الملحِدين، إذ كانت أمورًا قد مضَت، وإن كان منها ما هو شبه العيان؛ على حسب ما قلنا من حديث غلبة الرّوم، وانْشقاق القمر، وغير ذلك. ومنها ما تنطق به كتب الأنبياء، وهي في أيدي أهل الذّمّة.

ولكنّا نقول في جواب قول الملحِد في شأن القرآن، وما طالب به محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– العرب أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عنه.

فقال الملحِد: إنّكم تدّعون أنّ المعْجزة قائمة موجودة، وهي القرآن، وتقولون: "مَن أنكر ذلك، فلْيأتِ بمثْله".

ثمّ قال: إن أردْتم بمثْله في الوجوه التي يتفاضل بها الكلام، فعلينا أن نأتيكم بألفٍ مثْله من كلام البُلَغاء، والفُصَحاء، والسُّجَّعاء، والشُّعَراء؛ وما هو أطْلقُ منه ألفاظًا، وأشدُّ اخْتصارًا في المعاني، وأبْلغُ أداءً وعبارة، وأشكلُ سجعًا. فإن لم ترضوا بذلك، فإنّا نطالبكم بالمثل الذي تُطالِبون به.

ثمّ قال على أثر هذا الكلام: قد، والله، تعجّبنا من قولهم في كلام هو، في حكاية أساطير الأوّلين، مملوءٌ مع ذلك تناقضًا من غير أن تكون فيه فائدة أو بيّنة على شيءٍ، ثمّ يقولون: "فأْتوا بمثل هذا".

هذا قوْل الملحِد.

ونحن نقول: إنّ الملحِد لم يخْطئ سنّة مَن تقدّمه من أهل الكفْر والضّلالة حين قالوا: "قد سمعْنا؛ لو نشاء لَقلْنا مثل هذا، إنّ هذا إلاّ أساطير الأوّلين".

فهكذا قال الملحِد مثل قولهم، حذْو[1] النّعل بالنّعل، والقذّة بالقذّة؛ ولكنّه قال ولم يفعل، ولا يقْدر أمثاله من الملحِدين أن يفعلوا. وما مثله في هذا القول إلاّ كمَن يقول: "إنّي أخْلق مثل السّموات والأرض"، ثمّ لا يقْدر أن يخْلق.

وقوله: "جنون" يُضحَك منه، لأنّ السّموات والأرض الله خلقها، ولا يقْدر على مثل خلْقها غيره. وكذلك القرآن الله أنْزله، ولا يقْدر أن يأتي بمثله غيره. وفيه من المعجِز نحْو ما في خلق السّموات والأرض. وسوْف نكْشف عن ذلك -إن شاء الله تعالى-.

ثمّ قال: وأيم الله لو وجب أن يكون كتابٌ حجّة، لَكانت كتب أصول الهندسة *والمجسطي* الذي يؤدِّي إلى معرفة حركات الفَلَك والكواكب، ونحو كتب المنطق وكتب الطّبّ، التي فيها علوم مصْلحة الأبدان، أوْلى بالحجّة ممّا لا يفيد نفعًا، ولا ضرًّا، ولا يكْشف مستورًا -يعني به: القرآن العظيم-.

وقال أيضًا: مَن ذَا يعْجز عن تأْليف الخُرافات بلا بيان ولا برْهان، إلاّ دعاوى أنّ ذلك حجّة.

وهذا بابٌ إذا دعا إليه الخصْم، سلّمناه وتركْناه وما قد حلّ به من سكْرة الغفْلة والهَوى، مع ما أنّا نأْتيه بأفْضل منه من الشّعر الجيّد، والخُطب البليغة، والرّسائل البديعة، ممّا هو أفْصح، وأطْلق، وأسْجع منه. وهذه معاني تفاضل الكلام ذاته.

فأمّا تفاضل الكلام على الكتاب، فلأمور كثيرة فيها منافع كثيرة، وليْس في القرآن شيءٌ من ذلك الفضْل، إنّما هو في باب الكلام، والقرآن خلوٌ من هذه التي ذكرناها.

هذا قول الملحِد -لعنه الله-، واحتجاجه، وطعْنه على القرآن الذي هو كتاب محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- ومعْجزته، وكلام الله -عزّ وجلّ-؛ وجهْله بما فيه من الأمور العظيمة التي: ﴿لو اجْتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثْله لعجزوا عنه ولو كان بعضُهم لبعض ظهيرًا﴾[2]، كما قال الله -عزّ وجلّ-.

---

[1] في الأصل: **حذوا**.

[2] سورة الإسراء (17)، الآية 88.

ونحن نكْشف عن حقيقة ما في القرآن من الأمور الجليلة والمعْجز العظيم ببرْهان واضح، ليعلم مَن هو على مذْهب الملحِد أنّه ليْس في العالم مُعجِزٌ أكثر منه، ولا دلالة أكْبر منه؛ وليعْرف الملحِدون أنّ القرآن هو عظيمُ الشّأن، رفيعُ البنْيان، واضحُ البرهان؛ وأنّه نورٌ ساطعٌ لِمَن اسْتضاء به، ودليلٌ هادٍ لِمَن عرفه، وحجّةٌ قاهرة لِمَن خاصم به، وعِلْمٌ زاهر لمن وعاه، وحكمةٌ بالِغة لمن نطق به، وحبلٌ وثيقٌ لمن تعلّق به، وفوزٌ ونجاةٌ لمن آمن به؛ وأنّ نفعه للأنام أعظم، ومقداره أجلُّ من أن يُقاس بالمجسْطيّ، وكتب الهنْدسة، والطبّ، والمنطق، والنّجوم، التي ذكرها الملحِد، وجعلها نظائر للقرآن؛ بل فضّلها عليه، لِضُعف عقْله، وعمى قلْبه، وقلّة معْرفته؛ ولضلالته، ولغلبة هواه.

وندع الاحْتجاج على الملحِد بالآيات والمعجِزات التي جاءت عن الأنبياء (ع)، وعن محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، على حسب ما اشترطْناه، إلاّ بالقرآن العظيم، ولِمَا فيه من الدّلائل الواضحة القائمة في العالم، وإن جحَدها الملحِدون.

فليس هم بألْوَم في جحودهم الآيات التي مضتْ أيّامها من الذين شاهدوا تلك العجائب، فردّوها. إنّما يُلامون على ما بلوا به من العمى، والضّلال، والإنْكار للمعْجز العظيم الذي هو في القرآن، لأنّه شاهِدٌ قائمٌ في العالم، وقبلوه لمن عبر، ألْزم منه لمن مضى؛ والحجّة عليهم أوْكد، لأنّ برْهانه يزْداد على مرّ الأيّام إيضاحًا.

فأمّا المعجِزات التي قُصَّت، فإنّهم لا يُلامون على دفْعها، لأنّ الذين شاهدوها، ورأوها بأبْصارهم، وسمعوها بآذانهم، وباشروها بأنفسهم، دفعوها، وكفروا بها، ونسبوا الأنبياء (ع) إلى السّحْر، فيما ظهَر لهم من بعد أن طالبوا بها الرُّسل (ع). فلمّا أتوا بها، جحدوها وقالوا: "هذا سحرٌ مبينٌ، وهذا ساحرٌ كذّابٌ".

فمنْهم مَن عاجلته نقمة ربّه، ومنهم مَن أمْلى لهم ليزدادوا إثمًا، وقد باؤوا كلّهم خاسرين لدنياهم وأخراهم؛ كما سأل أصحاب صالح (ع) أن يُخرج لهم من الصّخرة ناقة تمخض؛ فخرجت، ونتجت سقيًا، كما حكى الله -عزّ وجلّ- عنهم في قولهم لصالح: ﴿إنّما أنت من المسحِرين ما أنت إلاّ بشرٌ مثلنا فأْتِ بآيةٍ إن كنت من الصّادقين قال هذه

ناقة الله شِربٌ وَلَكُم شربٌ يومٌ معلوم﴾[1]، ثمّ عقروها ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بِما تعدنا إن كنت من المرْسَلين فأخذتهم الرّجفة﴾[2].

وحديثها مشهورٌ عند أهل الملل وعند غيرهم، لأنّ العرب من أهل الجاهليّة كانوا يعرفون شأن النّاقة، والعذاب الذي نزل على القوْم الذين عقروها، حتّى رغا السّغب، وحديث الوفْد الذي خرجوا إلى مكّة يدعون الله أن يصرف عنهم العذاب.

وذلك مشهورٌ في أشعار الجاهليّين الذين لم يكن لهم كتابٌ، ولا إيمان، كما قال زُهيْر، وهو جاهليّ:

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أشأم كلّهم كأحمرِ عادٍ، ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

يعْني بأحْمر عاد: عاقر النّاقة، لأنّهم ضربوا المثل به في الشّؤم.

وقال ابن أحمر، وهو مخضرميّ، يذكر القيل الذي وقد إلى مكّة مع قوم عاد ليدعوا الله أن يصرف عنهم العذاب، فشربوا ولهوا، حتّى نزل العذاب على قومهم:

كَشَرَابِ قَيْلٍ عَنْ مَطِيَّتِـــــه وَلِكُلِّ أَمْرٍ وَاقِعٍ قَـــــــــدَر

ومثل حديث موسى (ع) لما سأله فرعون أن يكْشف عنه وعن قوْمه ما نزل بهم من أنواع العذاب. فلمّا كشف الله عنهم العذاب، نكثوا وكفروا، كما حكى الله –عزّ وجلّ– عنهم فقال: ﴿قالوا يا موسى ادعُ لنا ربّك بما عَهِد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لَنؤمننّ لك ولَنرسلنّ معك بني إسرائيل فلمّا كشفْنا عنهم الرّجز إلى أجلٍ هم بالغوه إذ هم ينكثون﴾[3]؛ فكان هذا دأْبه ودأْب موسى.

فلمّا نزلت آية من الجراد، والقمل، وغير ذلك، سأل أن يكشف عنهم؛ ثمّ نكثوا، وكفروا؛ ثمّ فزع إلى السّحرة وجمعهم، وكان ذلك زمان السّحر.

فلمّا حضروا، ورأوا فعل موسى (ع)، علم السّحَرة أنّه ليس من جنْس السّحْر الذي يستعمله السّحَرة، لأنّهم كانوا من العلماء بالسّحر، وعرفوا صدْق قوله، وأثّر

---

[1] سورة الشّعراء (23)، الآيات 153إلى 155.

[2] سورة الأعراف (7)، الآية 77.

[3] سورة الأعراف (7)، الآيتان 134-135.

في أنفسهم فعْل موسى وقوّة الوحْي، فآمنوا واعترفوا بنبوّتهم؛ فهدّدهم فرعون، وأوْعدهم بالقتْل، والصّلب، وقطْع الأيدي والأرجل؛ فلم يرجعوا من ذلك يقينًا منهم بأنّ فعْل موسى ليس بسحْر، وقالوا: "لن نُؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا، فاقْض ما أنت قاضٍ".

ولم يؤمن بما أظهر موسى من أمْر العصا وغيره من المعجزات إلاّ السّحَرة، لِمَا قد ذكرنا أنّهم كانوا معْدن السّحر، وعرفوا أنّ فعْله ليس بسحْر.

فأمّا فرْعون وقوْمه الذين جهلوا ذلك، فلم يزدادوا إلاّ طغيانًا، وكفرًا، وعتوًّا، واستكبارًا؛ ودفعوا تلك الآيات التي عاينوها، وقالوا: "هو سحْرٌ"، وقالوا إنّ موسى كبيرهم الذي علّمهم السّحْر.

وهكذا فعَل سائر الأمم بأنبيائهم، كما فعلوا بعيسى، حتّى أحيا لهم المْوتى، وعمل تلك الجرائح العظيمة وعاينوها، فقالوا: "هذا سحْرٌ".

وهكذا فعَلوا بمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-: كانوا يطالبونه الآيات، وكلّما رأوا آية، قالوا: ﴿هذا سحرٌ﴾[1]، كما قالوا لما انْشقّ القمر: هذا ﴿سحرٌ مستمرٌّ﴾[2].

ثمّ عاندوه، وطالبوه بأمور عظيمة، فقالوا: ﴿لنْ نؤمِن لك حتّى تفجّر لنا من الأرض ينبوعًا أو تكون لك جنّة من نخيل وعنبٌ فتُفَجّرَ الأنهار خلالها تفجيرًا أو تُسْقِطَ السّماءَ كما زعمت علينا كِسْفًا أو تأتيَ بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيْت من زخْرف أو ترْقي في السّماء ولن نؤمنك لرُقيّك حتّى تنزّل علينا كتابًا نقرؤه﴾[3]. فكانوا يسْألونه هذه الآيات العظام. فقال الله -عزّ وجلّ-: ﴿قُل سبْحان ربّي هل كنت إلاّ بشرًا رسولاً﴾[4]، أي أنّ هذه القوّة هي لله -عزّ وجلّ-، ولا يقْدر أن يأتي بشيء منها إلاّ ما يؤيّده الله به، وأنّه يفْعل ما يؤمَر به. فإن أعطاه الله آية أظهرها، وإلاّ فلم يسألها؛ لأنّ الله -عزّ وجلّ-

---

[1] سورة الزّخرف (43)، الآية 30.

[2] سورة القمر (54)، الآية 2.

[3] سورة الإسراء (17)، الآيات 90 إلى 93.

[4] سورة الإسراء (17)، الآية 93.

قد كان أعْلمه أنّهم لا يؤمنون بالآيات وينْسبونه إلى السّحر، فقال –عزّ وجلّ–: ﴿ولو نزّلنا عليك كتابًا في قرطاسٍ فلمسوه بأيديهم لَقال الذين كفروا إنّ هذا إلاّ سحْرٌ مبينٌ﴾[1]. وقال: ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموْتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قُبلا ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله﴾[2]. وأعلمه –عزّ وجلّ– أنّ سبيله سبيل مَن تقدّمه من الأنْبياء (ع)، فقال: ﴿قالوا لولا أُوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أُوتي موسى من قبلُ قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنّا بكلّ كافرون﴾[3].

ومثل هذا في القرآن كثيرٌ، ممّا يدلُّ أنّ الذين شاهدوا الآيات والمعْجزات من الأنبياء (ع) لم يؤمنوا بها، ونسبوها إلى السّحر، وسمّوا الأنبياء: سَحرةً؛ فكيف يؤمّن الملحِدون بآيات محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– التي مضت، ولم يعاينوها، ولا يقرّون بأنّ لها حقيقةً، ويزعمون أنّها لا تصحُّ شهادةً لأهل الشّريعة؟!

ولكنّا نحتجُّ عليهم بما هو قائمٌ في العالم من معجز محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– مشهورٌ واضحٌ؛ وبرْهانه معه يشهد أنّه ليس من فعْل السّحَرة؛ وأنّه ليس في وسْع المخلوقين أن يأتوا بمثْله، ولا يقْدر على دفْعه إلاّ معاندٌ؛ لأنّ فعْل السّحَرة يبْطل ولا يثْبت في العالم، ومعْجز محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، الذي هو القرآن، قد خلّد على الدّهر، ويزداد قوّةً على مرور الأيّام.

وسوْف نكْشف عن البرهان فيه ليَعلم الملحِدون أنّ الأمْر كما دعَا إليه –صلّى الله عليه وسلّم– العرب حين قالوا: "لو نشاء لَقلنا مثل هذا"، فقال الله –عزّ وجلّ– ردًّا عليهم: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادْعوا مَن استطعتم من دون الله إنّ كنتم صادقين﴾[4].

---

[1] سورة الأنعام (6)، الآية 7.

[2] سورة الأنعام (6)، الآية 111.

[3] سورة القصص (28)، الآية 48.

[4] سورة يونس (10)، الآية 38.

ثمّ عرّفهم عجْزهم، فقال: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النّار التي وقودها النّاس والحجارة أُعِدّت للكافرين﴾[1].

فقوله: ﴿فإن لم تفعلوا﴾[2] يعني أنّهم لم يفعلوا ما ادّعوا أن يأتوا بمثْله.

وقوله: ﴿ولن تفعلوا﴾[3]، أي لا تفْعلون فيما بعد أبدًا.

ثمّ عرّفهم أنّ ذلك ليس في وسْع الخلائق، فقال: ﴿لئن اجتمعتْ الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثْل هذا القرآن لا يأتون بمثْله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾[4].

وقد قدّمْنا القول إنّ الملحِد لم يخطئ سُنّة مَن تقدّمه حين زعم أنّه يأتي بألْفٍ مثْله، فإنّه لم يحْصل من هذه الدّعْوى على أكثر من أن صار في جملة مَن ذكره الله حيث يقول: ﴿ومَن قال سأُنزل مثلَ ما أنزل الله ولو ترى إذ الظّالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كُنتم تقولون على الله غير الحقّ وكنتم عن آياته تسْتكبرون﴾[5].

على أنّا نقول في جوابه، حين زعم أنّ الشّعر، والخُطب، والسّجع، وغير ذلك هو مثل القرآن، أنّه قد أحال في هذه الدّعوى، لأنّ الذي يجْمعه القرآن لا يجْمعه شيءٌ ممّا ذكره اللّفظ دون القوّة العظيمة التي هي فيه. فإنّ كلّ صنْف ممّا ذكره هو نوعٌ واحدٌ.

فالشّعر هو كلام فصيحٌ موزونٌ بالأعاريض، وهذه فضيلة لا غير؛ والخُطَب البليغة هي فصاحة وإيجاز لفْظ لا غير؛ والسّجع هو كلامٌ فصيحٌ مُسجَّعٌ لا غير، إلاّ ما كان من سجع الكُهّان، فإنّه يجْمع ذلك إلى تلك الأسباب التي كانوا يخْبرون بها لا غير؛ والقرآن يجْمع هذه المعاني كلّها التي هي في الشّعْر، والخُطب البليغة، والسّجْع في ظاهر الأمْر، دون سائر الأسباب التي يجمعها.

---

[1] سورة البقرة (2)، الآية 24.

[2] سورة البقرة (2)، الآية 24.

[3] سورة البقرة (2)، الآية 24.

[4] سورة الإسراء (17)، الآية 88.

[5] سورة الأنعام (6)، الآية 93.

ونحن نذْكرها ونشرح الحال بها –إن شاء الله–، فنقول:

إنّ العرب اشْتبه عليهم الأمْر فيه، لأنّه جمع هذه المعاني كلّها. فقالوا مرّة: هو شعرٌ، فشبّهوا السّور بالقصائد، والآيات بأبيات الشّعراء؛ كما قالت أمّ جميل بنت حرب بن أميّة[1]، امرأة أبي لهب –حمّالة الحطب–، لما نزلت "سورة تبّت"، أخذت فِهْرًا تريد أن تضرب به رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وكان جالسًا عند الكعبة ومعه أصحابه، فقالت لهم: "قد بلغني أنّ محمّدًا هجاني، ووالله لو وجدْته لضربتُ بهذا الفهر[2] رأسه، وإنّي والله لَشاعرة، ثمّ قالت:

مذمّمًا عَصَيْنَـــــــــــا

وَدِينُهُ أَبَيْنَـــــــــــا

---

[1] أمّ جميل، زوجة أبو لهب بن عبد المطلب، غضبت عندما نزلت سورة المسد وازداد كرهها للرّسول الإسلام رغم أن ولديها عتبة وعتيبة تزوجا بنتي الرّسول، وهما أمّ كلثوم ورقية. وهي: أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأخرج ٍابن جرير والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس في قوله: ﴿وامرأته حمالة الحطب . قال: كانت تحمل الشّوك فتطرحه على طريق النبي ليعقره وأصحابه. وأخرج ابن أبي الدّنيا في ذم الغيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد: وامرأته حمالة الحطب﴾. قال: كانت تمشي بالنميمة في جيدها حبل من مسد من نار. حسب روايات إسلامية، خرجت أم جميل ذات يوم غاضبة حتى وصلت إلى الرّسول، وكان جالسًا مع أبي بكر عند الكعبة، وكان في يدها حجر أرادت أن تضربه به فذهب بصرها فلم تره وقالت لأبي بكر: أين صاحبك قد بلغني انه يهجوني، والله لو وجدته لضربته بهذا الحجر، ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله أما رأتك؟ قال لا، لقد أخذ الله بصرها عني. فراحت تضغط على ولديها عتبة وعتيبة ليطلقا بنتي الرّسول. ثمّ عاد عتبة إلى أبي لهب وأخبره ثمّ خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير، وقال: إنّ هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معشر قريش هذه اللّيلة، فإنّي أخاف على ابني عتبة من دعوة محمّد. فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة، فجاء السّبع يتشمم وجوههم حتّى ضرب عتبة فقتله.

[2] في الأصل: **الفهرس**.

فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "لو رأتْني لَمَا قالت ما قالت، ولكن قد أخذ الله ببصرها".

فهكذا، مرّة شبّهوه بالشّعر، ومرّة شبّهوه بالخطب البليغة لِمَا فيه من إيجاز القول، وسهولة الألْفاظ، وإحكام المعاني؛ ومرّة شبّهوه بسجع الكهّان لِمَا فيه من مشاكلةٍ للسَّجْعِ؛ ولأنّ الذي كان يخْبر به محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– من الأمور الغائبة كان يصحّ؛ كما كان الكاهن يسجع بأشياء، ثمّ يقع ذلك الأمْر الذي يخبر به؛ كما سجع سطيح الشّامي –الكاهن– في أمْر الحادثة التي كانت ببلاد العجم، ليْلةَ وُلِد رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– من ارتجاس الإيوان، ورؤيا الموبذان، وغير ذلك.

فسجع حين سُئل عن ذلك، وأخْبر بما يكون من أمْر محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، فخرج الأمْر كما قال، وحديثه مشهورٌ.

فمن أجل ذلك شبّهوا القرآن بسجع الكهّان، وقالوا لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: هو كاهنٌ. كما ذكرنا أنّه كان يخْبر بأمور غائبة ثمّ تصحّ.

فاشْتبه على العرب أمْر القرآن، فمرّة قالوا: "هو شعرٌ"، ومرّة قالوا: "هو سجْع الكهّان"، ومرّة قالوا: "هو بلاغة وفصاحة، ولو شئنا لَقلْنا مثل هذا".

ولما أعيَتْهم الحِيل، ولم يدروا من أيّ صِنْفٍ هو، اجتمعوا، وتشاوروا في ذلك، وتدبّروا فيه؛ فانتُدِب الوليد بن مغيرة المخْزومي، وكان مُبجَّلاً فيهم، فقال: "قد تدبّرتُ كلام محمّد، وما هو إلاّ سحرٌ يؤثر؛ ألاَ ترَوْنه كيف يأخذ بقلوب النّاس؟!"، فقالت قريش: "صدقتَ، والقول ما قلتَ"؛ واتّفقوا بعد ذلك على أنّه سحرٌ.

وكان هذا التّشبيه عنْدهم أوْكد وأبْلغ من سائر ما قالوا فيه إنّه شعرٌ، وخطبٌ، وسجْعٌ.

فأنْزل الله –عزّ وجلّ– في ذلك وفي الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وجعلت له مالاً ممدودًا﴾[1] إلى قوله: ﴿إنّه فكّر وقدّر فقُتِلَ كيف قدّر ثمّ نظر ثمّ عبس

---

[1] سورة المدّثر (74)، الآيتان 11–12.

وبسر ثمّ أدْبر واسْتكبر فقال إنّ هذا إلاّ سحرٌ يُؤثر إِنْ هَذَا إِلاّ قَوْلُ البَشَرْ﴾[1]؛ فاسْتَنْكفوا، واسْتَكْبروا، وأدبروا عنه، وقالوا: "كيف اختار الله محمّدًا من بيننا، فهلاّ اختار عروة بن مسعود الثّقفي، فإنّه أكْثر أهل مكّة والطّائف مالاً وأوْفرهم عقلاً وأعظمهم جاهًا؟! ما هذا إلاّ سحرًا!!"؛ فأنْزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿ولما جاءهم الحقُّ قالوا هذا سحرٌ وإنّا به كافرون وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتيْن عظيم﴾[2]، يعنون به: عرْوة بن مسْعود، ثمّ قال: ﴿أهُم يقسّمون رحمة ربّك نحن قسّمْنا بيْنهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعْنا بعْضهم فوْق بعض درجات﴾[3]، أي أنّ الله –عزّ وجلّ– يقسّم في خلْقه نِعَمَه دينًا ودنيًا؛ فمَن شاء، رزقه من أعراض الدّنيا؛ ومَن شاء اختاره، للنّبوّة، واخْتصّه برحْمته، وجعله سببًا لرحمته بعباده، وهو يعلم بحيث يجْعل رسالته؛ لأنّه –جلّ ذكره– أعْرف بنيّات الخلائق.

وليْست القسْمة إليهم، فيختارون مَن يشاءون؛ بل الله يخلق ما يشاء، ويختار ما كان لهم الخيرة –سبحان الله وتعالى عمّا يشْركون–.

فالقرآن فيه هذه المعاني التي ذكرناها ويجْمعها. وسائر كلام العرب كلّ نوع هو في فنّ واحد.

ثمّ في القرآن من الأمور الجليلة التي لا يقاوم الدّين والدّنيا وسياسة العالم إلاّ بها مثل: الدّعاء إلى توحيد الله –عزّ وجلّ–؛ والحثّ على عبادته، وتحميده، وتسْبيحه، وتهليله، وتمجيده، والثّناء عليه بما هو أهْله، والرّغبة إليه بالدّعاء والتّضرّع، والمسْألة في العفْو والمغْفرة، والرّهبة منه، والتّصْديق برُسُله وإثْبات طاعتهم، والأمر بالمعروف والنّهْي عن المنْكر، والتّرْغيب في الجنّة والتّرْهيب من النّار، والوعْد والوعيد، والتّرْغيب في الآخرة، والزّهْد في الدّنيا، والبسط من رجاء أهل التّوحيد وأهل الإيمان به فيما وعدَهم الله –عزّ وجلّ– من الرّأفة بهم، واجتناب القنوط من غفران الله، وتخْويف أهل الكفر بشدّة العقاب

---

[1] سورة المدّثر (74)، الآيات 18 إلى 25.

[2] سورة الزّخرف (43)، الآيتان 30–31.

[3] سورة الزّخرف (43)، الآية 32.

وأليم العذاب، والأمر بمكارم الأخلاق ومعاليها مثل: صلة الرّحم، وبذل المعروف، ورعاية الحقوق، والوفاء بالذّمّة والعهد، وبرّ الوالديْن، والأمر بالإحْسان، والنّهي عن الفحشاء والمنْكر والبغْي، واجتناب الشرّ، والأعمال النّجسة، والفواحش القذرة، والأمر بالاقْتصاد، وترك البخل والتّقتير والإسراف؛ وإقامة الحدود في القتل، وفي أخذ أمْوال النّاس بغيْر حقّها، والفساد في الأرض، والزّنى، والسّرقة[1]؛ وغير ذلك ممّا حُدِّدَت فيه الحدود، وبُيّنت فيه الأحكام، وقام بها الدّين وسياسة الدّنيا، وأقرّ بنفْعها وفضْلها العدوّ، واعْترف به كما اعْترف به الوليُّ؛ كما ذكر عنه بطريق البطارقة بأرمنيّة أنّه قال: "ما خفي عليَّ وجْه السّياسة بعد أن سمعتُ الآية من القرآن: ﴿خُذ العفْو وأمُرْ بالعُرف وأَعرِضْ عن الجاهلين﴾[2].

ولَعمري، قد وقَف مع كفره بالقرآن حين عرف لَطائف المعاني التي في هذه الآية في باب السّياسة ومكارم الأخلاق.

ولها في القرآن نظائر كثيرة؛ فمنها ما خرج على الاختصار والإيجاز؛ ومنها ما خرج على الشّرح والتّفسير.

وفيه أخبار القرون الخالية، وأنباء القرون الآتية، وضرب الأمثال.

فجمَع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– في هذا الكتاب من هذه الشّرائع والآداب التي قد ذكرناها إلى غير ذلك ممّا يطول به الشّرح، بتأييد من الله –عزّ وجلّ– ووحْي منه إليه؛ وهو أمّيٌّ، كان لا يقرأ كتابًا قبل ذلك ولا يكتبه، ولم يكن يخالط الملوك والرّؤساء، ولا كان يختلف إلى العلماء والأدباء، كما وصفه الله –عزّ وجلّ–، فقال: ﴿وما كنتَ تتلو من قبله من كتابٍ ولا تخطّهُ بيمينك إذا لارْتاب المبطِلون﴾[3].

وهذا من مُعْجِزاته: أن يأتي –صلوات الله عليه– بمثل هذه الأسْباب الجليلة الخطيرة، ويجمعها في كتابه، وهو أُمِّيٌّ لم يقرأ ولم يكْتب قبل أن أُوحي إليه، فجرى على

---

[1] في الأصل: **السرق**.

[2] سورة الأعراف (7)، الآية 199.

[3] سورة العنكبوت (29)، الآية 48.

تلك السّنّة؛ ولو أراد أن يكتب لَفعل؛ فإنّ الذي أوْرده في كتابه من ذكر حروف المعْجم التي لا يعرفها الأمّيّون يدلّ على ذلك.

فأيْن الملحِد المعتوه حين زعم أنّه ليس في القرآن فائدة، ولا نفعٌ، ولا ضررٌ؛ ثمّ قارنه بالمجسْطي، وكتب الهندسة، والطّبّ، والمنطق، وغير ذلك؛ وجعل هذه الكتب نظائر القرآن، بل فضّلها عليه، وأبطل فضائل القرآن؟!

فمَن لم يؤمن بشرائعه، وبما فيه في إقامتها من النّفع الذي وعَد الله القائمين بها من الثّواب العظيم، والضّرّ الذي أوْعد التّاركين لها من العذاب الأليم، كيف عمِي عن الذي فيه من مكارم الأخلاق والأمور الجليلة التي ساس بها الأنام؟! وكيف لم يتدبّر أمْر الكتب التي ذكرها، التي ليس فيها من التّدبير ما يسوس به الإنسان أمر بيْته وأهله وولده، كما قد قامت سياسة العالم بأحكام القرآن وحدوده؟!

فإنّ ليس في هذه الكتب إلاّ آداب، إن تعلّمها الإنسان، سُمِّي متأدِّبًا بنوْع من الأدب؛ وإن لم يتعلّمها، لم يضرّه ذلك شيئًا.

ولو أنّ إنسانًا عاش ألف سنة لا يعرف المجسطيّ، وإقليدس[1]، وكتب الهندسة، والطبّ، والمنطق؛ ولم يكن مُنجِّمًا، ولا مهندسًا، ولا طبيبًا؛ لَكان مثاله مثال من لا يكون بنّاءً، ولا خيّاطًا، ولا حائكًا، ولا صائغًا؛ ولَكان يكفي ذلك، ولا يضرّه ترك تعلّمه ذلك، والنّظر فيه في دينه ولا مروءته.

---

[1] أُقليدِس بن نوقطرس بن برنيقس الإسكندري[1]) إغريقية Εὐκλείδης : وتلفظ [eʊkleˑdɛːs] (. ولد 300 قبل الميلاد، عالم رياضيات يوناني، بلقب بأبي الهندسة. مشوار إقليدس العلمي كان في الإسكندرية في أيام حكم بطليموس الأوّل (283–323 قبل الميلاد). اشتهر إقليدس بكتابه *العناصر*، وهو الكتاب الأكثر تأثيرًا في تاريخ الرياضيات، وقد استخدم هذا الكتاب في تدريس الرّياضيّات (وخصوصًا الهندسة) منذ بدايات نشره قديمًا حتّى نهاية القرن ال19 وبداية القرن ال20. بين ثنايا هذا الكتاب مبادئ ما يعرف اليوم باسم الهندسة الإقليديّة، والذي تتكون من مجموعة من البديهيات .أنشئ إقليدس بعض المصنفات أيضًا في حقول عديدة؛ كالمنظور، القطع المخروطي، الهندسة الكروية، ونظرية الأعداد وغيرها. الاسم إقليدس هو تعريب للفظ اليوناني *Εὐκλείδης*، والتي تعني "المجد الحسن".

وجميع النّاس لا يستغنون عن أحكام القرآن والشّرائع، ولا بدّ لكلّ واحد [أن] ينظر في شيء منها مقدار ما يكون داخلاً في جملتها؛ كما أنّ كلّ مسلم لا بدّ له أن يحفظ سورتيْن من القرآن؛ وكذلك كلّ مُلحِد متستّر بالإسلام، لا بدّ له من ذلك؛ وإن ترك ذلك طرفة عيْن، هلك في أُولاه وأُخراه.

فإن قال قائلٌ: إنّ العالم كان يُساس قبل نزول القرآن.

قلنا: قامت سياسة العالم قبل نزوله في جميع الممالك برسوم الأنبياء (ع) التي أسّسوها على الدّيانة، وبآثارهم في جميع الممالك. فأهْل كلّ مملكة كان يسوسهم مَن يملكهم بتلك الرّسوم.

فلمّا جاء القرآن، طبّق الأرض وكبس العالم تحت أحكامه، وظهَر على جميع الأدْيان وعلى جميع الأمم، وقهَر الأنام كافّةً.

فأيْن يقَع النّفع والضّرّ الذي في تلك الكتب من النّفع والضرّ الذي في القرآن؟

فإنّ أحكام القرآن قد نفعت المؤمن والكافر في أمور دنْياهم، لا يستغنون عنها يومًا واحدًا، وخصّت المؤمنين دون الكافرين بالنّفع في أخراهم.

فهلاّ الْتجأ الملحِد إلى المجسطيّ[1]، وكُتب الهندسة، والطّبّ، والمنطق؛ فحقن بها دمه، وحصّن ماله وذرّيته، حتّى يكون خارجًا من أحكام القرآن الذي زعم أنّه لا نفْع فيه ولا ضرّ، كما في تلك الكتب؛ وجهْل ما قد نفع الملحِدين حين دخلوا تحت أحْكام القرآن، وحقنوا دماءهم، وحصّنوا أموالهم وذراريهم؟!

وهل ينْكر هذا الشّأن العظيم من نفْع القرآن وضرّه إلاّ معتوه؟!

ونعوذ بالله من الكفْر بنِعم الله، والعَمى في دينه.

---

[1] المجسطي أشهر كتاب في العصور الوسطى على الإطلاق اقترن اسمه باسم مؤلّفه كلوديوس بطليموس الذي عاش فى القرن الثاني الميلادى. وصفه القفطي بقوله: وما أعلم أحدا بعده بطليموس تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطي ولا تعاطي معارضته بل تناوله بعضهم بالشرح والتبيين. وقال أيضا: ولا يعرف كتاب ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحداها كتاب المجسطي هذا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم. وكان الكتاب مرجعا فلكيا عاما في العالم العربي والإسلامي والأوروبي حتّى عصر النهضة وقد أشبعوه ترجمات وتفسيرات وتعليقات وشروحا ونقودا ونقل إلى اللغة العربية في العصر العباسي أكثر من مرّة. يحتوى هذا الكتاب على ثلاثة عشرة مقالة :محورها البرهان على مركزية الأرض وثبوتها في وسط الكون ودوران الأجرام حولها ويتحدث عن الكون ودوران الأجرام حولها ويتحدّث عن الأفلاك وميل فلك البروج وتعيين أوقات نزول الشّمس في نقطتي الاعتدال ونقطتي الانقلاب وتعيين مقدار السّنة الشّمسيّة وحركات القمر والشّمس واجتماعهما واستقبلاتهما وكسوفاتهما. ويتحدث أيضا عن الكواكب الثّابتة (النّجوم) ومواضعها في الطول والعرض وفى حركات الكواكب السيّارة (المتحيرة)، وهناك موضوعات أخرى. وانتهى أمر الكتاب بظهور نظرية مركزية الشمس التي فجرها كوبر نيكوس في القرن السّادس عشر .وصل الكتاب في لغته الأصليّة وفى عدّة ترجمات عربيّة ومن الكتب المحرّرة عن المجسطي كتاب (تحرير المجسطي) لنصير الدّين الطّوسي المتوفّى سنة 672 هجريّة، وهو في الحقيقة إعادة كتابة المجسطي باللّغة العربيّة ومنه نسخ خطية عديدة في مكتبات العالم.

وقد ذكرْنا طرفًا من الأمور الجليلة التي يجمعها القرآن دون القوّة الإلهيّة التي هي فيه كامنة مسْتترة[1]، التي هي المؤثّرة في العالم بهذه الأسباب الظّاهرة، التي جمعت الخاصّ والعامّ، والمؤمن والكافر. وتلك القوّة هي للخاصّة دون العامّة، وللمؤمن دون الكافر.

وذلك أنّ الله -عزّ وجلّ- اصْطفى محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- لنبوّته، وبعثه إلى خلْقه ليدعوهم إلى عبادته، واختاره من الأنام؛ فكان أطْهر النّاس نفسًا، وأطْيبهم روحًا؛ وكانت روحه النّاطقة ونفسه الحسّية أبلغ تهيّؤًا لقبول آثار الوحْي، وأشدّ مشاكلة للرّوح المقدَّسة التي أيّد الله بها أنبياءه ورسله، من جميع أرواح البشر أنفسهم؛ فأثّر ذلك الوحْي في نفسه لصفائها من كدورة العوارض النّفسانيّة التي تكدّر الأنفس، مثل الهوى، والحسد، والكِبر، والحرص، والبخل، والطّغيان، والاستنْكاف، وغير ذلك ممّا يشاكلها، الضّارة بأنفس البشر، المفسِدة لها.

فكان هو -صلّى الله عليه وسلّم- أصْفى الخلائق أجمعين نفسًا من الأوْساخ المدنِّسة للأنفس؛ وأثّرت تلك الرّوح المقدَّسة في نفسه الحسّيّة، وامتزجت بروحه النّاطقة، الطّيّبة، النّقيّة من هذه الآفات والنّجاسات؛ وقَبِل هذه الموهبة من ربّه -عزّ وجلّ-؛ وعرف بها عظمة الله -سبحانه-، وربوبيّته، وإلهيّته، ووحْدانيّته، وجلال سلطانه؛ وقام بخالص العبوديّة، وقويت نفسه بذلك التّأييد، وأيْقن بكلّ ما وعَد الله، وقام بأمْره -عزّ وجلّ-، باذلاً نفسه له، موقنًا بكلّ ما أُوحي إليه، مؤمنًا بكلّ ما أعلَمه أنّه يبلغه إذا قام بأمْر ربّه من الشّرف الرّفيع في أُولاه والدّرجات العُلى في أُخراه، لم يشكّ في ربّه ولا ارْتاب بوعْده.

فلمّا أثّر ذلك الوحْي في نفْسه، وقبله بقلْبه، وصوّره في فكره، أظهره بنطْقه.

فذلك الوحْي أوْكد أسبابه في نبوّته، وأعْلى حجج الله على برّيته، وأوْضح ما أتى به من براهينه، وبيّناته، ومعجزاته؛ وكان ما أظْهره بمنزلة ضياء يطلع في العالم؛ فكذلك أضاء في قلوب البشر، فقبله مَن كان أقرب النّاس إليه في الصّفوة والطّهارة، لا في قرب البشريّة، بل في القرب الرّوحانيّ من طهارة الأنفس وسلامتها من الآفات، وقرب بعضها

---

[1] في الأصل: **مستسرة**.

من بعض، والمشاكلة والائتلاف؛ فأثّر كلامه في أنفس الذين قبلوه، واختلط بها كاختلاط الرّوح المقدَّسة بنفس محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–؛ فكان فضْله على مَن قَبِل منه كلامه كفضل ما قبله عن ربّه بواسطة من الملائكة الرّوحانيين في حدّ اللّطافة على سبيل النّطق.

فمَن كان منهم أصْفى نفسًا، كان أحْسن تهيّؤًا لقبول ذلك الكلام، ولتأثير تلك القوّة في نفسه؛ وقبلَه الواحد بعد الواحد يومًا يومًا، هو يلْقيه إليهم على حسب ما يوحى[1] إليه ويؤثّر ذلك في الأنفس على حسْب تصفيتها، وتنبو عنه الأنْفس الكدرة الظّلمانيّة التي قد أفْسدتها العوارض النّفسانيّة التي قد ذكرناها، ومنعتها عن الطّهارات.

فعلى قدْر سلامة الأنْفس من تلك العوارض وصفائها، وعلى مقدار امْتزاجه بها، كان قبولهم ما أتى به محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

ووقَعت عليهم الأسماء على طبقاتهم، فطائفة سمّاهم: مسلمين[2]، وطائفة سمّاهم: مؤمنين، وطائفة سمّاهم: كافرين، على حسب الاسْتحقاق؛ وكذلك سائر الأسماء والنّعوت التي سمَّى[3] بها أمّته ونعَتهم بها.

وأكثر هذه الأسماء لم تعرفها الأمّة التي بُعث فيها، بل هو رسَمها بتأييد الله إيّاه على حسب قبولهم ما أتى به.

---

[1] في الأصل: **يوحي**.

[2] يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج1/ص40–ص41): "فرق في التّفسير بين الإسلام والإيمان. والإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهرا، ويشترك فيه المؤمن والمنافق. قال الله –تعالى–: ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ (سورة الحجرات (49)، الآية 13)، ففرّق التّنزيل بينهما. فإذا كان الإسلام بمعنى التّسليم والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك، فهو المبدأ؛ ثمّ إذا كان الإخلاص معه بأن يصدّق بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ويقرّ عقدا بأنّ القدر خيره وشرّه من الله –تعالى–، بمعنى أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كان مؤمنًا حقًّا. ثمّ إذا جمع بين الإسلام والتّصديق، وقرن المجاهدة بالمشاهدة، وصار غيبه شهادة؛ فهو الكمال. فكان الإسلام مبدأ والإيمان وسطًا والإحسان كمالاً، وعلى هذا شمل لفظ المسلمين: النّاجي والهالك".

[3] في الأصل: **سمي**.

فشرق ذلك النّور على العالم، وفشا في قلوب البشر وأثّر فيها، وصار بمنْزلة بذر يبذره الزرّاع في أرضه؛ فمنه ما يقع على صخرة، ومنه ما يقع على سبخة، ومنه ما يقع على صعيد طيّب؛ فعلى حسب ذلك يزكو وينبت، كما قد ذكرنا أنّه مكتوبٌ في الإنجيل.

وبهذا وصَف -عزّ وجلّ- محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه ومَن تبعه، وأخذ عنه، وقبل كلامه، فقال -عزّ وجلّ-: ﴿محمّد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماءُ بينهم﴾[1] إلى قوله: ﴿كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزّراع ليغيظ بهم الكفّار﴾[2]؛ فشبّه -تبارك اسمه- محمّدًا ونبوّته بالزّرع؛ وشبّه أتباعه وأصحابه بشطأ الزّرْع؛ والشّطأ هو فراخ الزّرع وصغاره التي تنْبت حوله بمنزلة الحبّة التي تنبت ساقًا واحدة، ثمّ ينْبت حول تلك السّاق فراخ كثيرة؛ فمَن أجاب محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- إلى يوْمنا هذا، هم زرعه، وغذائهم: القرآن، وبه قِوامهم.

ولولا القرآن الذي ورّثه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- أمّته، وما فيه من القوّة الشّديدة التي قد جمعت قلوب البشر على قبوله وقبول أحكامه، لَمَا استقام أمْر الأنام، ولا اعْتدل أمْر العالم.

ولولا ما أثّرت تلك القوى الرّوحانيّة في أنْفس البشر، لَمَا قبلوه، ولَمَا بقي أثره في العالم إلى هذا اليوم. ولكنّه يزداد ويقوى على مرور الأيّام، لأنّها قوّة إلهيّة مُقدَّسة من كلام الله -عزّ وجلّ-.

---

[1] سورة الفتح (48)، الآية 29.

[2] سورة الفتح (48)، الآية 29.

ولولا ذلك، لَكان سبيل القرآن سبيل مسيْلمة، وطلحة[1]، والأسود العنسيّ[2]،

---

[1] أبوه: عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أمّه: الصعبة بنت الحضرمي بن عبدة بن ضماد بن مالك من بني الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت وهي أخت الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي. قال أبو عبد الله بن منده: كان رجلا آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط حسن الوجه إذا مشى أسْرع ولا يغير شعره. وعن موسى بن طلحة قال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة مربوعا إلى القصر هو أقرب رحب الصّدر بعيد ما بين المنكبين ضخم القدمين إذا التفت التفت جميعًا. كان طلحة في تجارة بأرض بصرى حين لقي راهبا من خيار رهبانها، وأنبأه أن النبي الموعود سيخرج في مكّة، والذي تنبأ به الأنبياء وقد هل عصرة وأشرقت أيامه. ولم يرد طلحة أن يفوته هذ الموكب، فإنّه موكب الهدي والرّحمة والخلاص, وحين عاد طلحة إلى مكّة بعد شهور قضاها في بصرى وفي السّفر، فكلّما يلتقي بأحد أو بجماعة منهم يسمعهم يتحدثون عن محمد الأمين, وعن الوحي الذي يأتيه, وعن الرّسالة التي يحملها إلى العرب خاصّة، وإلى الناس كافة. وسأل طلحة أوّل ما سأل عن أبي بكر الصدّيق فعلم أنه عاد مع قافلته وتجارته من وقت قريب، وأنّه يقف إلى جوار محمّد –صلّى الله عليه وسلّم –مؤمنًا أوّابًا. وحدث طلحة نفسه: محمّد، وأبو بكر؟؟ ....تالله لا يجتمع الإثنان على ضلالة أبدا ولقد بلغ محمد الأربعين من عمره، وما عهدنا عليه خلال هذا العمر كذبة واحدة.. أفيكذب اليوم على الله، ويقول: إنه أرسلني وأرسل إلي وحيا...؟؟ فهذا هو الذي يصعب تصديقه. وأسرع طلحة الخطى إلى دار أبي بكر، ولم يطل بينهم الحديث، فقد كان شوقه إلى لقاء الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– ومبياعته أسرع من دقات قلبه. فصحبه أبو بكر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث أسلم وأخذ مكانه في القافلة المباركة، وهكذا كان طلحة من السّابقين الأوّلين المبكرين للإسلام. كناه رسول الله محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– عدّة كنى: هو صقر أحد. في غزوة أحد كناه بطلحة الخير. في غزوة ذي العشيرة كناه بطلحة الفياض. في غزوة خيبر كناه بطلحة الجود. المشهور عند المحققين هو أن مروان بن الحكم قتل طلحة يوم الجمل. روي عن علقمة بن وقاص الليثي قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان عرجوا عن منصرفهم بذات عرق فاستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن فردوهما قال ورأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على زوره فقلت يا أبا محمد إني أراك وأحبّ المجالس إليك أخلاها إن كنت تكره هذا الأمر فدعه. فقال: يا علقمة لا تلمني كنا أمس يدا واحدة على من سوانا فأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدنا

إلى صاحبه ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أرى كفارته إلاّ سفك دمي وطلب دمه. قلت الذي كان منه في حقّ عثمان تأليب فعله باجتهاد ثمّ تغيّر عندما شاهد مصرع عثمان فندم على ترك نصرته ما، وكان طلحة أوّل من بايع عليا أرهقه قتلة عثمان وأحضروه حتى بايع، قال البخاري حدثنا موسى بن أعين حدثنا أبو عوانة عن حصين في حديث عمرو بن جاوان قال: التقى القوم يوم الجمل فقام كعب بن سور معه المصحف فنشره بين الفريقين وناشدهم الله والإسلام في دمائهم، فما زال حتّى قتل وكان طلحة أول قتيل وذهب الزّبير ليلحق ببنيه فقتل. قال ابن سعد: أخبرني من سمع إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: قال طلحة إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم أمثل من أن نبذل دماءنا فيه اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتّى ترضى. وروي عن وكيع :حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في ركبته فما زال ينسح حتى مات. وروي عن عبد الله بن إدريس عن ليث عن طلحة بن مصرف أن عليا انتهى إلى طلحة وقد مات فنزل عن دابته وأجلسه ومسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحّم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وروى زيد بن أبي أنيسة عن الأنصار عن أبيه أن عليا قال: بشروا قاتل طلحة بالنّار. وكان قتله سنة ست وثلاثين في جمادى الآخرة وقيل في رجب وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوها وقبره بظاهر البصرة.

انظر ترجمته في: سيرة ابن هشام .ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. محمّد بن طلحة بن عبيد الله سير أعلام النبلاء .ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8، .191. تفسير ابن كثير، سورة الممتحنة، تفسير الآية.10. تقريب التّهذيب، ص 765، ترجمة رقم: 8606 رجال حول الرّسول – خالد محمّد خالد. طلحة بن عبيد الله من كتاب سير أعلام النّبلاء – الذهبي.

[2] هو عبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي المعروف باسم "الأسود" و"ذي الخمار "كتب السيرة النبوية هي المصدر الوحيد لمعرفة الأسود العنسي فلا نقوش قديمة ولا آثار تشير إليه وحركته كما كانت العادة فلا يعرف الكثير عن وضع اليمن أيام الحكم الفارسي كان سيدا على مذحج وبعض قبائل اليمن ولذلك سمي بالأسود وزاد أهل الأخبار فقالوا أن أمه سوداء وتجاهل الإخباريون تفاصيل نسبه وكثيرا من حياته محاولة للتقليل من شأنه حاله حال كل من شابهه إلاّ أن المعروف أن عنس بطن من بطون مذحج طرد الفرس من اليمن وقاتل عامل النّبيّ محمّد وهرب معاذ بن جبل ولجأ إلى "بني السكون" أحد بطون كندة لأنّه كان متزوجا منهم واستولى على صنعاء ونجران وحضرموت و الإحساء تبعته قبائل من اليمن لتعصّب فيهم إذ أنّها رأت في الزّكاة أتاوة يدفعونها لقريش وصفت

حركته بأوّل ردة في الإسلام رغم عدم وجود دلائل على إسلامه فلم يذكر في أيّ من كتب السيرة أنّ الأسود العنسي أسلم ثم أرتد بل تكتفي بقول "أرتد من أسلم من مذحج". تشير الروايات أنه كان مشعوذًا يستعمل السحر لإقناع أتباعه ويغطي وجهه بخمار فلا يرى منه شيئًا. وكان له "شيطان" يأتيه بالإخبار يسمى بالملك إلاّ أن مصادر أخرى تشير إلى إدعاءه نبوة من "ذي السماء"(ذو سماوي) الإله اليمني القديم. وأعاد اسم "رحمن" الذي كان يزين أسماء ملوك اليمن القديم، وهو للصواب أقرب إذ يظهر من سلوك العنسي تعصبا لليمن وكراهية لكل ما هو قادم من خارجها إضافة إلى ظهور حركات مثل حركة مسيلمة بن حبيب و طليحة بن خويلد الأسدي. فكان مسيلمة نبيّ ربيعة وطليحة نبيّ مضر والعنسي نبيّ اليمن فكلهم فهم النبوة ملكًا وسلطانًا استفحل الأمر العنسي وعظم شأنه بعد أن قتل باذان وطرد معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري الذي كان متواجدا في مأرب وسيطر على نجران وأصبح يهدد الدولة الإسلامية الناشئة. فكتب النبي محمد كتابًا إلى المسلمين في اليمن يأمرهم بقتال العنسي تظاهر فيروز بالولاء للأسود العنسي، وعمل وغيره عنده في مناصب الدولة وأرسل إليه عامر بن شهر أمير همدان، وذي ظليم، وذي كلاع وغيرهم من أمراء اليمن يشاورونه قتال العنسي فطلب منهم فيروز الانتظار. كان العنسي "متزوّجًا" من زوجة باذان الفارسي "إزاد" والظاهر أنّه أخذها كراهية وسبيا شاورها فيروز في أمر العنسي فوافقت واتّفقوا على حيلة لدخول قصره. قامت "آزاد" الفارسية بسقي العنسي بالخمر حتّى سكر ونام. فأنتهز فيروز الفرصة ودخل غرفة العنسي وآزاد واقفة بانتظاره فطعن فيروز الأسود وهو نائم فسمع الحرّاس صراخه فسألوا عما يحدث فأجابتهم آزاد :"النّبيّ يوحى إليه" فمات العنسي وأذن المسلمون في صنعاء لصلاة الفجر وأعلنوا الخبر. أورد الرواة أن النّبيّ محمّد قال:"قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين. قيل: ومن؟ قال: فيروز، فيروز".

انظر ترجمته في: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص 1940؛ البداية والنهاية ويكي مصدر؛ الطبري 3: 187 تاريخ ابن خياط ص 116 فتوح البلدان – البلاذري ص 111 المؤرّخون العرب وحركة الردّة حتّى القرن الرّابع الهجري دراسة تاريخيّة منهجيّة جامعة النّجاح الوطنية نابلس جمهرة النسب لابن الكلبي ج ١ ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي الأوّل ص159 الكامل في التاريخ – ذكر أخبار الأسود العنسي باليمن عز الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير تاريخ اليمن في الإسلام ص96–104 .علي (جواد) : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار الحرية، بيروت ط 1، 1938؛ المفصل في تاريخ

وغيرهم من المتنبّيين الكذّابين؛ ولَكان رسْمه لا يبقى في العالم، كما أنّ كلام أولئك ورسومهم لم تبقَ في العالم.

ومن أجْل هذه القوّة التي في القرآن سمّوه: سحرًا، لأنّ محمّدًا –صلّى الله عليه وسلّم– كان يتلوه على النّاس، فيقع في أسماعهم وتؤدّيه الأسماع إلى القلوب، فيجْذب القلوب إلى طاعته بتلك القوّة الرّوحانيّة الإلهيّة التي هي مستترة كامنة فيه، التي من أجْلها قالت قريش والعرب إنّه سحْرٌ، وإنّ محمّدًا[1] هو ساحرٌ، على حسب ما يدّعيه النّاس أنّ السّحر يؤثّر في أنفس البشر، وأنّ كلام السَّحَرة وما يكون منهم من الرّقي[2]، والْنّفث في العُقد.

وأصْناف السّحْر تؤثّر في القلوب، وتقلبها من الإلْف إلى التّعادي، ومن التّعادي إلى الإلْف، ومن المحبّة إلى العداوة، ومن العداوة إلى المحبّة، إلى غير ذلك من التّأثيرات التي تقع من فعل السَّحَرة في أنفس البشر.

وهذا شيءٌ قد اتّفقت عليه أممٌ من النّاس، وإنّ أنْكره قومٌ ودفعوه؛ فإنّ أكْثر الأمم التي قد خلَتْ، فيما مضى من الدّهور والأعْصار إلى يومنا هذا، قد قالت به، وصحّحته، وزعمت أنّ عيْنه قائمٌ؛ كما يُذكَر عن الهند خاصّة من الأمور العظيمة في الرُّقي[3] التي تُذكَر عنهم، أنّهم يحلّون بها ويعقدون. ويُذكَر أنّهم يرقون الملسوع، ومَن سُقِيَ السّم، فيُخرجون السمّ؛ وما يُذكَر أنّهم يظهرونه من التّخائيل التي يتحيّر فيها الأريب اللّبيب؛ وما يُذكَر عنهم من أمر النُّكر، وما يفْعلونه في باب المطر، والبرد، وحبسه، وغير ذلك من أصناف السّحر.

العرب قبل الإسلام باذان الفارسي البلاذري، فتوح "113 وما بعدها "تاريخ الذهبي ج ٣ ص ١٥ الزركلي، خير الدين. فَيْرُوز الدَّيْلَمي. موسوعة الأعلام .الاسطوره والتراث – سيد القمني –1999 .

[1] في الأصل: **محمد**.

[2] في الأصل: **الرقى**.

[3] في الأصل: **الرقى**.

هذا، وإن لم يصحّ كلّه، فإنّا نقول إنّ أصل السّحر صحيحٌ، وقد خُلط به كثير من المخاريق؛ لأنّ القرآن وسائر كتب الله –عزّ وجلّ– قد نطَقت به، وجماهير النّاس يقرّون به، ولا يدْفعون أنّ أصل السّحْر صحيحٌ.

ومن أجْل ذلك قالت الأمم لأنبيائهم: سَحَرة، كما قالت العرب إنّ محمّدًا –صلّى الله عليه وسلّم– هو ساحرٌ، وقوله: سِحْرٌ. وكانوا يقعدون بكلّ سبيل ويصدّون عنه النّاس، مخافة أن يسمعوا كلامه، فيؤمنوا به. وكانوا يسمّون مَن صنع كلامه وآمن به: صائبًا، وقالوا: "صبأ فلان وفلان". ومعنى التّصابي في كلام العرب هو العشْق والمحبَّة.

فلمّا رأوا مَن يسمع كلامه يحبّه، ويؤثّر في قلبه، ويختلط بنفسه، قالوا له: "قد صبأ".

وكانوا يصدّون كلّ مَن ورد مكّة من أهل الوبر والمدر عنه، وينْهونه عن الاسْتماع منه. وذلك أنّ العرب كانت تأْتي مكّة حجّاجًا وفي التّجارات، وكانت مواسمهم بمكّة قائمة، وكان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يعرض عليهم الإسلام، ويتلو عليهم القرآن، فيأمنون وتخبت له قلوبهم وينقادون له، ويرْجعون إلى قبائلهم، فيدعونهم إلى الإسلام؛ كما رُوي أنّ الطّفيل بن عمرو الدّوسي[1] ورَد بمكّة، وكان لبيبًا شاعرًا ورئيسًا

---

[1] هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويكون الطفيلي الزهراني نسبةً إلى الطفيل بن عمرو الدوسي. أبناؤه: الصحابي الجليل الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي، الصحابي الجليل ذابل بن الطفيل بن عمرو الدوسي، الصّحابي الجليل عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي. كان سيّدًا من سادة العرب وسيد قبيلة دوس في الجاهلية وشريف من أشراف العرب المرموقين وواحدًا من أصحاب المروءات المعدودين، يطعم الجائع ويؤمن الخائف ويجير المستجير، وهو إلى ذلك أديب أريب لبيب وشاعر مرهف الحسّ رقيق الشعور، بصير بحلو البيان ومره حيث تفعل فيه الكلمة فعل السّاحر. وقد قدم إلى مكّة للحجّ قبل الهجرة فاستقبلته قريش ولقي الرّسول فأسلم على يده ثمّ رجع لدوس ولبث عندهم يدعوهم إلى الإسلام والتحق بعدها بالرّسول بالمدينة بعد معركة أحد ومعه 80 بيتًا من دوس فشهد مع الرّسول معركة الخندق وفتح مكّة. لما فتح رسول الله حنينًا

في قوْمه، فاجتمعت إليه قريش، ونهوه أن يقرب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وقالوا له: "كلامه سحرٌ يفرّق بين المرء وزوجته [و]أحبّته وعشيرته، وإنّا نخشاه عليك وعلى قوْمك؛ فلا تكلّمه ولا تسْمع من قوله، فإنّه يسْحرك بكلامه".

فعمد على كرسفٍ وحشَا به أذنيْه فَرقا من أن يسمع قوله، وغدَا إلى المسْجد وطاف بالبيْت، وإذا رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يصلّي عند الكعبة، وهو يتْلو[1] هذه الآية: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحْسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحْشاء والمنْكَر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون﴾[2]؛ فوقر ذلك في أذنيْه.

فلمّا سمعها، أخرج الكرسف من أذنيْه، ورمى به، وقال: "واثكل أميّ، إنّ لبيب شاعر أعرف الحَسَن من القبيح، ما لي أتّهم عقلي ولا عقول قريش؟".

التي كانت في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجريّة، وأراد المسير إلى الطّائف، بعث الطفيل إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة، يهْدمه وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فقال الطفيل : يا رسول الله أوصني قال: "افش السّلام، وابذل الطعام، واستحي من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله، إذا "أسأت فأحسن، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين". عاد الطفيل مع النبي من غزوة الطائف إلى المدينة المنورة فكان مع النبي بالمدينة حتى قبض... فلما ارتدت العرب خرج المسلمون لقتالهم، فجاهد حتى فرغوا من طليحة الأسدي وأرض نجد كلّها. ثمّ بعثه أبو بكر الصديق إلى مسيلمة الكذاب، يقول: خرجت ومعي ابني مع المسلمين –عمرو بن الطفيل– حتّى إذا كنّا ببعض الطريق رأيت رؤيا فقلت لأصحابي إنّي رأيت رؤيا عبروها قالوا: وما رأيت قلت: رأيت رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأن امرأة لقيتني وأدخلتني في فرجها وكان ابني يطلبني طلبا حثيثا فحيل بيني وبينه. قالوا: خيرا فقال: أما أنا والله فقد أولتها. أمّا حلق رأسي فقطعه وأمّا الطائر فروحي وأمّا المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي وأدفن فيها فقد رجوت أن أقتل شهيدا وأمّا طلب ابني إياي فلا رآه إلاّ سيغدو في طلب الشّهادة ولا أراه يلحق بسفرنا هذا. فقتل الطّفيل شهيدًا يوم اليمامة وجرح ابنه، ثمّ قتل باليرموك بعد ذلك في زمن عمر بن الخطّاب شهيدًا.

انظر ترجمته في: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، الإصابة في تمييز الصّحابة لابن حجر العسقلاني، صفة الصّفوة لابن الجوزي، الاستيعاب لابن عبد البرّ.

[1] في الأصل: **يتلوا**.

[2] سورة النّحل (16)، الآية 90.

ثمّ أقْبل إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، فقال: "أعِدْ عليَّ كلامك يا محمّد!"، فأعاد عليه وزاده. فقال: "والله إنّ هذا لو لم يكن أيضًا دينًا، لَكان حسنًا. وإنّي لأشهد أنّك صادقٌ". فأسْلم، وحسن إسْلامه، ورجع إلى قومه، ودعاهم إلى الإسْلام.

وقد كان سأل النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أن يعطيه آية، فقال: "اللهمّ أعْطه آية"، ومسح سوطًا كان في يده.

فلمّا طلع على قومه من الثّنيّة، رأى قومه نورًا يسْطع من رأس سوْطه؛ فسألوه عن شأْنه، فأخبرهم؛ فأسْلموا، وقدموا على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وشهدوا معه فتْح مكّة.

وله في ذلك شعْر يقول فيه:

رأيتُ علامةٌ والليْـل داجٍ على ظهر الطّريق كضوءِ برقِ
علامة أحمد إذا سأل ربّي فكانت آية مصداقَ صدقي

وهي قصيدة [طويلة].

فكان أصْل إسْلامه: ما وقع في قلبه من قوّة كلام رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–.

وهكذا سبيل هذه القوّة المستتِرة[1] في القرآن التي وقعت في أنْفس النّاس وألّفت بين قلوبهم بتأييد من الله –عزّ وجلّ–.

وهكذا قال الله –تعالى ذكره–: ﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم﴾[2].

ولولا أنّ القرآن، وما فيه من القوّة التي ألّفت بيْن قلوب النّاس وجمعتهم على قبوله وقبول أحكامه، ثمّ اجْتمع أهل الأرْض على أن يفْعلوا ذلك، لَمَا قدروا عليه.

والذي ذكَره الملحِد: أنّ الذي جمع هذه الأمّة على قبول أحْكام الإسْلام والإقامة عليها، سببه: الإلْف، والعادة، ومرّ الأيّام، فليْست له في ذلك حجّة؛ لأنّه لم

---

[1] في الأصل: **مستسرة**.

[2] سورة الأنفال (8)، الآية 63.

يتقدّم إلْف ولا عادة لأصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– الذين آمنوا به بمكّة[1] عند ظهوره قبل أن قوي الإسلام، ولم يعتادوا ذلك، ولا مرّت به الأيّام بالإلف.

وإنّما سمعوا كلامه، فقبلوه وآمنوا به، كما ذكرنا من شأن الطّفيل بن عمرو؛ وأثّر القرآن في قلوبهم، وجمع بينهم، وألّفها على طاعته، وصبروا معه على الأذى الشّديد.

فإنّهم كانوا يُفتَنون ويُعَذّبون بأنواع البلاء ليرجعوا عنه، فصبروا ولم يرْجع عنه؛ كما رُوِي من حديث بلال[2]: "أنّ ورقة بن[3] نوفل مَرّ على بلال، وقد أخذه أميّة بن خلف الجحمي[4] وألْقاه على ظهْره في الرّمضاء، ووضع الحجر على بطْنه، وهو يقول:

---

[1] في الأصل: **مكة**.

[2] هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله، صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام كان عبدا من عبيد قريش أعلن إسلامه فعذبه سيّده أمية بن خلف فابتاعه أبو بكر الصديق وأعتقه، اشتهر بصبره على التعذيب وقوله أحد أحد، كان جميل الصّوت يغني في الجاهلية، فعندما ظهر الأذان بعد إسلامه كلفه الرسول بمهمة الأذان. توفّي بلال في الشّام مرابطًا في سبيل الله كما أراد، ودفن تحت ثرى دمشق سنة عشرين للهجرة، ويوجد قبر ومدفن ومقام للصّحابي الجليل بلال بن رباح في دمشق. كما أنّه في المملكة الأردنية الهاشمية يوجد ضريح له في حي الفقراء في منطقة وادي السير. حينما أتى بلالا الموت، قالت زوجته: وا حزناه فكشف الغطاء عن وجهه وهو في سكرات الموت، وقال: لا تقولي واحزناه، وقولي وا فرحاه ثمّ قال: غدا نلقى الأحبة، محمّدًا وصحبه.
انظر ترجمته في: حياة محمد، د. محمد حسين هيكل؛ النّبيّ العربي، أحمد التاجي عبقرية محمّد، عبّاس العقّاد.

[3] في الأصل: **من**.

[4] أمية بن خلف أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الجمحي المكي; أحد رؤوس قريش وكبارهم; قتل في غزوة بدر في العام الثاني الهجري عندما كان أسيرا عند المسلمين; حيث تم أسره من قبل صديقه القديم في مكّة عبد الرّحمان بن عوف. "حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني يوسف بن الماجشون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفظني في صاغيتي بمكّة وأحفظه في صاغيته بالمدينة فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان في يوم بدر خرجت

"هذا دأْبي ودأْبك أو أن تكفر بمحمّد". وبلال يقول: "أحدٌ، أحدٌ". وورقة بن نوفل

إلى جبل لأحرزه حين نام النّاس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ثمّ أبوا حتّى يتبعونا وكان رجلا ثقيلا. فلمّا أدركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه وأصاب أحدهم رجلي بسيفه وكان عبد الرّحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه. قال أبو عبد الله: سمع يوسف صالحًا وإبراهيم أباه". "وروى ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان أميّة بن خلف لي صديقا بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكّة، فكان يلقاني أميّة إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سمّاكه أبواك فأقول: نعم، فيقول: فإني لا أعرف الرّحمن، فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به، أمّا أنت فلا تجبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت له: يا أبا علي اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررت به، قال: يا عبد الإله فأجيبه، فأتحدث معه. حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن أمية آخذ بيده معي أدراع، قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآني قال لي: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك في فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك، قال قلت : نعم ها الله ذا، قال فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، هو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن، قال ثم خرجت أمشي بهما. قال ابن اسحاق: قال عبد الرّحمن بن عوف قال: قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرّجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره، قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطّلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرّحمان: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال بن رباح معي وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكّة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت، فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثمّ يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد، قال: فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أي بلال أبأسيري، قال: لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أتسمع يا ابن السّوداء، قال: لا نجوت إن نجا، قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أميّة بن خلف لا نجوت إن نجا، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال: فقلت: انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغني عنك شيئا، قال: فهبروهما بأسيافهم، حتى فرغوا منهما، قال: فكان عبد الرّحمن يقول: يرحم الله بلالا ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري.

يقول: "نعم يا بلال، أحَدٌ أحدٌ". فصبر على ذلك، ولم يرْجع عن الإسلام.

ومثل حديث بلال، فيما كانوا يلقون من قريش، عددٌ كثير تطول الخُطب بذكرهم.

فعلى هذا كانوا يُؤذَون ويصبرون، ويزدادون إيمانًا ويقينًا، حتّى صار الأمْر بهم إلى الجلاء؛ فخرج كثيرٌ منهم مهاجرًا إلى أرض الحبشة.

ثمّ اشتدّ الأمر بهم، فهاجروا إلى المدينة، وهجروا الآباء، والأمّهات، والأبناء، والبنات، والإخوة، والأخوات، والعشائر، والقرابات؛ وقطعوا الأزواج والأحبّة، ولَحَقوا برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في دار الهجرة في المدينة؛ وخرجوا إليه أرسالاً كعُرف الفُرس يتبع بعضهم بعضًا، ينقطع الرّجال عن حلائلهم، والنّساء عن أزواجهنّ، طيّبة بذلك أنْفسهم، مسْتميتين في حبّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، تابعين له على دينه، قابلين لسنّته وأحكامه، باذلين له أنفسهم، ومُجهم، وأموالهم.

وعلى هذا تابعه مَن آمن به في دار هجرته لما سمعوا القرآن، وأثّرت قوّته في قلوبهم، فآووه ونصروه، وأحبّوا مَن هاجر إليهم، واتّخذ بعضهم بعضًا إخوانًا، وواسوهم بأموالهم، وآووهم في ديارهم، ونابذوا آباءهم وعشائرهم؛ فقطعوا كلّ عهْد وذمّة كانت بيْنهم وبين مَن يحاددهم، وردّوا كلّ جوار وحرمة كانت بينهم بعضهم في بعض، وآثروا محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم-، ومَن هاجر معه إليهم، على جميع مَن ذكرنا من القريب والبعيد، ونزلوا على حكمه.

ولم يُقبَل إيمانهم حتّى حكّموه في أنفسهم وأموالهم وذراريهم، ورضوا بذلك وسلّموا له، وهم مختارون غير مُجبَرين، وطائعون غير مُكَرهين؛ وتلاَ عليهم قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿فلا وربُّك لا يؤمنون حتّى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجًا ممّا قضيتَ ويُسلّموا تسليمًا﴾[1]، وقوله: ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرَةُ من أمرهم ومَن يعصِ الله ورسُولَهُ فقد ضلّ ضلالاً

---

[1] سورة النّساء (4)، الآية 65.

مُبينًا﴾[1]؛ فقبلوا ذلك منه، وألْزَمهم هذه الشّرائط؛ وهو رجلٌ وحيدٌ فريدٌ لا سلْطان له عليْهم، ولا مال له، ولا عشيرة تعينه، ولا قبيلة.

فقبلوا منه هذه الشّرائط طيّبة بذلك أنْفسهم، مع ما قد جبل الله عليه البشر من حبّ مَن أحسن إليها، والنّفور ممَّن أساء إليها؛ ولم ينالوا منه من أمر الدّنيا شيئًا، من أعراضها التي يعدها مَن يُؤثّر الدّنيا إحسانًا؛ بل نالوا منه هذه الأسباب التي يعدّونها إساءة إذا آثروا الدّنيا على الآخرة؛ كما قالت له قريش: "قطعتَ أرحامنا، وسفّهتَ أحْلامنا، وعبتَ أديانَنا، وفرّقتَ بيننا".

ومَن آثر الدّين على الدّنيا، قَبِلَ ذلك من محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وعدّه إحسانًا.

وأثّرت قوّة كلام الله في قلوبهم؛ ولولا ذلك لما أجابوه إلى ما دعاهم إليه من ترك الشّهوات الدّنيويّة، ومن قطيعة مَن ذكرنا من الأحبّة؛ ولا تابعوه على بذل الأموال، والمهج له في حياته، والتّمسّك بما شرّعه لهم بعد وفاته والتّشديد فيه؛ وما ظهر منهم من اسْتماتتهم في ذلك، واعتكافهم عليه، ومحبّتهم له، والْتزامهم له، والْتزامهم إيّاه طائعين غير مُكرَهين.

فأيّ إلْفٍ وعادةٍ تقدّمت لهم؟! وأيُّ أيّام مرَّت عليهم في بدْء أمْرهم، وسبيلهم ما قد وصفناه؟! وأيُّ حجّة تثبت للمُلحِدين بما يدّعونه في باب الإلف والعادة؟!

فإن قال قائلٌ: إنّه حارب مَن خالفوه، وأجْبرهم على قبول ما أتى به.

قلْنا: قبلوه في بدْء أمْره وهم مختارون، حتّى قوي أمره؛ ثمّ عانده النّاس من كلّ وجه، وأظهروا منازعته؛ فلم يحبّ الله -عزّ وجلّ- له قبول الصّغار على نفْسه بعد أن أظهره الله.

فحينئذ أكْره المستكبِرين والعتاة، الذين كانوا يفتنون أصحابه، على قبوله، وألْزمهم الذّلَّ، وأعْلى المؤمنين به عليهم.

---

[1] سورة الأحزاب (33)، الآية 36.

وبذلك أمَره الله –عزّ وجلّ–، فقال: ﴿وقاتلوهم حتّى لا تكون فتْنة ويكون الدّين كلّه لله﴾[1].

وإلاّ، فإنّ أوّل أمْره لا يخفى أنّه قام فيهم، وهو رجلٌ واحدٌ، ثار بين ظهراني قوْمه، وأظهر ما أوْحى إليه ربّه؛ فجفوه، واستخفّوا به، وبلغوا من أذاه كلّ غايةٍ.

وخرج في بعْض أيّامه، حين أرْهقه[2] الأمر، إلى الطّائف، وعرَض نفْسه على أهْلها؛ فنظر إليه عبد ياليل بن عمرو، وهو قاعدٌ في ظلّ حائط له، يتّقي حمّارة القيظ عن نفسه، وكان عبد ياليل بن عمرو سيّدًا فيهم متكبّرًا طاغية. فقال له: "قُم يا مُحمّد عن ظلّ حائطي"، فرفَع رأسه إلى السّماء وقال: "يا ربّ، إليك أشكو ضعْفي، وقلّة حيلتي، وهواني على النّاس. إن لم يكن بك سخطٌ، فلا أبالي، ولكن عافيتك أوْسع لي".

واجتمعت قريش، وتعاقدوا فيما بينهم، وتحالفوا، وكتبوا بينهم كتابًا، وعلقوه في الكعبة؛ واتّفقوا أن يقطعوه ويقطعوا مَن تابعه، فلا يخالطوهم، ولا يبيعوا منهم طعامًا؛ وأن يمْنعوا من مخالطتهم كلّ حاضر وبادٍ؛ وأخرجوهم إلى شعاب[3] مكّة؛ وبقوْا فيه على هذا الحال.

وكتبوا بذلك كتابًا، وعلّقوه في الكعْبة، حتّى اسْتقْبح ذلك قومٌ من قرَيْش، واجْتمع نفرٌ منهم، ومزّقوا ذلك الكتاب، وقالوا: "مزّقُوا هذه الصّحيفة القاطعة!".

فلم يزل –صلّى [الله] عليه وآله–، ومَن آمن به، يَلقون هذا الأذى الشّديد من عشيرته وقومه إلى أن هاجر إلى المدينة، على السّبيل التي في شهْرتها غنية عن تطويل الخطب بها؛ وهاجر على إثره أصحابه، على نحْو ما قد ذكرْناه.

فأيُّ إلْف جمع المسلمين مع هذه الشّدائد!؟ وأيُّ أيّام مرّتْ عليهم؟! وأيّ دهْر أتى عليهم في ابْتداء أمرهم؟!

---

[1] سورة الأنفال (8)، الآية 39.

[2] في الأصل: **رهقه**.

[3] في الأصل: **شعب**.

فهذا كان أصْل بنْيانه، وتأسيس أمْر دينه؛ وما بعدُ، فهو فرعٌ لذلك الأصل. فإن كان ذلك الأصْل مبنيًّا على الإلف والعادة، فكذلك يجب أن يُحكم في الفرع. فإنّ الفروع تُقاس على الأصول، وإلاّ فحجّة المُلحِد داحِضة في باب الإلْف والعادة.

وكانت سبيل الأنبياء (ع) كلّهم مثل سبيل محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وعزّاه [-سبحانه-] عمّا كان يتلقّى من قومه، وأمَره بأن يتأسّى بمَن تقدّمه من الأنبياء (ع)، فقال -تبارك اسمه-: ﴿ولقد كُذّبت رُسُلٌ من قبلك فصبروا على ما كذّبوا وأُوذوا حتّى أتاهم نصْرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسَلين﴾[1]. وعزَّ مَن آمن به، فأمَرهم أن يتأسّوا بمَن تقدّمهم من أتباع الأنبياء (ع)، فقال -جلّ ذكره-: ﴿وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما اسْتكانوا والله يحبّ الصّابرين﴾[2].

وإنّما امْتحَن الله -عزّ وجلّ- الأنبياء (ع) في ابتداء أمْرهم بهذه[3] المحن، لكي لا تثبت حُجَج المبطِلين في دعْواهم، أنّ الذين قبلوا الشّرائع قبلوها بالإلْف والعادة؛ ثمّ نصرهم الله بعد ذلك، وقوّاهم بعد الضّعف، وأعْلى أمرهم، وشدّ بنيانهم بتأييد منه، وبقوّة الكلام الذي أنْزله عليهم؛ وعمل ذلك في قلوب البشر هذا العمل العظيم، كما قد ذكرْناه.

وإنّما أطلْنا الكلام بذلك، لأنّ المُلحِدين يحتجّون بهذه الحجّة الواهية، ويزعمون أنّ الذي جمع أهل الشّرائع على إقامتها، سببه: الإلْف والعادة، ومرور الأيّام والدّهور.

وهذه عندهم أوْكد الحُجج، جهلاً منهم، وقلّة إنصاف، وسوء تمييز؛ إذ لا يميّزون حال الأنبياء في ابتداء أمْرهم كيف كان؟ وكيف امْتحن الله الخلائق؟ لكي لا يقولوا إنّه إلْف وعادة، ولئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة، وليعْرفوا عِظم شأن كُتب الله المنزَّلة وكلام الأنبياء (ع)، وما في ذلك من القوّة الجامعة لهم المؤلِّفة بين قلوبهم على إقامة

---

[1] سورة الأنعام (6)، الآية 34.

[2] سورة آل عمران (3)، الآية 146.

[3] في الأصل: **هذا**.

الشّرائع؛ كما نرى كيْف اختلطت تلك القوّة بأنفسهم، ودبَّت في عروقهم، وأثّرت في قلوبهم؛ كما تدبّ العقاقير في أبدان البشر، وتجري في عروقهم، وتؤثّر في طبائعهم.

وإن قال قائلٌ: فما بال هذه القوّة أثّرت في بعض الأنفس دون بعض؟ ولِمَ أثّرت في أنفس مَن تبع محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم-، ولم تؤثّر في أنفس مَن خالفه، وعاداه، وأخرجه عن أهْله وداره؟

قلْنا: قد تقدّم القول منّا أنّ هذه الأنْفس تلحقها عوارض نفسانيّة لطيفة تفسدها وتنجّسها، حتّى لا تقبل تلك التّأثيرات، كما ذكرنا في باب الهوى، والحسَد، والكِبر، والجفَاء، والبغْي، والطّغْيان، والطّعْن، والعداوة، والخيلاء، والنّخْوة، والافْتخار، والحرْص، والأمل، والشّك، والشّبْهة، والعتوّ، والشّقاق، والعزّة، وغير ذلك ممّا يُشاكل هذه الأسباب المفسِدة للأنفس.

فهذا كان سبب امتناع تلك القوّة من التّأثير في قلوب مَن خالفه وعاداه.

ومثل ذلك موجودٌ بيّنٌ في العقاقير التي تؤثّر في طبائع النّاس؛ فإنّ الطّباع إذا عارضتها علّة قويّة، امتنعت من قبول أثر العقاقير فيها.

ومثل حجر المغناطيس إذا حُكّ عليه الثّوم لم يجذب الحديد، ولم يظهر أثر قوّته للعارض الذي منَعه.

فهكذا كان سبيل تلك القُلوب التي لم تقْبل أثر القرآن.

كانت قريش قد بُليت بهذه العارض ما لم يُبلَ به سائر العرب، لأنّهم كانوا من معْدن الشّرف، والعزّ، ومصاص الفخر؛ وكانوا سكّان حرم الله ويقولون: "نحن آل الله، ونحن أهْل الله".

وكانت العرب قاطبة تعرف ذلك لهم، فكانوا لا يغزونهم ولا يؤذونهم، كما كان يغزو بعضهم بعضًا، إكرامًا لهم واعترافًا بشَرفهم.

فكانت تلك النّخْوة وذلك الكبر والافتخار قد ران على قلوبهم، وأفْسدتها تلك العَوارض المذمومة وكدّرتها ونجّستها، فامْتنعت من قبول تلك القوّة الطّاهرة الطّيّبة. وقبلتها القلوب التي سَلِمت من تلك العوارض وصفت منها.

فمن أجْل ذلك آمنوا بمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وصبروا معه على الأذى الشّديد والمِحن العظيمة، ولم يَهِنوا لذلك، ولا ملّوا، ولا ضعفت نيّاتهم؛ بل كانوا يزدادون إيمانًا إذا اشتدّ بهم الأمر وخوّفهم النّاس، ويقوى يقينهم، كما وصفهم الله به، فقال: ﴿الذين قال لهم النّاس إنَّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونِعْم الوكيل فانقلبوا بنعْمة من الله وفضْل لم يمسسهم سوء واتّبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾[1].

فأولئك أسلافنا الذين هم أُسُّ دعوة الإسلام وقواعد الشّريعة.

هكذا جرى أمْرهم في قبول الملّة اختيارًا من غير إجبار ولا قهر، وابتداءً من غير إلف، ولا عادة، ولا مرور أيّام عليهم، ولا دُهور؛ بل عملت تلك القوّة الإلهيّة في قلوبهم، وألّفت بينها، وجمعتْها على قلوبه.

ونحن فروع لتلْك الأصول وخَلَف لذلك السّلف، وسبيلنا في حبّ الإسلام واجتماع القلوب عليه: سبيلهم.

فهذا فعْل القرآن العظيم بقلوب البشر، أعدْنا القول به مرّة بعد مرّة، لِتعرف -رحمك الله- عِظم شأنه، وما فيه من المعجز الكبير الدّالّ على نبوّة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-؛ وهو ظاهرٌ قائمٌ في العالم، يزداد قوّة، على مرور الأيّام تشتدّ وتنْمو في مشارق الأرض ومغاربها، وتثمر هذه القوّة هذه الثّمرة الزّكيّة؛ كما ترى في هذه الأمْصار الكثيرة التي لا تُحصى عدًّا في كلّ مصر، في قصبته وسواده، من المساجد ما يعجز النّاس عن إحْصائها، وكلّ مسْجد يقوم فيه منادٍ ينادي في كلّ يوم في خمسة أوقات، يشْهد بتوْحيد الله -عزّ وجلّ- وبتصْديق محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- وبنبوّته، ويدْعو[2] إلى إقامة شريعته بأعْلى صوته مجدًّا مجتهدًا.

فأيّ قوّة في العالم عملت في أنفس البشر ما عملت قوّة كلام الله الذي جاء به محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-؟ وأيّ دلالة أوْكد من هذه؟ وأيّ معجزة أبْلغ من القرآن؟

---

[1] سورة آل عمران (3)، الآيتان 173-174.

[2] في الأصل: **يدعوا**.

وأيّ كتاب في العالم أعظم نفعًا للبشر منه في الدّين والدّنيا؛ به حُقنت الدّماء، وحُصّنت الأموال، ومُنعت أيدي الخلائق -بعضهم عن بعض- من الفساد في الأرض؟ ولولا ذلك لَهلك الحرث، والنّسل، وفسدت الأرض وما فيها[1].

وهذا هو المثل الذي طالب به محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- النّاس أن يأتوا به، حيث بلّغ عن الله -عزّ وجلّ-، فقال: ﴿لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا﴾[2].

وهذا هو المثل الذي طالبنا به الملحِد في كتابه، فقال: "إنّا نطالبكم بالمثل الذي تزعمون أنّا لا نقدر أن تأتي به"؛ لا ما قاله الملحِد: "إنّ شعر الشّعراء، وخطب البلغاء، وسجع الكهّان هي أفضل منه"؛ وأنّ القرآن خلْو من هذه، على زعم الملحِد المعتوه. وزعم أنّه يأتي بألْف مثله.

وأيّ مثل يوجد للقرآن في العالم، مع ما قد وصفْناه به من هذه القوّة الشّديدة، وهذا الفضْل العظيم؟! هيهات هيهات!! لا يوجد ذلك أبدًا!

هذا، سوى ما فيه من المنْفعة الدّينية التي بها نجاة المؤمنين به المقيمين لِمَا فيه من الفرائض والسُّنن، وما وعَدهم الله عليه من الثّواب العظيم، وأعدّ لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون. وتلك هي النّعمة الكبرى، والمنْفعة العظمى، والشّرف الأعلى، والجزاء الأوْفى.

وإنّ الملحِد قد سخر بنفسه، وغرب فهْمه، وتاه عقْله حين زعم أنّ المجسطيّ، وكُتب الهندسة، والطبّ، والمنطق، والنّجوم أكْبر نفعًا من القرآن،؛ وأنّه ليس في القرآن فائدة، ولا نفعٌ ولا ضرٌّ. وأوْرد كلام المجانين الذين لا يعقلون ما يقولون.

وقد كشفْنا عمّا في القرآن من النّفع العظيم في الدّين والدّنيا؛ فلْيكشف لنا الملحِدون عن الذي في المجسطيّ، وكتب الهندسة، والمنْطق، والنّجوم من النّفع، سِوى ما

---

[1] في الأصل: **فيه**.

[2] سورة الإسراء (17)، الآية 88.

فيها من الآداب التي لا يجوز نفْعها إلاّ مَن يتعلّمها، وذلك شيءٌ نزرٌ قليلٌ، يشاكل سائر الآداب التي يتأدّب بها النّاس، ويستغْني عنها مَن لا يشتغل بها في دينه ودنْياه.

وأنت لا تجد في دهْماء النّاس في كلّ مصْر مَن يشْتغلون بها إلاّ رجلاً أو رجليْن، بل أمصار كثيرة ليس فيها أحدٌ يعْرفها.

وقد اتّفق المسْلِم والملحِد على أنّ المجسطي، وكتب الهندسة، والطبّ، والمنْطق، والنّجوم ليس فيها نفعٌ من جهة الدّيانة.

وأمّا في أمور الدّنيا، فكلّ الصّناعات أكْبر نفعًا منها، وأهْلها أوْفر حظًّا، وأغْنى بما في أيْديهم ممَّن يكْسب بتلْك الكتب.

ومَن ازْداد فيها نظرًا، إذا لم يكن متمسّكًا بحبل الشّريعة، والتّوحيد، والنّبوّة، مُستبصِرًا فيه، مُستحكِم المعرفة بأمر الدّين، أدّاه ذلك إلى التّعطيل، والخروج إلى الإلْحاد؛ ويدعوه ذلك إلى الاشتغال بكتب هؤلاء الذين تشبّهوا بالفلاسفة، والقُدماء، الحُكماء، وتسمّوا بأسمائهم، ووضعوا كتبًا مزخْرفة ليس فيها إلاّ الوسْاوس المتناقضة، على حسب ما فسّرْنا وشرحْنا اخْتلالها وتناقضها، التي تذْهل عقل مَن يشتغل بها، وتسْلبه لبّه، وتوقعه في حيرة مُهلِكة، ولا تزيده إلاّ عمًى[1] وضلالاً.

---

[1] في الأصل: **عمي**.

ولسْنا نطْعن على المجسْطيّ، وإقليدس، وبطليموس[1]، وغير ذلك من الكتب في المنطق، والطّب، وما كان من هذا الجنس؛ فإنّ هذه من الحكماء، وأظهروا ما فيها من الحكمة بتأييد من الله –عزّ وجلّ–. ولكنّها ليست نظائر القرآن.

كما أنّ أولئك الحكماء لم يكونوا نظائر محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، لأنّ حكْمة محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– عمَّت أهل الأرض، المؤمن والكافر، على ما قد وَصفْنا.

والحكماء الذين وضَعوا هذه الكتب أظهروا للنّاس حكمته ليعرّفوا النّاس مراتبهم؛ وكان نفْع ذلك راجعًا إليهم في أنفسهم، وإلى مَن عرف فضْلهم في أعْصارهم، فأخذوا عنهم أمْر دينهم.

وكلّ واحد منهم كان حكيم دهْره، وكان نفْع كلامهم وضرّه في أمْر الدّيانة يصل في عصره إلى الذين شاهدوه؛ فمَن عرف منْزلته وفضْله، نفَعه ذلك في دينه ودنْياه؛ ومَن جهَل فضْله ومنْزلته، لم ينتفع بحكمته إلاّ مقْدار هذا النّفع الذي يصل إلى أهل هذا الدّهر. فلمّا خرجوا عن العالم، لم يبْقَ نفْع هذا الكلام وهذه الكتب إلاّ ما فيها حتّى يؤمنا هذا.

---

[1] هو صاحب كتاب *المجسطي*، عاش في أيّام أدريانوس وأنونينوس، وفي زمانهما رصد الكواكب، ولأحدهما عمل كتاب *المجسطي*. وهو أوّل مَن عمل الإسطرلاب الكريّ والآلات النّجوميّة والمقاييس والأرصاد. ويُقال إنّه رصد النّجوم قبله جماعة منهم أبرخس، وقيل إنّه أستاذه وعنه أخذ، والرّصد لا يتمّ إلاّ بآلة، فالمبتدئ بالرّصد هو صانع الآلة. والكلام على كتاب *المجسطي*. وأوّل مَن عني بتفسيره وإخراجه إلى العربيّة: يحيى بن خالد بن برمك، ففسّره له جماعة فلم يتقنوه؛ ولم يرض ذلك، فندب لتفسيره أبا حسّان وسلم صاحب بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النّقلة المجوّدين، فاختبرا نقلهم وأخذا بأفصحه وأصحّه. وقد قيل أنّ الحجّاج بن مطر نقله أيضًا. وله من الكتب بعد ذلك كتاب *الأربعة*، كتاب *المواليد*، كتاب *الحرب والقتال*، كتاب *في الأسراء والمحبوسين*، كتاب *في أسر السّعود واصطناعها*، كتاب *المرض وشرب الدّواء*، كتاب *اقتصاص أحوال الكواكب*... حول ترجمته راجع: *الفهرست* لابن النّديم، ص267– ص268. بيروت. د. ت.

وليْست قوّة تلك الكتب، مثل قوّة كتب أصحاب الشّرائع الذين كانوا أئمّة أهل الأرض دهرًا طويلاً، مثل موسى وعيسى وغيرهما، ومثل محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– الذي هو إمام العالم إلى يوم القيامة، وفي كلامه من النّفع والضّرّ ما قد فسّرْناه.

وقد عَمّ ذلك أهلَ الأرض، واشْترك في نفعه المؤمنون به المخلِصون فيه، وأصناف الملحِدين، والمعطِّلين، والمنافِقين الذين يسْتَترون بالإسلام.

ولولا أحْكام الشّريعة، وما في القرآن من الرّسوم، والسّنن، والفرائض في المنكحات والمواريث، وقسْمة الأموال، وغير ذلك؛ لَكان سبيل الملحِدين في الأزواج والأولاد سبيل البهائم؛ وكان لا يُعرَف لهم رحمٌ ولا نَسَبٌ؛ ولَكانت أموالهم نهبًا.

فقبحًا للمُلحِدين الذين رضوْا لأنفسهم أن يخرجوا عن أحكام القرآن، فتكون أمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم بغايا، يُنكحن بلا مهور ولا تزويج، وينزوي[1] عليهم كلّ مسلم وكافر؛ وأن يكون أوْلادهم لغير رشدة، فلا يُعرف لهم أبٌ؛ وتكون أموالهم مُنتهَبة في حياتهم، ومُسْتباحة بعد مَماتهم؛ ويكون سبيلهم سبيل بهائم الأنْعام.

فلولاَ الإسْلام وأحكام القرآن، لَماج النّاس بعضهم في بعض، وتهارجوا؛ فلم يكن نكاح بتزويج، ولا قسمة بالسّوية، ولا مبايعة على العدْل والصّلاح.

ومَن خلع ربقة الإسلام من عنقه، فاتتْه نفسه قبل أن يرتدّ إليه طرفه.

ولكن قد أحاطت سلاسل الدّين برقابهم، وجُعِلت ربقة الإسلام في أعناقهم، ورُبِطوا بها أوْثق رباط؛ كما قال بعض الشُّعراء المخضرَمين، حين أسْلم، وقبل أحْكام الإسْلام، وترك أمْر الجاهليّة من الزّنى، وشرب الخمور، والميْسر، وغير ذلك من الفحْشاء والمنكَر، فقال في شعره:

وليس كعهد الدّار يا أمّ مالـــك ولكن أحاطت بالرّقاب السّلاسلُ

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائـــل سوى العدْل شيئًا فاستراح العواذلُ

فهذا نفْع القرآن وضرّه في الدّنيا والآخرة.

فإن قال قائلٌ: إنّ أمْر الآخرة غائبٌ، ولا يُدرى ما يكون من نفْعه وضرّه هناك.

---

[1] في الأصل: **ينزو**.

قلنا: فإن كان ذلك أمرًا غائبًا يقدر الملحِد على إنكاره، فكيف يجوز دفْع ما يعاينه ويشاهده في الدّنيا؟ أوَلَيس مَن قد دخل تحت أحكام القرآن، قد آوى إلى رُكْن وثيق وحصْن منيع، لا حصْن في العالم أمنع منه؛ ومَن خرج عن أحكامه فلا مأْوى له ولا وزْر، ولا ملْجأ ولا عنصر؟ فأيّ كتاب يعدل القرآن؟ وأيّ شاهد أعْدل من هذه القوّة التي قد ظهرت منه؟ وأيّ دليل أوْكد من هذا: أنّه كلام الله ومعْجز محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، ولا يقْدر على مثل هذه القوّة إلاّ الله؟ ومَن يقْدر على دفْع هذا إلاّ مباهتٌ مكابرٌ أو مجنونٌ مختبلٌ؟!

فإن قال قائلٌ: إنّ أهل الملل لم يدخلوا تحت أحكام القرآن، وقد نجوْا من هذه الأسباب التي قد ذكرناها.

قلنا: إنّ مَن هم منهم في دار الإسلام قد دخلوا تحت أحكامه، لقبولهم الجِزْية، والْتزامهم الذّلّة والصّغار. وبذلك حقنوا دماءهم، وحصّنوا أموالهم وذراريهم.

ومَن هم في الممالك التي هي خارجة عن دار الإسلام، فإنّهم متعلّقون برسوم الأنبياء (ع) التي قد بقيت آثارهم في أيديهم؛ وإن كانت قوّة كتاب محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- هي أعظم وأجلُّ منها[1]، كما أنّ مقدار مرْتبته، ورفيع درجته، وعلوّ منْزلته عند الله فوق درجات النّبيين. وهذه معْجزته القائمة في العالم.

وممّا يزيد في تأكيدها وإيضاحها: أنّ الله -عزّ وجلّ- لما أنْزَل عليه هذا الكتاب، وَعَده فيه أن يؤثّر في هذا العالم هذا الأثر العظيم، وبشّره في ذلك في أوّل أمْره ومبْتدأ شأنه قبل أن كان، فأنْجز له ما وَعَده.

وقد كان بشّر محمّدٌ -صلّى الله عليه وسلّم- بذلك أمّته، وصدّق الله -عزّ وجلّ- بشْراه، وأنّه وعَده أن تعلو ملّته على جميع الملل والأديان علوًّا ظاهرًا، على حسب ما قد انْكشف وظهر للعالِمين؛ فقال: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرْسل رسوله بالهُدى ودين الحقّ ليُظهره على

---

[1] في الأصل: **منا**.

الدّين كلّه ولو كره المشرِكون﴾[1]؛ فأنزل هذه الآية عليه، ووَعده فيها أن يظهر دينه على جميع الأديان في مشارق الأرض ومغاربها[2]؛ فقد ظهر عليها وقَهرها، وهو يزيد قوّة وعلوًّا على مرور الأيّام.

وأعْلم –صلّى الله عليه وسلّم– أمّته أنّ الله –عزّ وجلّ– قد كشف له عن الذي يكون بعْده، وأنّه قد عاين ذلك؛ وأنّ الله سيُنجز له ما بشّره به، فقال: "زويتْ لي مشارق الأرض ومغاربها، وسيبلغ مُلك أُمّتي ما زوى لي منها".

فكيف ترى صَنَع الله له في تصديق قوله بعد خروجه عن العالم؟ وكيف ترى صحّة هذه الآيات التي في القرآن والخبر الذي رُوي عنه –صلّى الله عليه وسلّم–؟

ولو كان كذّابًا، كما يدّعيه الملحِدون وأعداء الله –لعنهم الله–، لَبطلت دعاويه، ولَمَا أنجز الله له عداته، ولَسقط بنْيانه بعد وفاته؛ ولكنّ سبيله سبيل مَن كان بنْيانه على غير أصل صحيح، وكان أساس أمره من عنده غير الله.

فإنّا نرَى كلّ مَن يدّعي رياسة في الدّين والدّنيا، ويكون له أتباعٌ، يبطل أمره عنْد مؤته من الملوك والرّؤساء من جميع الأصناف؛ فإذا خرجوا عن العالم يتفرّق جمْعهم، وتنْقطع رسومهم وآثارهم، وينْهدم بنيانهم، إلاّ ما كان من رسوم الأنبياء البرَرة الطّاهرين (ع).

فإن ادّعى مُشاغِب[3] أنّ كثيرًا من المبتدِعين قد بقيت رسومهم في العالم، وبقي جمعهم وأتباعهم؛ واحتجّ بالمنّانيّة[4]، والدّيصانيّة[5]، وأشباههم من المبتدِعين في الشّرائع،

---

[1] سورة التّوبة (9)، الآيتان 32–33.

[2] في الأصل: **مغاربه**.

[3] في الأصل: **مشغب**.

[4] هو دين استحدثه ماني من النّصرانيّة والمجوسيّة. وهو ماني بن فاتك –أو فتّق–، وُلد في مسّين ببابل سنة 215 م أو 216 م. وظهر في زمان سابور بن أزدسير أو أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور سنة 279 م. وينتسب إلى أسرة إرانيّة عريقة، فأمّه وأبوه من العائلة الأشكانيّة (انظر: *إيران في عهد السّاسانيّين* لكرستنسن، ص171). وقال ماني بأصلين قديمين: النّور والظّلمة. وقيل إنّه أخذ عن المسيحيّة قولها بالتّثليث. فالإله عنده مزيج من " العظيم الأوّل" و"الرّجل" و"أمّ الحياة". وفي

وبأهْل الأدْيان في البلْدان التي هي في أطراف الأرض، مثل التّرك، والهنْد، وغير ذلك.

قلنا: قد تقدّم القوْل منّا أنّ هؤلاء بنوا بدَعهم على رسوم الأنبياء (ع)، وخلطوا بدَعهم بآثارهم، ونسبوا ما رسموه إلى الأنبياء (ع).

وإن كانوا مُبتدِعين، فإنّهم متعلّقون بحبلهم، يحتذون حذْوَهم، ويتشبّهون بهم، ويدْعون إلى زخارف قد مثّلوها برُسوم الأنبياء (ع)، وأقاموها بتلك الرّيح.

وهكذا سنّ لخم أوائلهم الذين وَضعوا لهم هذه البدع؛ ولوْلا ذلك، لَمَا قام لهم رسمٌ ولا أثرٌ. ولكن مقْدار ما يثبت من رسومهم هو ريح الرّسوم التي كانت من الأنبياء (ع)، ومن خمير كلامهم.

ومع ذلك، فإنّ بنيانهم قد ضعف، ويضْعف على مرور الأيّام؛ لا كبنْيان محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– الذي لا يزداد في كلّ يوم إلاّ علوًّا وظهورًا؛ لأنّه خرج –صلّى الله عليه وسلّم– عن العالم والأمْصار التي دخلها الإسلام قليلة العدد.

النّصوص التي حُفظت عن المانويّة عبارات مأخوذة عن الأنجيل (انظر: نفس المرجع، نفس الصّفحة). ويقول ماني بالتّناسخ أيضًا. وقد أطنب ابن النّديم في ذكر تفاصيل مذهبه. كما وضع الشّهرستاني جدولا للمقارنة بين الشرّ والخير في الجوهر والنّفس والفعل والحيّز والأجناس والصّفات.

انظر: الشّهرستاني، (كيلاني) ج1/ص244 و(بدران) ج1/ص234؛ *التّبصير في الدّين* للإسفراييني، ص136؛ *التّنبيه* للملطي، ص90؛ *المنية* لابن المرتضى، ص60؛ *نشأة الفكر الفلسفي* لسامي النّشّار، ج1/ص194؛ *الفهرست* لابن النّديم، ص391؛ *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا، ص258 إلى ص260؛ *مروج الذّهب* للمسعودي، ج1/ص250– ص251.

[5] هم أتباع رجل اسمه ديصان، سمّي باسم نهر وُلد عليه قبل ماني. وهم يقولون كالمانويّة بالنّور والظّلمة. والفرق بينهم وبين المانويّة أنّ المانويّة يقولون: إنّ النّور والظّلمة حيّان، والدّيصانيّة يقولون: إنّ النّور حيّ والظّلمة ميّتة. وحول اختلاط النّور بالظّلمة اختلفت الدّيصانيّة فرقتين: فرقة زعمت أنّ النّور خالط الظّلمة باختيار منه ليصلحها، فلمّا حصل فيها ورام الخروج عنها، امتنع ذلك عليه. وفرقة زعمت أنّ النّور أراد أن يرفع الظّلمة عنه، لما أحسّ بخشونتها ونتنها، شابكها بغير اختيار... إلخ. وقد نسب ابن النّديم لديصان من الكتب: *النّور والظّلمة*، و*روحانيّة الحقّ*، و*المتحرّك والجماد*...

انظر: الشّهرستاني، (طبعة كيلاني) ج1/ص250، و(طبعة بدران) ج1/ص230؛ *المنية والأمل*، ص63؛ *نشأة الفكر الفلسفي*، ج1/ص194؛ *الفهرست*، ص402.

مضَى –صلّى الله عليه وسلّم– والإسلام بأرْض الحجاز، وتهامة في الحرمين: مكّة، والمدينة، وما والاهما من المخاليف مثل قرى خيبر، وفدك، ووادي القرى، والطّائف، واليمن، والبحريْن، وما والاهُما، مثل نجران وعُمان.

فكانت عمّاله –صلّى الله عليه وسلّم– في هذه الأمصار، وفي البوادي على صدَقات القبائل. فأمّا سائر الممالك والأمصار، فقد فُتِحت بعده بسيْفه، وقوّة كتابه، وشريعته؛ وأُقيمَت فيها أحْكامه وسُننه، وثَبَت فيها زرْعه.

وكان –صلّى الله عليه وسلّم– يبشّر أمّته ويخبرهم أنّ هذه الممالك تُفتَح عليهم بعده، كما ذكرنا من آيات القرآن والأخبار التي جاءت عنه.

ورُوي عنه –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه قال: "إذا فتح الله عليهم مِصرَ، فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإنّ لهم رحمًا"، يعني بذلك: إبراهيم (ع) ولده، وكان من مارية القبطيّة.

وما رُوي عنه[1] في يوم الخنْدق: أنّ سلمان قال: "كنتُ أضرب في ناحية من الخندق صخرة، فغلظت عليَّ؛ فرآني –صلّى الله عليه وسلّم–، ورأى شدّة المكان؛ فنزل وأخذ المعول[2] من يدي، فضرب به ضربة، فلمعت برقة تحت المعول؛ ثمّ ضرب أخْرى، فلمعتْ برقة؛ ثمّ ضرَب الثّالثة، فلمعتْ برقة. فقلتُ: "يا رسول الله، ما هذا الذي رأيتُ يلْمع تحت المعول؟"، قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "رأيتَ ذلك يا سلمان؟"، قلتُ: "نعم"، قال: "أمّا الأولى، فإنّي رأيتُ فيها فتح اليمن؛ والثانيّة: فتح الشّام؛ والثّالثة: فتْح المشْرق".

وقد رُوِيت عنه في هذا أخبار كثيرة قد صحّت بعْده.

فإن قال قائلٌ من الملحِدين: "إنّ الحديد إذا ضُرب به الحجر فَعَل هذا الفِعْل".

---

[1] في الأصل: **عن**.

[2] في الأصل: **المعلول**.

قلْنا: لا ننْكر ذلك، ولكنّا أردْنا أن نذكر ما قاله -صلّى الله عليه وسلّم- من أمْر الفتوح التي كانت بعْده؛ فبشّر بذلك كما أراه الله -عزّ وجلّ-، ثمّ ظهر صدْقه بعد ذلك.

ومثل هذا كثيرٌ تركنا ذكره، من الأخبار التي ظهَر صدْقه فيها بعد وفاته -صلّى الله عليه وسلّم- وصحّت، ولم يبْطل شيءٌ منها كما بطلت دعاوى الكذّابين المتنبّئين الذين ظهروا في العرب، مثل مسيلمة الكذّاب بن حبيب -المتنبّي باليمامة-، وطليحة بن خويلد[1] -المتنبّي في أرض بني أسد-، والأسود العنسي -المتنبّي بصنْعاء-، وسجاح بنت

---

[1]طليحة بن خويلد الأسدي (ع) من قادة حروب الردة بعد وفاة النبي محمّد سنة 11 هـ / 632 م. ادّعى النّبوّة في قومه بني أسد وتبعه بعض طيء وغطفان في أرض نجد، إلاّ أنّه هزم مع أتباعه على يد خالد بن الوليد في معركة بزاخة ودخل الإسلام على إثر ذلك. شارك طليحة في الفتوحات الإسلامية واستشهد في معركة نهاوند سنة 21 هـ / 642 م. كان ممّن شهد غزوة الخندق في صفوف المشركين. أسلم سنة تسع، ثمّ ارتدّ بعد وفاة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وتنبّأ بنجد، وحارب المسلمين ثم انهزم على يد جيش خالد بن الوليد، وتفرّق جنده فهرب ولحق بآل جفنة "الغساسنة" بالشّام. عاد طليحة بعد ذلك وأسلم وحسن إسلامه، ثمّ اتّجه إلى مكّة يريد العمرة في عهد أبي بكر الصدّيق (ع) واستحيا أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد بن الوليد، وكتب الصدّيق إلى خالد أن استشره في الحرب ولا تؤمره، وهذا من فقه الصديق (ع) وأرضاه، لأنّ الذي جعل طليحة يدّعي النّبوّة حبه للرّياسة والزعامة، ولذا سأل خالد أحد أتباع طليحة ممن أسلموا وتابوا معه: اخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي؟ فقال إنّه كان يقول: "الحمام واليمام والصرد الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغنّ ملكنا العراق والشّام". ولما جاء وسلم على عمر قال له: "اغرب عن وجهي فإنك قاتل الرجلين الصالحين، عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم "فقال: "يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدي ولم يهني بأيديهما"، فأعجب عمر كلامه، وأوصى الأمراء أن يشاور ولا يولى من الأمر شيئاً. شهد معركة اليرموك وكذلك كانت وصية عمر إلى سعد بن أبي وقاص في القادسية، فلما كان يوم أرماث قام طليحة في بني أسد يدفعهم إلى القتال وإلى الدفاع عن الإسلام والمسلمين يقول: "ابتدئوا الشدة، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة، فإنما سميتم أسدًا لتفعلوا فعلة الأسد". ثمّ بارز الفرس وقادتهم وعلى رأسهم "الجالينوس" فقتل منهم وأصاب. وفي يوم عماس كان مقداماً لا يهاب الموت، وهاجم الفرس وحده من خلفهم ثم كبر ثلاث تكبيرات ارتاع لها الفرس، فظنّوا أنّ

الحرث اليربوعيّة[1] التي تنبّأت[2] في بني تميم، فتبعتها عامّتهم وأطاعوها، حتّى قال فيها بعض شعرائهم:

جيش الإسلام جاءهم من ورائهم. وفي القادسية خرج هو وعمرو بن معد يكرب و(قيس بن المكشوح) للاستطلاع فأبى ان يرجع حتى يتم المهمة، واتهمه البعض بالغدر وعايروه بقتله عكاشة وصاحبه، لكنه أصر أن يكمل المهمة وحده دون عون منهم، فخاض في الماء يريد الوصول إلى معسكر رستم قائد الفرس، الذي يضم أكثر من ثمانين ألف مقاتل. وكذلك وهو يركب فرسًا من خيلهم وكان يحب الخيل وأخذ يعدو به، وخرج الفرس في أثره يريدون القبض عليه أو التخلص منه، فقتل منهم اثنين من خيرة قادتهم وفرسانهم، ثم أسر الثالث وسار به حتى وصل معسكر المسلمين، فدخل على سعد فقال له سعد: "ويحك ما وراءك؟" قال طليحة: "أسرته فاستخبره فاستدعى سعد المترجم" فقال الأسير: "أتؤمنني على دمي إن صدقتك؟" قال سعد: "نعم". قال: "أخبركم عن صاحبكم قبل أن أخبركم عمن قبلي". ثمّ راح يحدّثهم عن بطولة وشجاعة طليحة النّادرة، واختراقه معسكرًا فيه ما فيه من الجنود والقادة، وشهد له بأنه يعدل ألف فارس، ثمّ أسلم هذا الأسير، وحسن إسلامه، واستفاد منه المسلمون استفادة عظيمة نظرًا لخبرته بمعسكر الفرس. قاتل طليحة في معركة نها وند قتال الأبطال حتّى نال الشهادة عام 21 هـ.

[1] كانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية اليربوعية يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قد تنبت وتبعها نفر كثير منهم الزبرقان ابن بدر، وعطارد بن حاجب بن زرارة، وشبث بن ربعي وكان مؤذنها، وعمرو ابن الهتم التميميون، وسارت إلى مسيلمة إلى اليمامة فتزوجها وأقامت عنده ثلاثاً وفي ذلك يقول الطرماح بن حكيم الطائي:

لعمر لقد سارت سجاح بقومهـــا فلما أتت عز اليمامة حلـــــت
فدارسها البكري حتى استزلهـــــا فأضحت عروساً فيهم قد تجلت
فتلك بني الحنظليين أصحبـــــت مضمخة في خدرها قد تظلـــت

وقال عطارد بن حاجب بن زرارة:

أمست نبيتنا أنثى نطيف بهـــــا وأصبحت أنبياء الناس ذكرانـــا

ويريد بالأنبياء الأسود العنسي وطليحة بن خويلد ومسيلمة، وجهّز أبو بكر الجيوش لغزْو الرّوم بالشّام.

[2] في الأصل: **تنبت**.

أمست[1] نبيّتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء النّاس ذكرانا

ثمّ صارت إلى اليمامة، وتزوّجها مسيلمة الكذّاب.

وهؤلاء كلّهم كان لهم أتْباع، ونَهَض معهم قومٌ آمنوا بهم، وأطاعوهم، ونصروهم؛ وكانوا يسجعون، ويعدون النّاس.

وربّما سجعوا، وتكهّنوا، وأصابوا بكهانتهم، فيفتتن بهم النّاس؛ كما فعل طليحة[2] حين نهضت معه بنو فزارة وبنو أسد، وأمَرَهم أن يصلّوا قيامًا، لا يرْكعون ولا يسْجدون، وقال: "اذْكروا الله قيامًا، فإنّي أشْهد أنّ الصريخ يحبّ الدّعْوة، ما يفعل الله بتعفير خدودكم وفتْح أدباركم؟"؛ فأطاعوه، وقبلوا منه؛ وأصابه هو وأصحابه عطشٌ، فسجع وتكهّن، فقال: "ارْكبو غلالاً، واضْربوا أميالاً، تجدوا بلالاً"؛ وغلال: فرسه. فركبوه، وفعلوا ما قال، فوجدوا ماءً، ففُتِن به النّاس.

وكانت قاتلتْ عنه أسد وفزارة، وهو متلفّف بكساء له في بناء بيْته عليهم، والنّاس يقتتلون، حتّى قُتل منهم خلقٌ عظيمٌ، وهو يقول: "يأتيني ذو النّون الذي لا يكْذب ولا يخون، ولا يكون إلاّ ما يكون".

وكان عُيَيْنَةُ بن حصن –سيّد بني فزارة– يقاتل بين يديْه، ويرْجع إليه، ويقول: "جاءك ذو النّون؟"، فيقول: "لا"، حتّى رجع إليه مرارًا، والحرب قد طحنتهم، وعُيينة يقول: "حنق حتّى متى"؛ ثمّ جاءه، فقال له: "هل أتاك ذو النّون؟"، قال: "نعم". قال: "فما قال لك؟". قال: قال لي: "رحاءً كرحاه، وحديثًا لا تنساه"، فقال عيينة: "أظنّ –والله– يكون لك حديث لا تنْساه! يا بني فزارة! انْصرفوا، فإنّه كذّابٌ"، فانْصرفوا عنه وخذلوه.

وكذلك كان حديث مسيْلمة، نهضتْ معه بنو حنيفة وغيرهم، وقالوا: "منّا نبيٌّ، ومنكم نبيٌّ"؛ وكان يسجع لهم ويقاتلون معه، حتّى قُتل منهم ستّة ألف رجل، ثمّ قُتل.

---

[1] في الأصل: **أمت**.

[2] في الأصل: **طلحة**.

وسأل أبو بكر[1] قومًا من بني حنيفة، فقال: "ما كان يقول صاحبكم؟"، قالوا: "كان يقول: يا ضفدع نقّي نقّي، لا الماء تكدّرين ولا الشّراب تمْنعين"، فقال: "ويْحكم! إنّ هذا كلام لم يخرج من آل، فأين يتاه بكم؟!".

وكذلك كان الأسود العنسي، الذي كان يُقال له "ذو الخمار"، تنبّى على أهل صنعاء، وتبعه عالمٌ من النّاس كثير، ونهضتْ معه كندة وبقايا ملوكها، منهم: الأشْعث بن قيس[2]، وحارثة بن سراقة بن معدي كرب وغيرهما، وجمع كثير من الأبناء الذين كانوا

---

[1] هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة –و اسمه عثمان– بن عامر، من ولد تيم ابن مرّة –تيم قريش–. كان اسمه في الجاهليّة عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– عبد الله، ولقبه عتيق، لُقّب به لجمال وجهه –رضي الله عنه–، وسمّي صدّيقًا لتصديقه خبر المسرى. وأمّه سلمى وتكنى أمّ الخير بنت صخر، وهي بنت عمّ أبيه. بويع له يوم الاثنين الذي توفّي فيه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وتوفّي بالسلّ ليلة الثّلاثاء، وقيل يوم الجمعة، لتسْع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وسنّه ثلاث وستّون سنة. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيّام، وصلّى عليه عمر –رضي الله عنه–. ودُفن في حجرة عائشة ورأسه بين كتفي رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–.
حول ترجمته راجع: ابن خلّكان، *وفيّات الأعيان*، ج3/ص64 إلى ص71؛ *الرّياض النّضرة*؛ الذّهبي، *تذكرة الحفّاظ*؛ *غاية النّهاية*.

[2] هو معد يكرب بن قيس. ولد في شبوة عام 23 قبل الهجرة. وكان جده معد يكرب بن معاوية أول ملوك كندة في هذه الناحية واقتتل مع قبائل من كندة من بنو تجيب مع بني عمرو بن معاوية وقبائل أخرى فانقسمت القبيلة على أكثر من ملك أقتتل والد الأشعث مع قبيلة مراد وقتل في المعركة وهو الذي عرف بالأشج خلف الأشعث أباه وكان آخر الملوك في قومه وذكرت كتب الشيعة أنه وأباه كانا يهوديان. وهو ما لم يظهر في كتب الأخبار الأخرى. ملك على أهل نجران في الجاهلية قبل الإسلام وسقطت عنهم العبودية في خلافة عمر بن الخطّاب. حريرًا على عنقه فسأله النّبيّ: "أو لم تسلموا؟" قالوا بلى فسألهم عن الحرير في أعناقهم وشقّوه، ثمّ قال الأشعث: "يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت إبن آكل المرار"، فتبسّم النّبيّ قائلاً: "ناسبوا هذا النّسب العبّاس بن عبد المطّلب وربيعة بن الحارث" ذلك بأنهما كانا يقولان بأنهما أبناء آكل المرار عند ترحالهما. ثمّ قال رسول الله لهم: "لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا"، فقال لهم الأشعث: "والله يا معشر كندة لا أسمع رجلا يقولها إلاّ ضربته بثمانين". وفي هذه الرّواية نظرٌ، لأنّ كتب الإخباريين لم تذكر حجر

بن عمرو المعروف بآكل المرار من أجداد الأشعث بل إنّ جدّ الأشعث اقتتل مع أبناء آكل المرار جدّ الشّاعر الجاهلي إمرؤ القيس. ومَن أخذ بهذه الرّواية قال إنّ للنّبيّ محمّد جدّة من كندة هي أمّ كلاب بن مرّة إياها أراد الأشعث، وهي مَن قصدها النّبيّ بقوله: "لا نقفوا أمّنا"، أي لا نتّبع أنساب أمّهاتنا؛ بينما المثبت عند الإخباريين أنّ أمّ كلاب بن مرة هذا كانت من كنانة فلا يوجد سبب لقول النّبيّ "لا نقفوا أمنا"، فوضعت الرواية على الأشعث. فسكت روّاة عن هذه الرّواية مكتفين بذكر أنّ الأشعث قدم على رأس سبعين راكب على النّبيّ. وورد أنه قدم على الرّسول وشعره يصل لمنكبه فقال رجل عندما رأى الأشعث: "الحمد لله يا أشعث الذي نصر دينه وأعزّ نبيّه وأدخلك وقومك في هذا الدّين كارهين". فأمر الأشعث أحد عبيده ليضربه وجاء في نفس الرّواية أنّ الأشعث وقومه مكثوا بضعة أيّام في المدينة ينحرون الجزر ويطعمون النّاس. وورد أن الأشعث قال للرّسول: "أتتكافؤ دماؤنا" فرد النّبيّ:"نعم ولو قتلت رجلا من باهلة لقتلتك به". ولاّه عثمان بن عفان ولاية أذربيجان وكان ممّن شارك في يوم اليرموك وأصيبت عينه فيها. شارك في القادسية وأصفهان مع النعمان بن مقرن والمدائن وجلولاء ونهاوند، واختط بالكوفة دارًا في كندة ونزلها. وشهد تحكيم الحكمين، وكان آخر شهود الكتاب. وكان كبير أمراء جيش علي بن أبي طالب في معركة صفين. توفّي سنة 40 للهجرة وقال بعضهم بعد علي ابن أبي طالب بأربعين ليلة. أمر الحسن بن علي أن يغسل بالكافور وأن يوضّؤوه. كانت ابنة الأشعث جعدة وقيل جعيدة زوجة للحسن بن علي وصلّى عليه الحسن. خلف الأشعث اِبنًا اسمه محمّد كان من كبار الأمراء وأشرافهم، وهو والد الأمير عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث المعروف ابن الأشعث وإسحاق، وإسماعيل، وحبابة، وقريبة، وأمّهم أم فروة أخت أبي بكر الصديق.

انظر ترجمته في: سير أعلام النّبلاء 2 ص 37؛ عقائد السنة وعقائد الشّيعة – صالح الورداني ص 189؛ الأنساب للصحاري (44/1)؛ سير أعلام النّبلاء 2 ص 39؛ البلاذري ص 106؛ الإصابة في تمييز الصّحابة, أحمد بن عليّ بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ، 1412 , تحقيق: علي محمد البجاوي (92/8)؛ الطبقات الكبرى لِابن سعد جـ10/ص 236؛ بحوث في الملل والنحل لأية الله الشيخ جعفر السبحاني، (ج5 377)؛ الأخبار الطوال – الدينوري – الصفحة 165؛ سير أعلام النبلاء ص 42؛ الأعلام، خيرّ الدّين الزّركلي، 1980؛ كتاب الأنساب للصحاري (151/1)؛ الأعلام، خير الدّين الزركلي؛ المحبر – محمّد بن حبيب البغدادي ص244؛ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام المؤلف الدكتور جواد علي النّاشر دار السّاقي الطبعة: الطبعة الرابعة 1422هـ/ 2001م؛ البداية والنّهاية؛ الطبري 3/ 139؛ زاد المعاد الإمام شمس الدّين أبي عبد الله ابن القيّم الجوزية ص 540؛ الطبقات الكبرى – محمّد بن سعد

باليمن؛ فحاربوا معه، ونصروه حتّى قُتل، وقُتل معه خلقٌ كثيرٌ.

وكانت قبيلة من كندة يُقال لها: بنو قتيرة، قد انضمّوا إلى المهاجِرين وخالفوه وحاربوه، فسجع لهم وقال:

صباح سوء لبني قتيـــــرة وللأمير من بني مغيـــرة

فلمّا قُتل الكذّاب، قال رجب من بني قتيرة في ذلك:

صباح صدق لبني قتيـــرة وللأمير من بني مغيـــرة

إذ آثروا الله على العشيـــرة

فهؤلاء الكذّابون الذين تنبّوا، وتبعهم عالم من النّاس، وكانوا يسجعون، ويتكهّنون، ويعدون أتباعهم؛ فلمّا قُتلوا، بطل أمرهم، وتهدّم بنيانهم.

وإنّما ذكرنا شأنهم ليعلم الملحِدون أنّ أمر محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- لم يكن مثل أمر هؤلاء الكذّابين الذي تشبّهوا بالأنبياء. فلمّا هلكوا، بطلت دعواهم، ودرس كلامهم، وسقط بنيانهم، لأنّه كان على شفَا جرْف هاوٍ، فانْهار به في نار جهنّم؛ لا كبنْيان محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- الذي أسّسه على تقوى من الله ورضْوان؛ فهو يعلو ويزداد قوّة على مرور الأيّام، والشّهور، وانْقضاء السّنين والدّهور، ولو كره المشْرِكون.

ومعْجزته قائمة في العالم، وهي التي يجب أن تُدعَى: معجزة على الحقيقة، لا ما ادّعاه الملحِد من فعل أصحاب الخفّة والشّعبذة، كالرّقص على الأرسان، والدّوران على رؤوس الأسنّة فوْق الرّماح، وغير ذلك ممّا يجوز أن يأتي بمثله كثير من النّاس، وسمّاها: مُعجِزات، وشبّهها بمُعجِزات محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-.

وإنّما سُمّيت المعجِزة: مُعجِزةً، لأنّ النّاس يعْجزون أن يأتوا بمثْلها.

- ج 1- الصّفحة 65؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم الجزء الرّابع؛ الإصابة ابن حجر ج 6 ص 503؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ابن خلكان ج 4 ص 90.

Gil, Moshe (1997), A history of Palestine, 634–1099, Cambridge University Press, ISBN 0521599849 p.49

فأمّا الأسْباب التي يشْترك فيها الصّادق والكاذب، ويشْتبه الأمر فيها على النّاس، حتّى ينساغ لهم القول، ويشبّهوها بفعْل السِّحرة، وتبطل كما يبطل فعل السَّحَرة، فلا يُقال لها: معجزات؛ بل المعجزة على الحقيقة ما قد ذكرنا من شأن القرآن وشريعة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وما قد ظهر من قوّته التي قد كبس بها الأرض تحت أحكامه وسُننه، وهو يزداد حتّى لا يبْقى في الأرض إقليم، ولا جزيرة، ولا مصْر، ولا بلَد إلاّ ويدْخله الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها؛ فيتمُّ آخره كما تمّ أوّله، وينْجز الله وعْده، إنّ الله لا يخلف الميعاد.

فهذه هي المعجِزة التي لا يقْدر أحدٌ أن يأتي بمثلها.

فإن قال قائلٌ: فلعلّ ما تدّعون لا يصحُّ ولا يكون.

قلْنا: هذه الدّعوى هي لمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وهي فرْع لدعواه التي ذكر أنّ الله -عزّ وجلّ- يُظْهر دينه على كلّ دين، ولو كرِه المشرِكون.

وقد صَحّ ذلك الأصْل، والفرْع تابعٌ للأصْل؛ لأنّ الله -عزّ وجلّ- قد أظْهر دينه على جميع الأديان.

وأمارات هذه الدّعوى، التي هي الفرْع، قد ظهرت؛ لأنّ الإسلام يزْداد، وظهوره يقْوى على مرور الزّمان، كما قلنا.

فإن شغب معاندٌ، واحتجّ بمثل ما قاله الملحِد بأنّ النّصرانيّة[1] قد غَلَبَت بروميّة، واليهوديّة[2] بالخزر، والمجوسيّة[3] في بعض الجبال.

---

[1] المعهود في عصرنا استعمال لفظ: مسيحيّ. ولكنّ النّصوص القرآنيّة والحديثة لا تذكر غير لفظ: نصرانيّ، نصارى. وقد اختُلف كثيرًا في معرفة إذا كانت مشتقّة أو منقولة عن صفة أو معربّة. فأرجعها البعض إلى "ناصريّ" نسبة إلى ناصرة، أو إلى "أنصاري"، باعتبار أنّ الحواريّين أنصار الله كما جاء في القرآن الكريم، وأرجعها آخرون -كالزّمخشري- إلى نصران ونصرانة، بمعنى أنّهم نصروا المسيح. وفي *موسوعة الدّين والأخلاق* (ج3/ص574) لفظة "نصرانيّة" و"نصارى" تطلق في العربيّة على أتباع المسيح. يرى بعض المستشرقين أنّها من أصل سريانيّ هو: نصرويو Nosroyo ونصرايا Nasraya. ويرى البعض الآخر أنّها من Nazarenes التّسمية العبرانيّة التي أطلقها اليهود على من اتّبع ديانة المسيح.

انظر: *تفسير الرّازي*، ج3/ص105؛ *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام* لجواد علي، ج6/ص586؛ *القاموس الإسلامي* لهيوقس، ص431؛ *الموسوعة المختصرة للإسلام* بإشراف هـ. جب، ص440 إلى ص444.

[2] يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج2/ص210 إلى ص219): "هاد الرّجل: أي رجع وتاب. وإنّما لزمهم هذا الاسم لقول موسى -عليه السّلام-: "إنّا هدنا إليك": أي رجعنا وتضرّعنا. وهم أمّة موسى -عليه السّلام- وكتابهم التّوراة، وهو أوّل كتاب نزل من السّماء... واليهود تدّعي أنّ الشّريعة لا تكون إلاّ واحدة، وهي ابتدأت بموسى -عليه السّلام- وتمّت به، فلم تكن قبله شريعة إلاّ حدود عقليّة وأحكام مصلحيّة... ومسائلهم تدور على جواز النّسخ ومنعه، وعلى التّشبيه ونفيه، والقول بالقدر والجبر، وتجويز الرّجعة واستحالتها... وأشهر فرق اليهود هي: العنانيّة، العيسويّة، المقاربة واليوذعانيّة، السّامرة".

[3] في *موسوعة الإسلام المختصرة* (ج /ص298): "اللّفظة مرّت قبل وصولها إلى اللّغة العربيّة بنقل من اللّغة الفارسيّة إلى الآراميّة". واللّفظة وردت في القرآن الكريم في الآية 17 من سورة الحجّ. وفي *تاج العروس* للزّبيدي (ج4/ص245): "المجوسيّة دين قديم، وإنّما زرادشت جدّده وأظهره وزاد فيه، قاله شيخنا، قال: هو معرّب أصله منج كوش معرّب مجوس". ومسائل المجوس، كما يذكر الشّهرستاني في *الملل* (ج1/ص232) تدور على قاعدتيْن اثنتيْن: أوّلهما: بيان سبب امتزاج النّور بالظّلمة؛ وثانيهما: بيان خلاص النّور من الظّلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا. وقد قسّمها إلى ثلاث جماعات: الكيومرثيّة: الذين أثبتوا أصلين: يزدان وأهرمن، والأوّل أزليّ والثّاني محدث. والزّروانيّة: قالوا:

قلنا: إنّ الظّهور هو الغلبة والاسْتعلاء. وقد غلب الإسلام هذه الملل، واسْتعلى عليها؛ لأنّ الأمصار التي قد ملكها أهل الإسْلام كانت كلّها ممالك لأهل هذه الملل، مثل بلاد العجم من أرض بابل العراق؛ وكور الأهواز، وفارس، وكرمان، وسجسْتان، وإصبهان؛ وسائر الجبال إلى خراسان، وطخارستان، وبغرغر؛ وإلى حدّ السّند، والهنْد؛ وإلى حدود الصّين، وفيافي التّرك، ونواحي الخزر، وغيرها من الممالك العظيمة التي كان يمْلكها الأكاسرة، وملوك الهياطلة، وكانوا في المجوسيّة؛ وكذلك أرض الحجاز وتهامة إلى البحْرين ونجران، إلى أقصى الحجر باليمن؛ وكانت ممالك لأهل أديان مخْتلفة من اليهود، والنّصارى، والمجوس، سوى ما كان في مملكة عبدة الأصْنام[1] من العرَب.

ثمّ بلاد الشّام، والأردن إلى طنجة، وفرنجة، وتاهرت الأقْصى التي ملكها إدْريس بن إدْريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ (ع)[2]، وإلى جزيرة وراء البحريْن ببلاد

إنّ الله أبدع أشخاصا من نور كلّها روحانيّة نورانيّة ربّانيّة، ولكنّ الشّخص الأعظم الذي اسمه زروان شكّ في شيء من الأشياء، فحدث أهرمن الشّيطان، يعني إبليس. والزّرادشتيّة.

[1] يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج2/ص259 إلى ص262): "اعلم أنّ الأصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون في آخر الأمر إلى عبادة الأصنام، إذ كان لا يستمرّ لهم طريقة إلاّ بشخص حاضر، ينظرون إليه ويعكفون عليه. وعن هذا اتّخذ أصحاب الرّوحانيّات والكواكب أصناما زعموا أنّها على صورتها... لكنّ القوم لما عكفوا على التّوجّه إليها، كان عكوفهم ذلك عبادة، وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهيّة لها، وعن هذا كانوا يقولون: "ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى"، فقد كانوا مقتصرين على صورها في اعتقاد الرّبوبيّة والإلهيّة لما تعدّوا عنها إلى ربّ الأرباب. ومن أشهر فرق عبدة الأصنام: المهاكاليّة، البركسهيكيّة، الدّهكينيّة، الجلهكيّة (أي عبّاد الماء)، الأكنواطريّة (أي عبّاد النّار).

[2] إدريس الثاني أو إدريس الأزهر، هو إدريس الأزهر بن إدريس (الأول(بن عبد الله الكامل ثاني حاكم مسلم للمغرب. والظاهر أن إدريس لم يبتدئ بمباشرة شؤون الدولة بنفسه إلا بعد سنة 190 . فالمصادر لا تذكر له أي عمل بَيِّن قبل ذلك التاريخ الذي بدأ يعمل فيه من أجل نقل عاصمة دولته من وليلي إلى فاس. وكل ما يمكن الإشارة إليه هو أن صمود الدولة الفتية للمكايد والصدمات أكسبها سمعة في جهات متعددة من بلاد الإسلام. فاتجهت إليها الأنظار وقصدتها الوفود والمهاجرة من أفريقية والأندلس بالخصوص فيذكر القرطاس هجرة خمسمائة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبني

الأندلس وتاهرت الأدنى التي ملكها الدّيمسي الإباضي فلان بن عبد الرّحمان بن عبد

يحصب والصدف وغيرهم. وتشير الروايات التاريخية، من جهة أخرى، إلى أن إدريس تحرك بجيشه لتوطيد نفوذ دولته بالمغرب، وتجاوز الحدود التي كان قد وصل إليها والده. فتقدم نحو الأطلس الكبير، واستولى على مدينتي نفيس وأغمات وأقام نفوذ الدولة في بلاد مصامدة الجنوب، وكان ذلك في سنة 197 هـ/ 812 م. ثمّ اتجه بعد ذلك إلى الشّرق نحو نفزة وتلمسان التي دخل إليها وأنجز فيها بعض البناءات وأقام بها ثلاث سنين. وتؤكد لنا دراسة البقايا من النّقود الإدريسية الأماكن التي بلغ إليها نفوذ الدولة في عهد إدريس الثاني، وهي الأماكن التي وجدت بها دور السكّة. إذ نجد عددها يبلغ ستة عشر وفيها مدن مثل أصيلا والبصرة وتدغة وتلمسان وتهليت وسبو وطنجة والعالية (فاس) ومريرة (مريرت الحالية). وورغة ووازقور (ناحية أم الربيع) وطيط ووليلي وايكم. هذه الأسماء تدلنا، ولو نسبنا، على مدى اتّساع المملكة التي كان يحكمها إدريس الثّاني، وتبيّن لنا أن هذا الأمير كان يسير بخطى وئيدة في تنفيذ خطة أبيه الذي كان يهدف إلى تأسيس دولة كبيرة ينافس بها دولة العبّاسيّين. إلاّ أنّ هؤلاء كانوا واعين بخطر الأدارسة وحذرين منه أشد حذر، ولذلك، فإنّهم ظلّوا يحرضون الأغالبة على الكيد لهم. وهكذا مات إدريس فجأة في 10 جمادى الآخر سنة 213 (29 غشت 828) في العهد الذي كان فيه زيادة الله بن الأغلب واليا على أفريقية، وكان سن إدريس عند وفاته ستّا وثلاثين سنة. ولئن ذكر القرطاس أنّ سبب موته هو أنّه شرق بحبّة عنب، فإن مصادر أخرى مثل البكري وابن عذاري تذكر أنّه مات مسمومًا. بل إنّ ابن الأبّار يؤكّد أنّ "زيادة الله احتال عليه حتّى اغتاله " الحلّة السيراء.

وبموت إدريس ينتهي طموح الأدارسة إلى تأسيس دولة قوية موحدة، ويدب إليهم الانقسام والتشتت شيئا فشيئا. فتبدأ صفحة غير وضيئة في تاريخهم. توفّي إدريس الثاني سنة 213 هـ وترك من الولد اثنى عشر ة، تولّى منهم محمّد ففرّق البلاد على إخوته واستمالوا القبائل.

انظر ترجمته في: أ. البكري، المغرب، الجزائر 1985؛ ا. ابن عذاري، البيان ج 1، بيروت 1948؛ ع. ابن أبي زرع، القرطاس، الرّباط 1973؛ أ. ابن الأبار، الحلة السيراء، القاهرة ء 1963 ؛ أ. الجزنائي، زهرة الآس، الرباط ؛ ل، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، الدار البيضاء 1964؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت 1959؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، الدار البيضاء 1984 ؛ م. إسماعيل، الأغالبة، فاس 1978 ؛ إ. العربي، دولة الأدارسة، بيروت 1983.

E.I., 2e éd. ; D. Eustache, Le corpus des dirhams Idrissides, Bulletin de la Société d'histoire du Maroc n° 2, 1969. محمّد زنيبر

الوهّاب بن رستم الفارسي الذي كان يسلّم عليه بالخلافة.

ثمّ وراء بحْر الأندلس في بلاد ولد عبد الرّحمن بن معاوية الأموي من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان، وإلى حدود وادي الرّمل الذي قد نصب على طرفه تمثال من نحاس، قد كُتب عليه: "ليس ورائي مذْهب، ولا يطأ تلك الأرض أحدٌ إلاّ ابْتلعه النّمل".

ثمّ إلى باب النّوبة، ثمّ إلى الجزائر، ثمّ إلى صقلّية ومدائنها، ثمّ الثّغور الحرريّة والشّاميّة من شمشاط، وملطيّة، وطرطوس، وغيرها إلى قليقلا، وما وراء ذلك من بلاد أرمنيّة، وأذربيجان إلى الباب والحرن، والداب، وتفليس، والباب إلى روميّة.

هذه كلّها كانت ممالك الرّوم وقد غلب أهل الإسلام أهل الأديان على هذه الممالك، وقهروا ملوكها، واستعلوا عليها[1].

وأمّا المجوس، فقد صار أمْرهم إلى ما ترى.

وأمّا النّصارى، فقد الْتجأوا إلى روميّة وتحصّنوا فيها، بمنْزلة مَن يأوي إلى قلْعة أو حصْن يمْتنع فيه من عدوّه.

وكذلك سبيل اليهود بخزر، والمجوس الذين في رؤوس الجبال -كما ذكر الملحِد-، وسائر الأديان في أطْراف الأرض كلّهم مَقْهورون مَغلوبون. فمَن كان منهم في دار الإسلام، قد الْتزم الجزية الصّغار. ومَن كان ملتجئًا إلى ممالكهم، فالسّيف على رقابهم.

وأهْل الإسلام لم يؤدُّوا إلى أحَد جزْية، ولا دخلوا تحت أحكام متسلّط في الدّين والدّنيا، بل الإسلام على عليتهم قاهر لهم قد بنيت المساجد برومیّة على صغر منهم وقمأة، لا يجْسرون أن يمنعوا من بنيانهم إذعانًا لأهل الإسلام، وانقيادًا لهم.

فإن قال قائلٌ: فإنّ البيع، والكنائس، وبيوت النّيران في دار الإسلام.

قلنا: ليْس سبيل الكنائس، والبيع، وبيوت النّيران في دار الإسلام تلك السّبيل، لأنّ محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- ترك هذه الأبنية اختيارًا لا اضطرارًا؛ ولو شاء، لأَمر بقلعها؛ بل لو شاء، لَمَا ترك في دار الإسلام ذمّيًّا واحدًا. ولكن أراد أن تبْقى رسوم

---

[1] في الأصل: **لها**.

الأنبياء في العالم، وشهد لهم بالتّصْديق، وسالم أهْل المِلل بأخْذ الجزية منهم، لتبْقى رسوم الأنبياء (ع)؛ فيكون حجّة الله -عزّ وجلّ- على خلْقه.

ولولا ذلك، لاستنَّ فيهم بسنّة العرب؛ فإنّه لم يرضَ منهم إلاّ بالإسْلام أو القتْل، ولم يقْبل منهم الجزية. ولو فعَل ذلك بأهل الملل، لكان قادرًا على ذلك. فلهذه العلّة أقرّ هذه الأبنية.

وليس سبيل المساجد برومية هكذا، لأنّ النّصارى لا تشْهد لمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بالتّصْديق، كما شهد محمّد لعيسى (ع). ولو قدرت الرّوم على إخبارها، لَمَا تركتها، ولكنّهم أقرّوها اضطرارًا.

ثمّ نقول: إنّ هذه الممالك، التي هي تحت أحكام القرآن، هي أعْدل الجزائر طبائع، وأفْضل أقاليم الأرض؛ وهي أرض الأنبياء والرّسل، وفيها مبْعثهم؛ وهي منشأ الحُكماء، وأهل الفضْل؛ وقد صارت ممالك لأهل الإسلام، والإسلام قد طبّق العالم تطبيقًا. ولم يغلب أحدٌ من أهل سائر الملل أهل الإسلام في شيء من ممالكهم.

فهذا هو القهْر والغلبة والظُّهور الذي وعَد الله محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- أن يظْهر دينه على الدّين كلّه، ولو كره المشْرِكون.

وقد أنْجز له وعْده، وظهرت حجّته، وصحّت هذه الدّلالة الواضحة والمعْجزة البيّنة، وبان صدقه؛ وهو -عزّ وجلّ- يتمّم ذلك كلّه له، حتّى يملأ الأرض عدلاً، كما مُلِئت جورًا، والله بالغ أمره ولو كره الكافرون.

وتأوّل قومٌ في هذه الآية: ﴿ليُظهره على الدّين كلّه ولو كره المشرِكون﴾[1]، فقالوا: "إنّ الله وعد محمّدًا أن يظْهره على الدّين كلّه. فخرج عن الدّنيا، ولم يظهره على الدّين كلّه"، واحْتجّوا بذلك.

وليست لهم حجّة في هذه الآية. قال -جلّ ذكره-: ﴿أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه﴾[2]، يعني: يظهر الدّين الذي أتى به محمّد -صلّى الله

---

[1] سورة الصفّ (61)، الآية 9.

[2] سورة الصفّ (61)، الآية 9.

عليه وسلّم-، وهو دين الحقّ، على الدّين كلّه، فالهاء في قوله: ﴿ليظهره﴾[1] راجعة على دين الحقّ؛ وقد ظهر دين الحقّ على الدّين كلّه.

وهذا صحيحٌ من جهة اللّغة العربيّة، وليس لمعاند فيه مقالٌ.

ولو كانت الهاء راجعةً على رسوله، لَكان[2] المعنى صحيحًا؛ لأنّ ظهور دينه على الدّين كلّه هو ظهوره. ولكن إذا أردتَ الهاء على دين الحقّ، سقطت حجّة المعاند، ولم يكن له مقالٌ.

---

[1] سورة الصفّ (61)، الآية 9.

[2] في الأصل: **لكن**.

الباب الرّابع

الفصل الأوّل
الأنبياء أصل الأئمّة ووارثو الأنبياء

الآن، بعد فراغنا من القوْل في معجز محمّد (ص) الذي هو القرآن العظيم، وكشفنا عن الدّلالة الكبيرة له القائمة في العالم، وتكرير القوْل بذلك، لإيضاح المعاني التي فيه، وتنوير الحجّة؛ نقول في جواب ما ادّعاه الملحِد:

إنّ الفلاسفة اسْتدرَكوا هذه العلوم بآرائهم، واستنبطوها بدقّة نظرهم، وألهموا ذلك بلطافة طبْعهم؛ يعني ما في كتب الطبّ من معرفة طبائع العقاقير والخصوصيّات التي فيها؛ وما في المجسْطي وبطْليموس من معرفة حركات الفلك، والكواكب، وحساب النّجوم؛ وما فيه من اللّطائف والأحكام؛ وما في إقليدس من علم الهندسة، والمساحات، ومعرفة مقْدار عرض الأرض وطولها، ومسافة ما بين السّماوات، وغير ذلك ممّا في هذه الكتب.

فزعَم الملحِد أنّ ذلك كلّه باستنباط وإلهام، وأنّهم استغنوا عن أئمّتنا في ذلك، يعني: الأنبياء (ع).

ثمّ افْتخر وقال: إنّ نفْعها وضرّها أكْبر من نفْع كتب أهل الشّرائع وضرّها، وتبجّح بذلك.

ثمّ قال: أخْبرونا أين ما دلّت عليه أئمّتكم من التّفرقة بين السّموم، والأغذية، وأفعال العقاقير؟

أرُونا منْه ورقة واحدة، كما نُقِل عن بقراط وجالينوس الألف لا الآحاد؛ وقد نفعت النّاس.

وأرُونا شيئًا من علوم حركات الفلك وعلله نُقِل عن رجل من أئمّتكم، أو شيئًا من الطّبائع اللّطيفة الطّريفة، نحو الهندسة، وغير ذلك من أمر اللّغات، لم تكن معْروفة اخْترعها أئمّتكم.

ثمّ قال: إن قلتم إنّ هذا كلّه أخذ أصْله من أئمّتنا؛ قلنا: هذه دعْوى غير صحيحة ولا مُسلَّمَة لكم. وإنّا لنعْرف ما تدّعون أنّه من الآن، أئمّتكم؛ وهو الضّعْف الوقح الذي شاع ذكْره في عوامّ النّاس وخواصّهم.

ثمّ قال: فإن قلْتم: فمِن أين عرف النّاس أفعال العقاقير في الأبْدان، وحركة الفلك؟ وبأيّ لغة تُدعى النّاس إلى اختراع اللّغات؟ فإنّ لنا في ذلك أقاويل تسْتغني عن أئمتكم.

فمنْها ما تكون مُستخرَجة على رسومها المعروفة المشورة عند أهلها، كالأرصاد للنّجوم، ومعرفة أفعال العقاقير في الأبدان، ومعرفة قوامها بالطّعوم والأرائح.

ومنْها ما أُخِذت أوّلاً عن أوّل إلى نهاية الزّمان.

ومنْها أن تكون معرفتها بالطّبع، كما يُحسِن الإوزُّ السّباحة من غير تعليم من أئمّتكم؛ ويدْحض الاحْتجاج الذي احتججْتم به.

هذا قوْل الملحِد حكيْته على وجْهه.

ونقول في جوابه: أمّا القول في باب نفع[1] الكتب التي ذكرها وضرّها، وفي تفضيله إيّاها على القرآن العظيم، وعلى سائر الكتب المنزَّلة؛ فقد شرحْنا ما فيه كفاية لِمَن أنصف، ولم يعاند، ولم يغشّ نفسه. ﴿فأمّا مَن طَغى وآثر الحياة الدّنيا فإنّ الجحيم هي المأوى وأمّا مَن خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[2].

وأمّا هذه الكتب التي ذكرها، وذكر أنّها عن أئمّتهم، فإنّا نقول: إنّها من رسوم الحُكماء الصّادقين المؤيَّدين من الله –عزّ وجلّ–، وليس أسماء أئمّتهم فيها إلاّ عارية، وهذه الأسماء التي تُنسَب هذه الكتب إليها، مثل جالينوس[3]، وبقراط[4]، وإقليدس،

---

[1] في الأصل: **النفع**.

[2] سورة النّازعات (79)، الآيات 37 إلى 41.

[3] ظهر جالينوس بعد ستّمائة وخمس وستّين سنة من وفاة بقراط، وانتهت إليه الرّئاسة في عصره. وهو الثّامن من الرّؤساء الذين أوّلهم أسقلبيلدس مخترع الطبّ. وكان معلّم جالينوس: أرمينيوس الرّومي.

وأخذ عن أغلوقن، وله إليه مقالات، وبينهما مناظرات. وقيل: كان جالينوس في أيّام ملوك الطّوائف في أيّام قباذ بن سابور بن أشغان. وكان جالينوس وجيهًا عند الملوك كثير الوفادة عليها، كثير التّنقّل في البلدان، وأكثر أسفاره إلى مدينة روميّة. وكان جالينوس كثيرًا ما يلتقي مع الإسكندر الأفروديسي. وكان الإسكندر يلقّبه برأس البغل لعظم رأسه. وتوفّي جالينوس في أيّام ملوك الطّوائف، وبين المسيح وبينه سبع وخمسون سنة، المسيح –عليه السّلام– أقدم منه. وقد نُقل إلى العربيّة أكثر من سبعين كتابًا لجالينوس على حدّ الكشف الذي حدّده ابن النّديم في *الفهرست*.

حول ترجمته راجع: *الفهرست* لابن النّديم، ص289. بيروت. د. ت.

[4] هو ابن إقليدس بن أبقراط ولد ب جزيرة كوس حوالي سنة 460 قبل الميلاد وهو أشهر الأطباء الأقدمين. عاش خمسة وتسعين سنة، تعلم خلالها الطب من أبيه وجده وبرع فيه. لما رأى أن العلوم الطبية آخذة في الانقراض بانقراض أعلامها ونوابغها رأى أن الذريعة لحفظها هو إذاعتها في سائر أرجاء العالم وتسهيل تناولها على الناس أجمعين لتصل إلى النفوس المستعدة للنبوغ فيها قائلا: "إن الجود بالخير يجب أن يكون على كل أحد يستحقه قريبا كان أو بعيدا". يعد أبقراط أول من دون الطب، وسلك في تأليف الكتب ثلاث مسالك، فكتب بعضها بطريق الألغاز، وبعضها بطريقة الإيجاز، وفي مسلكه الثالث اعتمد البيان والتصريح، وقد علم عنه العرب نحوا من ثلاثين كتابا وقيل ستين كتابا منها كتاب الأجنة وكتاب طبيعة الإنسان وكتاب الأهوية والمياه والبلدان وكتاب الفصول وغيرها. نقل إلى العربية في العصر العباسي عدد من الكتب التي تحمل اسمه ذكر منها صاحب الفهرست (كتاب عهد بقراط بتفسير جالينوس)، الذي ترجمه حنين إلى السّريانية وأضاف إليه، وترجمه حبيش وعيسى بن يحيى إلى العربية، وكتاب (الفصول بتفسير جالينوس) الذي ترجمه حنين إلى العربية، وكتاب (تقدمة المعرفة بتفسير جالينوس) فقد ترجم حنين متنه إلى العربية ثم ترجم التفسير عيسى بن يحيى، وكتاب (الأمراض الحادة بتفسير جالينوس)، وهو خمس مقالات ترجم عيسى بن يحيى ثلاثاً منها، وكتاب (الكسر بتفسير جالينوس) ترجمه حنين إلى العربية، وكتاب (إبيدمِيا) نقله إلى العربية عيسى بن يحيى، وكتاب (الأخلاط بتفسير جالينوس (نقله إلى العربية عيسى بن يحيى، وكتاب (قاطيطيون بتفسير جالينوس) ترجمه حنين إلى العربية، وكتاب (الماء والهواء بتفسير جالينوس) ترجم حنين متنه إلى العربية وترجم التفسير حبيش بن الحسن، وكتاب (طبيعة الإنسان بتفسير جالينوس)، ترجم حنين متنه إلى العربية وترجم التفسير عيسى بن يحيى. وورد في دائرة المعارف الإسلاميّة: لم يكتف علماء المشرق بترجمة مؤلفات هذا الطبيب اليوناني العظيم ولكنهم أضافوا إليها شروحًا وتفاسير، وفسروا كتابيه (تقدمة المعرفة والفصول). كذلك كتب ثابت بن قرة موجزًا لكتاب بقراط

وبطليموس[1]، وغير ذلك ممّا يشاكلها؛ فهي أسماء كُني بها عن أسماء الحُكماء الذين وضعوا هذه الكتب.

وهذه الكُتب هي مبْنيّة على الحكمة الصّحيحة، والأصول المنتظِمة.

وقد كنتُ ناظرتُ الملِحِد على أشياء في كتاب بلينس[2]، وقد كان ذكر لنا أنّ صاحب هذا الكتاب "حدوثيّ"، وأنّه كان في هذه الشّريعة، وتَسَمّى بهذا الاسْم، ووضَع هذا الكتاب.

عن الماء والهواء والبلدان، وصنف الفيلسوف الكندي الطب الأبقراطي عن منهج أبقراط في الطبّ. أصبح من الثابت أن الكتب التي تنسب إلى أبقراط ليست من عمل رجل واحد، ومن العسير التّفريق بين الكتب التي وضعها وتلك التي ألفها تلاميذه المقربون أو التي كتبها بعض المؤلّفين المتأخرين الذين تأثّروا بما أحاط به من شهرة فنسبوا الكتب له. توفّي أبو الطب سنة 377 قبل الميلاد بعد أن وضع أساس الطب. تحتفل اليونان بيوم أبقراط في 19 سبتمبر من كل عام. وقد أعلن 19 سبتمبر عام 2003 يوم عالمي لأبقراط.

انظر ترجمته في: أبقراط عدنان تكريتي الموسوعة العربية دائرة معارف القرن العشرين – المجلد الأول محمد فريد وجدي، دار المعرفة للطباعة والنشر لبنان .عيون الأنباء في طبقات الأطباء –لابن أبي أصيبعة.

[1] هو صاحب كتاب *المجسطي*، عاش في أيّام أدريانوس وأنونينوس، وفي زمانهما رصد الكواكب، ولأحدهما عمل كتاب *المجسطي*. وهو أوّل مَن عمل الإسطرلاب الكريّ والآلات النّجوميّة والمقاييس والأرصاد. ويُقال إنّه رصد النّجوم قبله جماعة منهم أبرخس، وقيل إنّه أستاذه وعنه أخذ، والرّصد لا يتمّ إلاّ بآلة، فالمبتدئ بالرّصد هو صانع الآلة. والكلام على كتاب *المجسطي*. وأوّل مَن عني بتفسيره وإخراجه إلى العربيّة: يحيى بن خالد بن برمك، ففسّره له جماعة فلم يتقنوه؛ ولم يرض ذلك، فندب لتفسيره أبا حسّان وسلم صاحب بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النّقلة المجوّدين، فاختبرا نقلهم وأخذا بأفصحه وأصحّه. وقد قيل أنّ الحجّاج بن مطر نقله أيضًا. وله من الكتب بعد ذلك كتاب *الأربعة*، كتاب *المواليد*، كتاب *الحرب والقتال*، كتاب *في الأسراء والمحبوسين*، كتاب *في أسر السّعود واصطناعها*، كتاب *المرض وشرب الدّواء*، كتاب *اقتصاص أحوال الكواكب*... حول ترجمته راجع: *الفهرست* لابن النّديم، ص267– ص268. بيروت. د. ت.

[2] في الأصل: **بلبناس**.

وقد ذكرْنا شيئًا من كلامه، والأمثال التي ضرَبها في كتابه.

فذاكرتُ الملْحِد بذلك، فقال: "هذا هو صحيحٌ، وقد عرفناه، واسْم هذا الرّجل فلان، وكان أيّام المأمون[1]، وكان حكيمًا متفلسفًا.

وهكذا كنّا سمعْناه من غيره. فهذا الرّجل سلك سبيل أولئك الحُكماء القُدَماء، وتسمّى بهذا الاسْم الذي يشاكل تلك الأسماء، وكلامه من ذلك النّوع؛ ولكنّه قد جرّد القول في التّوْحيد، وردّ على أصْحاب الاثنيْن وسائر الملحِدين، وأثْبت حدث العالم، وأوْرد في ذلك حججًا كثيرة قويّة؛ ثمّ تكلّم في كوْن العالم، وعلى عِلَل الأشياء، وضرب أمثالاً كثيرةً، منها سهلة تلْحق معانيها، ومنها مُسْتغْلِقة.

وهكذا كان سبيل سائر الحُكماء الذين تسمّوا بهذه الأسْماء.

---

[1] هو عبد الله بن هارون أمير المؤمنين، أبو العبّاس المأمون بن الرّشيد بن المهديّ. وُلد سنة 170 هـ. وتوفّي سنة 218 هـ.، وكانت خلافته عشرين سنة وستّة أشهر. قرأ العلم في صغره وسمع من هشيم وعباد بن العوامّ ويوسف بن عطيّة وأبي معاوية الضّرير وطبقتهم. وروى عنه يحيى بن أكثم وجعفر بن أبي عثمان الطّيالسي والأمير عبد الله بن طاهر. وبرع في الفقه والعربيّة وأيّام النّاس. ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة، فجرّه ذلك إلى القول بخلق القرآن. ولما خلعه الأمين غضب ودعا إلى نفسه بخراسان فبايعه النّاس. وادّعى المأمون الخلافة وأخوه حيّ في آخر سنة 195 هـ. إلى أن قتل الأمين، فاجتمع النّاس عليه بغداد في أوّل سنة 198 هـ. رجع عن إباحة المتعة، ولكنّه لم يرجع عن مسألة خلق القرآن، وصمّم عليها في سنة 218 هـ.، وامتحن العلماء. وفي نفس السّنة توجّه غازيًا إلى أرض الرّوم، فلمّا وصل البدندون مرض، وأوصى بالخلافة إلى أخيه المعتصم، ثمّ توفّي بالبدندون، فحمله ابنه العبّاس إلى طرسوس، ودفنه بها في دار خاقان خادم أبيه.

حول ترجمته راجع: *فوات الوفيّات*، ج2/ص235 إلى ص239؛ الزّركشي، ص156؛ الرّوحي، ص51؛ *تاريخ الخلفاء*، ص355 إلى ص384؛ الفخري، ص197؛ *خلاصة الذّهب المسبوك*، ص186؛ *تاريخ بغداد*، ج10/ص183؛ *تاريخ* الخميس، ج2/ص334؛ *البدء والتّاريخ*، ج6/ص112.

وقرأتُ في كتاب دانْيال[1] أنّ بخت نصر لما فتح بيْت المقْدس وسبى أهْله،

---

[1] النّبيّ دانيال كان ممن تم أسرهم ونقلهم إلى بابل إبان السبي البابلي لبيت المقدس وتدميرها على زمن نبوخذ نصر. ودانيال نبي من أنبياء بني إسرائيل ممن لا يُعلم وقته على اليقين، إلا أنه كان في الزّمن الذي بعد داود ، وقبل زكريا و يحيى عليهم السلام، وكان في الوقت الذي قدم فيه بختنصر إلى بيت المقدس وخربه، وقتل فيه من قتل من بني إسرائيل وسبى من سبى وأحرق التوراة. وقيل: إنه أسر دانيال الأصغر، وقيل: بل وجدوه ميّتًا عندما دخل بختنصر بيت المقدس، والظّاهر أنّه كان في بني إسرائيل دانيال الأكبر ودانيال الأصغر. والله أعلم. وقد أورد ابن أبي الدّنيا بإسناده إلى عبد الله بن أبي الهذيل أن بختنصر سلط أسدين على دانيال بعد أن ألقاه في جُب –أي بئر– فلم يفعلا به شيئًا. فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرمياء، وهو من أنبياء بني إسرائيل، وهو بالشّام أن أعد طعامًا وشرابًا لـ دانيال. فقال: يا رب أنا بالأرض المقدسة، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق، فأوحى الله إليه أن أعد ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت، ففعل وأرسل إليه من حمله وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب، فقال دانيال من هذا؟ قال أنا أرمياء فقال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك، قال: وقد ذكرني ربي؟ قال :نعم. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي يجيب من دعاه، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانًا. والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي هو يكشف ضرّنا وكربنا، والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنّا... واشتهر أنّ الصحابة عثروا على قبره عندما فتحوا (تستر) ثمّ أمرهم عمر بن الخطّاب أن يغيبوا قبره خشية أن يتّخذه النّاس معبدًا أو يشرك بالله عنده. وقيل إن الذي وجدوه رجلاً صالحًا. والأوّل أشهر. وأخرج ابن أبي الدنيا بإسناد حسن – كما قال الحافظ ابن كثير– عن أبي الزناد قال: رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتما نقش فصه (أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرّجل) قال أبو بردة وهذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسى يوم دفنه أي يوم دفن دانيال. قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه، جاءه المنجّمون وأصحاب العلم، فقالوا له: إنه يولد كذا وكذا غلام يُذهب ملكك ويفسده، فقال الملك: والله لا يبقى تلك الليلة مولود إلاّ قتلته. إلاّ أنّهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد فبات الأسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه. فجاءت أمّه فوجدتهما يلحسانه فنجاه الله بذلك، حتّى بلغ

انْتخب غلمانًا من ذلك السَّبْي لخدْمته، وكان فيهم دانيال؛ فكانوا يخدمونه، حتّى رأى تلك الرّؤيا؛ فسأل السَّحَرة، وأصحاب الرّقى، والمجوس[1]، والكلدانيّين، والمنجِّمين، والكَهَنة عنها وعن تعبيرها؛ فلم يخبروه بها، ولم يقْدروا على ذلك؛ فأخْبره به دانيال وعبّرها له، فقال له بخت نصر: "ليس في جميع مُلْكتي مَن يقدر أن يخبرني بها وتعبيرها، وأنت يا دانْيال تقْدر على ذلك، لأنّ فيك روح الله الطّاهرة، وأنت اسْمك بلطشاسر".

ثمّ رأى بعد ذلك رؤيا أخرى، فقال: "أدخلوا إليَّ دانيال عظيم الحُكماء الذي سمّيته باسم إلهي بلطشاسر"؛ فأدخلوه إليه، فعبّرها له بعد أن أخبره بها، وقال: "بلطشاسر معناه، صورة بال، وهو الوَثَن الذي كانوا يعبدون".

وإنّما ذكرْنا هذا لما قلنا إنّ هذه الأسماء، التي نُسبت إليها هذه الكتب، هي كنايات عن الحكماء الذين وَضَعوها، ولها معانٍ يعرفها مَن يعرف تلك اللّغة، وتَسمَّى بها أولئك الحكماء، وكنّوا بها عن أسمائهم.

ثمّ تشبّه بهم هؤلاء الكذّابون الضُّلاّل الذين نظروا في تلك الرّسوم، وعوّلوا عليها دون التّمسّك برسوم أصحاب الشّرائع، وتأسّوا بآرائهم وتعمّقوا، وابتدعوا تلك الوَسَاوس[2]

ما بلغ. قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته وصورة الأسديْن يلحسانه في فصّ خاتمه لئلاّ ينسى نعمة الله عليه في ذلك.

[1] في *موسوعة الإسلام المختصرة* (ج /ص298): "اللّفظة مرّت قبل وصولها إلى اللّغة العربيّة بنقل من اللّغة الفارسيّة إلى الآراميّة". واللّفظة وردت في القرآن الكريم في الآية 17 من سورة الحجّ. وفي *تاج العروس* للزّبيدي (ج4/ص245): "المجوسيّة دين قديم، وإنّما زرادشت جدّده وأظهره وزاد فيه، قاله شيخنا، قال: هو معرّب أصله منج كوش معرّب مجوس". ومسائل المجوس، كما يذكر الشّهرستاني في *الملل* (ج1/ص232) تدور على قاعدتين اثنتين: أوّلهما: بيان سبب امتزاج النّور بالظّلمة؛ وثانيهما: بيان خلاص النّور من الظّلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا. وقد قسّمها إلى ثلاث جماعات: الكيومرثيّة: الذين أثبتوا أصلين: يزدان وأهرمن، والأوّل أزليّ والثّاني محدث. والزّروانيّة: قالوا: إنّ الله أبدع أشخاصا من نور كلّها روحانيّة نورانيّة ربّانيّة، ولكنّ الشّخص الأعظم الذي اسمه زروان شكّ في شيء من الأشياء، فحدث أهرمن الشّيطان، يعني إبليس. والزّرادشتيّة.

[2] في الأصل: **الوسواس**.

الكبيرة التي زعموا أنّها حكمة وفلسفة، وأنّهم سلكوا مسالك الحُكماء، وتكلّموا في الباري -جلّ وعزّ-، وفي مبادئ الأشياء، وتحيّروا فيها وتاهوا؛ وزعموا أنّهم يستخرجون بفطنهم وطبْعهم ما أغفله مَن تقدّمهم من الحُكماء.

فأوْردوا هذه الوَساوس التي ذكرناها، وذكرْنا اختلافهم فيها، وتنازعهم، وتحيّرهم، وتناقضهم، واتْهماكهم في تلك الضّلالات؛ كما زعم الملحِد أنّه استدرك بفطْنته ما لم يفطن له مَن تقدّمه، وابتدع مقالته السّخيفة، وزعم أنّه نظير بقْراط في الطّب، وسقْراط[1] في اسْتخْراج اللّطائف.

وهكذا كان سبيل أولئك الكذّابين الذين تقدّموه ممَّن تشبّهوا بالفلاسفة، وتسمّوا بأسمائهم، واتّخذوا الإلْحاد شريعة ورسمًا، ودانوا بالتّعْطيل.

وقد رأيتُ مَن كانت سبيله هكذا، وكان قد تسمّى بنسطلوس وآخر بنسطوس.

فهكذا كان سبيل هؤلاء الكذّابين.

فأمّا الحُكماء الأوائل المحِقّون الذين وضعوا هذه الرّسوم الصّحيحة في النّجوم، والطّبّ، والهنْدسة، وغير ذلك من علم الطّبيعة؛ فإنّهم كانوا حكماء أهْل دهْرهم، وأئمّة في أعصارهم، حُجَج الله على خلْقه في أزمنتهم؛ وأيّدهم الله بوحْي منه، وعلّمهم هذه الحكمة.

فكلّ واحد منْهم أُعطِي نوعًا من الحكمة.

فمنْهم مَن أُعطي علم الطّب، وغير ذلك من علوم الهندسة والطّبائع، فأخرجوها إلى النّاس، وأخذها عنهم النّاس لما أراد الله -عزّ وجلّ- أن يعرّف خلْقه ما في

---

[1] هو سقراط بن سقراطيس، من أهل مدينة أثينا. وقد تكلّم سقراط على الفلسفة بكلام لم يدروا منه كثير شيء. والذي خرج من كتبه: *مقالة في السّياسة*، وقيل إنّ رسالته في السّيرة الجميلة له صحيح. وسقراطيس معناه ماسك الصحّة. وكان زاهدًا خطيبًا حكيمًا، وقتله اليونانيّون لأنّه خالفهم. وكان الملك الذي تولّى قتله: أرطاخشت. ومن أصحاب سقراط: أفلاطون. وقال إسحاق بن حنين: عاش سقراط قريبًا ممّا عاش أفلاطون، وقد عاش أفلاطون ثمانين سنة.

حول ترجمته راجع: *الفهرست* لابن النّديم، ص245.

هذه الأصول من الحكمة، وليُظهر مراتب هؤلاء الأنبياء في أزْمنتهم، وتظهر حُجَج الله على خَلْقه على ألْسِنتهم.

كما قد رُوي أنّ أصْل علم النّجوم من إدْريس النّبيِّ (ع).

وتأوّل قوْمٌ في قول الله –عزّ وجلّ– في قصّة قوله: ﴿ورفعْناه مكانًا عليًّا﴾[1] أنّ الله –عزّ وجلّ– رَفَعه إلى الجبل الذي هو في سرّة الأرض، وبعث إليه ملكًا، حتّى علّمه أسباب الفلك، وما فيه من الحدود والبروج والكواكب، ومقْدار سيرها؛ وسائر ذلك من علوم النّجوم.

وقالوا إنّ هرمس المذْكور في الفلاسفة هو إدريس، فاسْمه في الفلسفة: هرْمس، وفي القرآن: إدْريس.

وهذان الاسمان مشاكلان لتلك الأسماء، مثل: جالينوس، وأرسطاطاليس[2]، وغير ذلك ممّا في آخرها "سين"؛ واسمه في سائر الكتب المنزَّلة: أخنوخ.

فهذا دليلٌ بأنّهم كانوا يُكنّون بهذه الأسماء، وعلى هذا التّقطّع، عن أسْماء الأنبياء.

---

[1] سورة مريم (19)، الآية 57.

[2] يقول ابن النّديم في *الفهرست*: "من كتاب فلوطرخس: أفلاطون بن أرسطن، ومعناه: الفسيح. وذكر ثاون أنّ أباه يُقال له أسطرن، وأنّه كان من أشراف اليونانيّين. وكان في قديم أمره يميل إلى الشّعر، فأخذ منه بحظّ عظيم، ثمّ حضر مجلس سقراط فرآه يثلب الشّعر فتركه، ثمّ انتقل إلى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة. وعاش فيما يُقال إحدى وثمانين سنة. وعنه أخذ أرسطوطاليس وخلفه بعد موته. وقال إسحاق أنّه أخذ عن بقراط. وتوفّي أفلاطون في السّنة التي وُلد فيها الإسكندر، وهي السّنة الثّالثة عشر من ملك لاوخوس وخلفه أرسطوطاليس، وكان الملك في ذلك الوقت بمقدونية فيلبس أبو الإسكندر. من خطّ إسحاق: عاش أفلاطون ثمانين سنة. ما ألّفه من الكتب، على ما ألّفه ثاون ورتّبه، كتاب *السّياسة*، كتاب *النّواميس*. قال ثاون: وأفلاطون يجعل كتبه أقوالا يحكيها عن قوم، ويسمّي ذلك الكتاب باسم المصنّف له. فمن ذلك قول سمّاه *تالجيس* في الفلسفة، قول سمّاه *لاخس* في الشّجاعة، قول سمّاه *خرميدس* في العفّة، قولان سمّاهما *القيبادس* في الجميل...

حول ترجمته راجع: *المرجع المذكور*، ص245–ص246. بيروت. د. ت.

وممَّن ذُكِر منهم في القرآن: إلياس وإدريس؛ ومَن هو مذكور عند أهل الكتاب من الأنبياء والحُكَماء: شمعون تلميذ المسيح (ع)، كان يُقال له فطروس، وأخوه أيضًا -أحد الاثني عشر- اسمه: أندريوس؛ ومن الحواريّين الاثني عشر فيلوس ومارْقوس -أحد الأربعة-، وملغوس الرّسول المطاع فيهم؛ ومن الأنبياء المذكورين عندهم، سراقسيس، وآغاينوس، ولوقس، وبولس، وفيلدفيوس.

فهذه أسماء الأنبياء والحُكماء، ومثْلها أسماء كثيرة، وهي تشاكل أسماء الفلاسفة القُدماء الذين وَضَعوا كتب الطّبّ، والنُّجوم، والهنْدسة، وكنّوا عن أنْفسهم بهذه الأسْماء؛ كما ذكرنا من شأن إدريس أنّه أوّل مَن علّم النّاس علم النّجوم، وأنّه هرمس المعروف عند الفلاسفة بهذا الاسْم.

فإن قال قائل: فلِمَ نهى محمّدٌ -صلّى الله عليه وسلّم- عن النّظر في النّجوم، وهي من علوم الأنبياء؟

قلْنا: لأنّه أمرٌ منسوخٌ، وسبيله سبيل سائر رسوم الأنبياء المنسوخة، المنهى عنها. فأمَرَهم أن لا يشتغلوا به عن النّظر في شرائع الإسلام، ولم يُحرّمه تحريمًا جزمًا.

إنّما نهى عنه ترغيبًا عنه، ولأنّ الإنسان إذا تعمّق فيه، ولم يكن مُستبصِرًا بالشّرائع، وبأمْر التّوحيد، ولطائف العلوم الحقيقيّة، تحيّر وأدّاه ذلك إلى الإلْحاد، ويكون سبيله سبيل هؤلاء الضّالّين الذين تسمّوا بالفلاسفة؛ فنهى عن التّعمّق فيه.

ولأنّ النّاظر فيه يتكلّف ما لا يحْسنه، ويكْذب، ويتشبّه بالكهّان، ويغْلو في القول، ويُكثر الدّعاوي الباطلة في الأحكام.

كما رُوي عنه أنّه قال: "إيّاكم والنّظر في النّجوم، فإنّه يدعو[1] إلى الكهانة"؛ فرغّب -صلّى الله عليه وسلّم- بالمسْلمين[2] عن الكذب، والدّعاوي الباطلة، وما يخاف

---

[1] في الأصل: **يدعوا**.

[2] يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج1/ص40-ص41): "فرق في التّفسير بين الإسلام والإيمان. والإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهرا، ويشترك فيه المؤمن والمنافق. قال الله -تعالى-: ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ (سورة الحجرات (49)، الآية 13)، ففرّق

عليهم من ذهول العقْل، إذا لم يكونوا مسْتبْصرين في الدّين.

فهذه هي العلّة في النَّهي عن النّجوم، والنّظر فيه، ولم يحرّمه تحريمًا. ولو حرّمه، لا جاز لمسلم أن ينظر فيه أصلاً، ولَكان سبيله سبيل الأشياء المحرَّمة مثل الخمْر، والميّتة، والدّم، ولحم الخنزير.

فعلْم النّجوم أصله من إدريس (ع)، وهرمس هو إدريس، وهو نبيٌّ، وهو من أئمّتنا، لا من أئمّة الملحِدين؛ وكان بيْنه وبيْن آدم (ع) خمسة آباء.

وأمّا معرفة طبائع الأشياء، فإنّ الله –عزّ وجلّ– لما خلق آدم (ع)، وكان جسده مُرَكَّبًا من طبائع الأرض وغذاؤه ممّا أخرجتْ الأرض، وكانت الطّبائع مُتضادّة مُتشاكِلة ضارّة ونافعة، علّم –عزّ وجلّ– آدم الأسماء كلّها؛ إذ كان بدنه وأبدان ولده لا تصحّ إلاّ بالغذاء؛ والغذاء منه ما يضرّ، ومنه ما ينْفع؛ وإذ كانت الأدواء تلْحق أبدانهم، ولا بدّ لكلّ داءٍ من دواء؛ فعرّفه –عزّ وجلّ– من أيّ شيء يتولّد الدّاء، وما دواء كلّ داء، إذ لم يستغْن عن ذلك.

وإذ كان الله –عزّ وجلّ– أرْحم به وبولده أن يدووا، ولا يعرفوا لأدوائهم أدْوية، فعلّمه هذه الطّبائع كلّها، وعلّم هو ولده، فوَعى ذلك منهم مَن وَعَى، ونسي مَن نسي.

ثمّ أخذه الخَلَف عن السَّلَف، كما قال الله –عزّ وجلّ– في القرآن العظيم: ﴿وعلّم آدَمَ الأسماء كلّها﴾[1]، فعلّمه كلّ شيء يحتاج إليه من أمْر دينه ودُنياه.

التّنزيل بينهما. فإذا كان الإسلام بمعنى التّسليم والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك، فهو المبدأ؛ ثمّ إذا كان الإخلاص معه بأن يصدّق بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ويقرّ عقدا بأنّ القدر خيره وشرّه من الله تعالى، بمعنى أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كان مؤمنا حقّا. ثمّ إذا جمع بين الإسلام والتّصديق، وقرن المجاهدة بالمشاهدة، وصار غيبه شهادة؛ فهو الكمال. فكان الإسلام مبدأ والإيمان وسطا والإحسان كمالا، وعلى هذا شمل لفظ المسلمين: النّاجي والهالك".

[1] سورة البقرة (2)، الآية 31.

ولم يجز في حكمة الله إلاّ هكذا، لأنّهم لم يستغنوا عن عبادة الله –عزّ وجلّ– ومعْرفته طرْفة عيْن، ولا جازت لهم الحياة في هذا العالم يومًا واحدًا، إلاّ ويعرفون ما يُصلْح أبدانهم، وما يُفسْدها، وما يضرُّها، وما ينفعُها.

فهذه هي النّهاية في معرفة طبائع الأشياء التي ذكرها الملحِد، وقال: "أخَذه الأوّل عن الأوّل إلى نهاية الزّمان"، وقد صدق في هذا القول، ولكنّ النّهاية ليست ما ذهب هو إليها أنّ نهايتها إلى بقراط وجالينوس. وذكر أنّه روى عنهم الألف والآحاد من الطّب ومعرفة العقاقير.

فما خبرُ الأُمَم الذين كانوا قبل بقراط وجالينوس؟ هل استغنوا عن معرفة العقاقير أم لا؟ فإنّ الذين مشوا قبلهما كانوا في مثل طبائع مَن كان بعدهما إلى يومنا هذا!

وإن كان قبْل بقراط وجالينوس مَن عرف طبائع العقاقير، فإنّهما أخذَا عمّن تقدّمهما إلى أن ينتهي الأمْر فيه إلى بدْء الخلْق الذي هو آدم (ع)، وهو النّهاية.

وإن كان بقْراط وجالينوس زادَا[1] شيئًا، فإنّ سبيلهما ما قد ذكرنا أنّهما قدرَا على ذلك بتأييد من الله –عزّ وجلّ ذكره–، ووَحْي منه.

ومَن كانت سبيله هكذا، فهو نبيٌّ مؤيّدٌ من الله، والأنبياء هم أئمّتنا، لا أئمّة الملْحِدين. ولا ينكر أنّه[2] –عزّ وجلّ– يوحي إلى الأنْبياء فيما ينْساه النّاس ممّا يحْتاجون إليه، ويجدّد التّعليم لهم بذلك.

كما قالوا إنّ المسيح (ع) كان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلاّ وكلّمه. فليس معنى الكلام هاهنا معنى المجاوبة، إنّما معناه: الاعتبار والاسْتدْلال. ومَن أعتبر بالشّيء، وعلم ما فيه من النّفع والضّرّ، فقد كلّمه ذلك الشّيء. وهذا بابٌ مشهورٌ عند أهْل المعْرفة والتّمْييز.

فهكذا كان أمْر المسيح (ع)، كان لا يمرّ بشيء إلاّ ويعرف طبْع ذلك الشّيء بوحْي من الله –عزّ وجلّ–.

---

[1] في الأصل: **زاد**.

[2] في الأصل: **أن**.

وهكذا كان سبيل الحكماء الذين وضعوا هذه الرّسوم، ولم يقدروا على ذلك إلاّ بوحْي من الله وبتأييد منه، وكانوا أنبياء؛ ولا يقْدر أحدٌ أن يعرف طبيعة شيء بعقْله وفطْنته، ولا يصحّ ذلك من جهة العُقول.

وقد أحال الملحِد حين زعَم أنّ ذلك باستخراج، وإلْهام، ونظَر، وتجارب بالذّوق والأرائح، وغير ذلك ممّا ذكَره؛ وزعَم أنّهم أُلهموا هذه في طبْعهم من غير تعْليم؛ وأنّ الله أغناهم عن أئمّتنا، كما ألْهم الإوزّ السّباحة بالطّبع، وأغناها عن أئمّتنا.

وأقول: "سبحان الله!" تعجّبًا من الملحِد! كيف اهْتدى لهذه الحجّة التي تشبه عمى قلْبه، وقلّة عقْله، حين ادّعى أنّ الحكماء أُلهموا استخراج هذه اللّطائف من غير تأييد من الله –عزّ وجلّ–، ومن غير تعليم من الأئمّة، بل بطبْعهم، كما يسْبح الإوزُّ بطبعه؛ وأنّهم لم يحوجوا إلى أئمّتنا، كما لم يحوج الإوزّ إلى أئمّتنا؟!

أوَلَم يعلم الجاهل أنّ الأمْر لو كان أيضًا كما ادّعاه، أنّهم استخرجوا هذه الأشياء بالطّبع، لَمَا وجب أن يشبّه هذا الإلْهام والطّبع بإلْهام الإوزّ وطبْعه؛ لأنّ الإوزَّ مطبوعٌ على السّباحة، لا يحتاج في ذلك إلى فكْر، ولا استنْباط؛ كما قد طُبع جميع الحيوان على شيء ما: فطُبع الطّير على الطّيران في الهواء، ودوابّ الماء على السّباحة في الماء. وكلُّ جنْس لا يقدر أن يخالف ما قد طُبع عليه، لأنّه مُجبَرٌ على ذلك لا مُختارٌ؟!

فمنْه ما يطير ويسْبح، كالإوزّ؛ ومنه ما يسْبح ولا يطير، كالسّمك؛ ومنه ما يطير ولا يسْبح، كالحمام. والإوزُّ مطبوع على السّباحة والطّيران، صغارها وكبارها مطبوعة على ذلك؛ كما ترى فراخها، إذا انْفلق عنها البيض، سبَحت؛ وليْس في كلّ الإوزّ واحدة تخالف هذا الطّبع.

وكذلك سائر الحيوان، ليس جنْس إلاّ وكلُّه لا يخالف ما طُبع عليه، لأنّها مطبوعة على ذلك.

وليس حكْم البَشَر في استخراج العلوم واستنْباطها هكذا؛ لأنّه ليس في ألْف إنسان، وما فوْق ذلك من العدد، إلاّ واحدٌ يقْدر على استخراج هذه اللّطائف، إذا صحّت أيضًا دعْوى الملحِد من جهة الطّبع والإلْهام.

وأصحاب المعرفة بالحساب، والهندسة، والنّجوم، والطّب عددهم قليل جدًّا ما بين هذا الخلْق الكثير. ولو كان مثالهم في استخراج هذه اللّطائف بالطّبع، كما يسْبح الإوزّ بالطّبْع، لَوَجب أن يكون النّاس كلّهم حُسّابًا، ومُهندِسين، ومُنجّمين، وأطبّاء؛ ووَجَب أن لا يكون أصحاب الهنْدسة، والأطبّاء، والمنجّمون مخْصوصين بذلك دون سائر النّاس، لأنّ الإوزّ كلّه يسْبح صغاره وكباره؛ ولَوجب أن يرْتفع عنهم باب التّعليم، كما قد ارْتفع عن الإوزّ باب التّعليم في السّباحة، فكانوا لا يحتاجون إلى أئمّتنا، كما لا يحوج الإوزُّ إلى أئمّتنا.

فإن زعَم زاعمٌ أنّ كلّ النّاس لو صرفوا هِمَمهم إلى ذلك، لَكانوا مهندسين، وحسّابًا، ومنجّمين، وأطبّاء؛ كما احتجّ به الملحِد حين زعم أنّ النّاس، لو صرفوا هِمَمهم إلى تعلّم الفلسفة بطبْعه، قبل أن عرف أصول الفلسفة، ونظر في قوانين الفلاسفة، وقبل أن ابْتدأ بالتّعلّم من تلك الأصول، ثمّ نظر وقاس بعد التّعلّم؟ فإن قال: "نعم"، فقد باهَت وكابَر. وإن قال: "لا"، فهذا أوّله التّعلّم، ثمّ بعد ذلك نظرٌ وقياسٌ.

وإنّ الإوزّ لا يحتاج إلى تعلّم في ابتداء أمْره، لا إلى مسْبح ولا إلى معلّم على وجْه السّباحة، بل كلّها تسْبح طبعًا صغارها وكبارها، كما ذكرنا.

والإنسان لا بدّ له من التّعلّم في أوّل أمْره، وإن ترك التّعلّم في أوّل أمْره، لم يدْرك بطبْعه شيئًا؛ وليس ذلك في وسْعه، ولا هو مطبوعٌ عليه؛ ولا مُجبَرٌ عليه[1]؛ ولا بدّ له من الرّجوع إلى إمام يعلّمه، وإلاّ لم ينْفعه طبْعه، ولم يُغْنه شيئًا؛ كما استغْنى الإوزُّ عن التّعلّم من أئمّتنا، والرّجوع إليهم.

وإنّما يفْعل الإنسان بطبْعه الأشياء التي لا يقْدر على مخالفة طبْعه فيها، مثل فعْله بالحواسّ كالنّظر، والسّمع، والشّم، والذّوق، واللّمس؛ فإنّه مُجبَرٌ على ذلك؛ إذا نظر إلى الشّيء، رأى؛ وإذا وقَع الصّوت في أذنه، سمع؛ وإذا وقعت في خياشيمه ريح، شمّها. هذا إذا سلمتْ حواسُّه.

---

[1] في الأصل: **فيه**.

ثمّ هو مطبوعٌ على المشْي برجليْه، والتّناول بيديْه[1]. فالنّاس كلّهم قد طُبعوا على هذا، كما طُبع الإوزّ على السّباحة؛ واستووا فيه، كما أنّ الإوزّ قد اسْتوى في السّباحة.

فهذا الطّبع من النّاس هو الذي يشاكل طبع الإوزّ في السّباحة. وكلُّ جنس الحيوان هو مطبوعٌ على فعْله، لا يخالف ما طُبع عليه؛ والإنسان هو مطبوعٌ ومُخَيَّرٌ، قد شارك الحيوان فيما طُبع عليه، وخُصَّ بما هو مُخَيّرٌ فيه؛ مثل تعلُّم العلوم التي النّاس فيها خاصٌّ وعامٌّ؛ ومنهم مَن ليس في وسْعه أن يتعلّم حرفًا واحدًا. ولا بدّ أن يكون فيهم إمامٌ ومأمومٌ، وعالمٌ وجاهلٌ.

وهذا بابٌ لا يخْفى على عوّام النّاس، فكيْف على أهْل المعرفة والتّمييز؟!

فهل رأيتَ أعْمى قلْبًا وأقلّ عقلاً ممَّن يشبّه سباحة الإوزّ بطبْعه، باستخراج علْم الفلسفة، ومعْرفة حركات الفلك، وطبائع العقاقير، وسائر العلوم اللّطيفة من الهنْدسة وغير ذلك؟!

وهل رأيتَ أجهل ممَّن زعَم أنّ النّاس استخْرجوا هذه اللّطائف واستغنوا عن أئمّتنا، كما استغنى الإوزّ حين سبح بطبْعه عن أئمّتنا؛ ثمّ يدّعي أنّه فيلسوف العالم في زمان، وحكيم أهْل دهْره؟!

ولَعمري، لا تنْكر له هذه الدّعوى مع هذا القياس وهذا التّشبيه، ثمّ يعيّر المسلمين، ويقول: "مسلّم لهم بما قد حلّ بهم من آفة سُكر العقل، وغَلَبة الهوى". فأيُّ سُكر عقلٍ وغلبة هوى أشدُّ من سكْر عقْل صاحب هذا القياس، وغلبة هواه؟!

ونقول: مسلّم له بقياسه وفلسفته هذه التي أعْمى الله قلْبه فيها، وأسْكر عقله.

وأمّا قوله: أخبرونا بأيّ لغة وقف أوّل إمام من أئمّتكم على اللّغات؟ وهل في ذلك بدٌّ من الإلْهام؟ على أنّ إمامًا لو عرف لغة، ثمّ أراد أن يعرّفها النّاس، لَمَا قدر على ذلك؛ وإذا لم تكن عندهم سابقة، فليس بدٌّ من الرّجوع إلى الإلْهام بتّة بتّة.

هذا قوْلُ المُلحِد.

نقول في جوابه: إنّ للمُلحِد أن يقول بقِدَم العالم أو بحدثه.

---

[1] في الأصل: **يده**.

فإنْ ادَّعى قِدَم العالم، فقد ارْتفع القول معه في باب اللّغات، لأنّها قديمة مع العالم، على دعْوى مَن ادّعى قدم العالم؛ وانْقطع القول في باب الإلْهام والتّعلّم.

وإنْ أقَرّ بحدث العالم، قلنا: إنَّ مُحدِث العالم، لما خلق هذا البَشَر علّمه اللّغات، كما قلنا إنّه –عزّ وجلّ– علّم آدم الأسماء كلّها. وجائزٌ أن يكون علّمه جميع اللّغات، فعلّم هو ولده. وجائزٌ أن يكون علّمه بعضها دون بعض، ثمّ علّم –عزّ وجلّ– ولده، الذين كانوا في مثل منزلته من النّبوّة، سائر اللّغات؛ كما قيل أنّ آدم (ع) كانت له اللّغة السّريانيّة.

فلمّا كان انْتشاء النّسْل من آدم، تعلّم ولده لغته؛ كما نرى أنّ الأولاد يتبعون آباءهم في لغاتهم في جميع الأقاليم والجزائر.

وكذلك كلُّ نبيٍّ لما علّمه اللّغة لغة، اقتدتْ به أمّته، وتعلّمت لغته؛ كما نرى ونشاهد أنّ العجَم لم تعرف لغة العرَب، إلاّ النّبذ منهم اليسير. فلمّا قبلوا شريعة الإسلام، أقبلوا على تعلّم العربيّة، حتّى قد مهر بها أكثرهم تعلّمًا لا إلهامًا.

فهلْ رأيتَ عجميًّا أُلهم لغة العرب من غير تعلّم، كما قال المُلْحِد: إنّه لو أراد أن يعلّم النّاس لغة لَمَا قدر عليه، إذا لم تكن سابقة، وإنّه لا بدّ من الرّجوع إلى الإلهام بتّة بتّة؟!

فهذه العجَم قد تعلّمت العربيّة، ولم يكن لهم سابقة، ولم يتكّلّموا بها إلهامًا بل تعلُّمًا. وكذلك سبيل مَن يتعلّم لغة لم يعْتدها: أن يأخذها بالتّعلّم، لا بإلْهام.

ولا بدّ أن يكون لكلّ لغة إمامٌ قد علّمها الله إيّاه، ثمّ يعلّمها النّاس.

كما قد ذُكر أنّ أوّل مَن تكلّم بالعربيّة: إسماعيل بن إبراهيم (ع)، فَتَقَ اللهُ بها لسانه وعلّمه إيّاها، لأنّه كان نبيًّا؛ ثمّ علّمها هو ولده، فأخذوها عنه تعلّمًا لا إلهامًا؛ وهذا واضحٌ لا مريّة فيه.

وإذا وَضحتْ الحجّة بالمشاهدة في هذه اللُّغة، فهو دليلٌ على أنّ سائر اللّغات هكذا كان سبيلها، وأنّ البدْء فيها كان من رجل واحد. وذلك الرّجل علّمه الله لغة ما، فعلّمها هو مَن اقْتدى به.

وإذا وَضح أنّ الفرع هو تعلّمٌ، وليس هو إلْهامٌ، صَحّ أنّ الأصْل هو تعلّمٌ لا إلهامٌ.

وإذا صَحّ أنّ ذلك الأصْل الذي هو من رجل واحد تعلّم، ولم نجد له أوّلاً، صحّ أنّ ذلك الأوّل كان تعلّمه من خالق اللّغات؛ كما أنّ الأوّل خلقه خالق اللّغات، وخالق الخَلْق كلّه؛ وأنّ الله علّمه على سبيل الوحْي.

فإن كان إلهامًا، فهو من الله –عزّ وجلّ–، وهو جنسٌ من الوحْي.

وليس له بدٌّ من الرّجوع إلى قول أصحاب الشّرائع: إنّ بدْء تعلُّم الأشْياء كلّها من الله –جلّ ذكره–، بوحْي منه إلى أنبيائه (ع)، ثمّ علّموها النّاس.

كما قد ذُكِر أنّ بابل سُمّيت بابل، لأنّ الألْسن تبلْبلت فيها بعد خروج نوح من السّفينة، لأنّ ولد نوح، ومَن كان معه في السّفينة، تفرّقوا في البلدان، وتكلّم كلّ واحد منهم بلغة ما، فأخذ أولادهم عنهم اللّغات؛ وأنّ ذلك الواحد في كلّ بلد علّمه الله إيّاه.

فإن كان إلهامًا، فهو وحيٌ من الله –عزّ وجلّ–، وهو تعلّمٌ منه؛ لأنّ الأنبياء (ع) تفاوتت مراتبهم، وفضّل بعضهم على بعض درجات؛ فمنهم مَن أتاه الملك بالوحْي، وتراءى له، حتّى عاينه؛ ومنهم مَن رأى الملك بروحه، كما أنّ محمّدًا[1] –صلّى الله عليه وسلّم– كان يأتيه جبرائيل –صلّى الله عليه وسلّم– في أوْقات في صورة إنسان، وفي أوْقات كان يغْفو، إذ أتاه الوحْي، ثمّ يفيق، فيتلو[2] ما أوْحى[3] الله [له]؛ ومنهم مَن يُقذَف في قلْبه، فيكون ذلك إلهامًا، وتأييدًا من الله –عزّ وجلّ–، ووحيًا منه؛ ومنهم مَن يُوحَى[4] إليه في منامه؛ ومنهم مَن ينظر في الشّيء، فيعتبر به، ويلقي[5] الله في روْعه، ويعلّمه ما في ذلك الشّيء من النّفع والضرّ.

---

[1] في الأصل: **محمد**.

[2] في الأصل: **فيتلوا**.

[3] في الأصل: **أوحي**.

[4] في الأصل: **يوحي**.

[5] في الأصل: **يلقى**.

كما ذكرْنا في قصّة المسيح (ع) أنّه كان لا يمرّ بحجر، ولا شجرة، إلاّ وكان يكلّمه.

والوحْي من الله –عزّ وجلّ– إلى أنبيائه (ع) على هذه الجهات كلّها؛ يوحي[1] إليهم كيف يشاء على حسب درجاتهم.

فإن قال قائلٌ: إنّ النّاس يُلْهَمون أشياء، وإنّهم يروْن في منامهم أشْياء.

قلْنا: الإلْهام يكون على ثلاثة أوجه:

– فما كان يُوحَى من الله –عزّ وجلّ–، صحّ ما يتكلّم به مَن يلْهمه الله، ويظْهر صدْق قوْله وحكْمته فيما ينطق به من ذلك الإلْهام. وإذا صحّ، علمنا أنّه من الله؛ كما ذكر الله –عزّ وجلّ–: ﴿وأوحينا إلى أمّ موسى﴾[2] إلى قوله: ﴿فألقيه في اليم﴾[3]؛ ثمّ قال: ﴿إنّا رادّوه إليكِ وجاعلوه منَ المرسَلين﴾[4]. فهذا كان إلهامًا من الله –عزّ وجلّ–، وصحّ، لأنّ الله ردّ موسى إليها، وجعله من المرسَلين.

– ومنْه ما يكون توفيقًا من الله –عزّ وجلّ– للصّالحين من عباده، فيما يأْتون ويذرون من أمور دينهم ودُنياهم.

– ومنْه إلهامٌ يكون من وسْواس النّفْس، مثل كلام هؤلاء الموسْوسين الذين ليس لكلامهم نظام ولا حقيقة، وهو من جهة الطّبيعة، وخفّة الدّماغ، وتغوية الشّيطان على ذلك.

فهذا سبيل الإلْهام.

وكذلك الرّؤيا تكون على وجوه: فالذي يراه الأنبياء (ع) في منامهم لا يبْطل بتّة بتّة، ولا يحْتاج إلى بارة؛ وإذا رأوا شيئًا، كان ذلك الشّيء بعيْنه. فهذا ما خُصّوا به.

---

[1] في الأصل: **يوحى**.

[2] سورة القصص (28)، الآية 7.

[3] سورة القصص (28)، الآية 7.

[4] سورة القصص (28)، الآية 7.

ثمّ يشْتركون مع النّاس، فربّما رأوا في منامهم شيئًا يحْتاج إلى التّأويل؛ وسبيله سبيل سائر المنامات التي يراها النّاس ممّا إذا عُبّر كانت له حقيقة؛ وهذا جنسٌ من الرّؤيا يشْترك الأنبياء (ع) مع سائر النّاس في ذلك، ويُخَصّون بالنّوع الآخر الذي قد ذكرْناه.

ومن الرُّؤيا ما يكون من جهة الطّبيعة، ومنها ما يكون من بقايا الفكر؛ فهذان النّوعان لا حقيقة لهما، والأنبياء (ع) مُنزَّهون عن هذه الرّؤيا؛ وهي التي يُقال لها "أضغاث أحلام"، ولا تأويل لها، ولا تصحّ عبارتها؛ كما تصحّ عبارة الرّؤيا الصّحيحة التي تكون من أسرار العالم العلويّ، فيراها الإنسان الصّالح، التي هي من جنْس الرّؤيا التي يراها الأنبياء، فتصحّ بالتّأويل، وإن لم تكن على ذلك الصّفاء، كما قال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "الرّؤيا الصّالحة من الرّجل الصّالح جزءٌ من أربعين جزءًا من النّبوّة".

فهكذا كان سبيل الرّؤْيا التي هي وحْي الأنبياء، وهي على ما ذكرنا لا يحْتاج فيها إلى عبارة ولا تأويل، وهم مخصوصون بها دون سائر النّاس.

فهكذا مرَاتب الأنبياء (ع) ودرجاتهم.

وكان لمحمّد في هذه المراتب كلّها حظٌّ وافرٌ، وفضّله الله على مَن لم يكن في درجته بذلك. والإلْهام الذي هو وحْيٌ من الله، سبيله على ما ذكرنا.

ومَن أُلهم اللّغاتِ، كان ذلك الإلْهامُ وحيًا من الله –عزّ وجلّ–، وتوقيفًا، وتعليمًا؛ وهي نبُوّة.

وليس سبيله سبيل الإلْهام الذي هو وسْاوس الملحِدين الذين زعموا أنّه عامّ في النّاس على حسب ما يوردونه من كلامهم؛ بل هو للأنبياء خاصّة دون سائر النّاس.

ومن اللّغات ما هي أفضل، كما أنّ في الأنبياء مَن هو أعْلى درجةً.

وأفْضل اللّغات الأربع: العربيّة، والسّريانيّة، والعبرانيّة، والفارسيّة؛ لأنّ الله –عزّ وجلّ– أنْزل كتبه على أنبيائه بهذه اللّغات، ثمّ تُرجمت الكتب بسائر اللّغات للأمم إلاّ القرآن العظيم، فإنّه باللّغة العربيّة، وهي أفضل الأربع، وهي مُتمنِّعة عن التّرْجمة لأسباب تركنا ذكْرها للإطالة.

وقد فسّرْنا ذلك في غير هذا الكتاب.

فأصْل اللّغات كلّها ما ذكرْنا، هي بتوقيف من الله –عزّ وجلّ– لأنْبيائه، وهم علّموها النّاس.

وليْس سبيلها، على ما ذكره الملحِد، أنّها باسْتخراج من النّاس بلا وحْي من الله، وأنّه جائزٌ أن يلْهم النّاس كلّهم ذلك.

ولوْ كان الأمْر على هذا، لَمَا انتظمت لغةٌ؛ بل كانت تتفاوت، حتّى لا يكون لها نظامٌ؛ لأنّ الشّيء إذا كان من قوْم شتّى، واختلفت فيه الآراء، اخْتلف ولم ينْتظم؛ كالاخْتلاف الذي قد ذكرْناه من كلام هؤلاء المتَسمّين بالفلاسفة الذي ينْقض بعضه بعضًا.

فلمّا وجدْنا كلّ لغة منتظمة قد اتّفقت عليها أمّة من النّاس، علمْنا أنّ أصل كلّ لغة من رجل واحد مُؤيَّد بوحْي من الله –عزّ وجلّ–، وصحّ أنّ اللّغات كلّها من الأنبياء (ع).

وأيضًا لو كان الأمْر على ما ادّعاه الملحِد، لَوجب أن يُلهَم أهلُ كلّ دهْر لغةٌ ما، كانوا يبتدئونها ويستكْملون بها.

فكيْف قد انْقطع هذا الإلْهام، وغارت هذه القريحة، ولم يَطُل هذا الطّبع، حتّى لا يقدر أحدٌ أن يذكر قومًا أبدعوا لغةً أخذتها النّاس عنهم منذ دهْر طويل بلا توقّف على غاية، إلاّ ما يذْكر من أمْر هذه اللّغات؟

فإن كان هذا عامًّا، وَجَب أن يذكروا لنا لغة مُحدَثة. ولن يأتوا بذلك أبدًا، لأنّ اللّغات أصْلها من الأنبياء، كما ذكرنا.

فلمّا خُتِمت النّبوّة، خُتِمت اللّغات، كما خُتم سائر هذه الأسباب التي هي من أصول الأنبياء والحكماء بوحْي من الله –عزّ وجلّ–، ولم يبْق في العالم إلاّ رسومهم. فلا نجد في العالم غير رسومهم، وبُني على أصولهم.

ووَجدْنا من الرّسوم المحدَثة التي تشاكل حكمة الحكيم، ما أحدث في هذه الأمّة، واستخرج من اللّغة العربيّة، وهو النّحْو والعَروض؛ وهما معياران لكلام العرب. وأُخذ

أصلهما عن حُكماء الأمّة وأئمّة الهُدى؛ لأنّ النّحو رسَمه أمير المؤمنين عليّ[1] (ع) لأبي الأسود الدّؤلي[2]؛ وكان أمير المؤمنين (ع) حكيم دهْره، بل رأس الحُكماء بعد رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– في هذه الأمّة. فألْهَمه الله –عزّ وجلّ– استخْراج ذلك. ولم يكن نبيًّا، بل كان مروّعًا محدّثًا؛ وسبيل المروَّعين المحدِّثين في هذه الأمّة سبيل الأنبياء في الأُمم؛ وحكمتهم مُستفادَة من محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

وكان عليّ –صلّى الله عليه وسلّم– مُختصًّا بذلك من بين الأمّة، أوْدَعه النّبيّ أسرارًا فضّله بها على غيره، فعلّمها هو المستحِقّين من الأمّة.

فمنْها ما اختصّ بها قومًا من الخاصّة، وسترها عن العامّة؛ ومنْها ما بذلها للخاصّة والعامّة.

والنّحو يشاكل حكمة الحكماء، وإن لم يكن من أسْباب الدّيانة. وهو (ع) اسْتخْرجه من لغة العرب، ورسمه لأبي الأسود الدّؤلي؛ فأخذه عنه، وقاس عليه؛ ثمّ أخذ عنه النّاس، فاتّسعوا في القياس فيه.

---

[1] واسم أبي طالب: عبد المناف بن عبد المطّلب. ويُكنى عليّ أبا الحسن. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هامش بن عبد مناف بن قصيّ. وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم الكبرى. وأمّهم فاطمة بنت الرّسول. لما قُتل عثمان بويع لعليّ بن أبي طالب بالمدينة يوم الجمعة 13 ذي الحجّة من سنة 35 هـ. توفّي مقتولاً بالكوفة في شعبان سنة 38 هـ.

حول ترجمته راجع: *تاريخ الخلفاء* للسّيوطي، ص185 إلى ص211.

[2] أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، (16 ق.هـ – 69 هـ)، من سادات التابعين وأعيانهم وفقهائهم وشعرائهم ومن حاضري الجواب. وهو كذلك نحوي عالم وضع علم النّحو في اللّغة العربيّة وشكل المصحف، ووضع النّقاط على الأحرف العربيّة. ولد قبل بعثة النّبيّ وآمن به لكنّه لم يره، فهو معدودٌ في طبقات التّابعين. وصحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الذي ولاّه إمارة البصرة في خلافته، وشهد معه وقعة صفّين والجمل ومحاربة الخوارج. ويلقّب بلقب ملك النّحو لوضعه علم النّحو. وهو أيضًا الذي شكّل الأحرف في القرآن الكريم.

وكذلك العَروض، أخذ أصْله الخليل بن أحمد[1] من رجل من أصحاب عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ع)؛ وكان أيضًا حكيم دهْره[2] وإمام زمانه. ثمّ قاس عليه الخليل بن أحمد، وأخْرجه إلى النّاس.

فهذان الأصلان أُحدثا في هذه الأمّة، وهما من حُكماء الدّيانة وأئمّة الهُدى.

وهكذا كلّ حكمة في العالم، صغُرت أو كبُرت، أصْلها من الأنبياء (ع)، وهم ورّثوها الحُكماء والعُلماء من بعدهم؛ ثمّ صار ذلك تعليمًا في النّاس؛ وكذلك سبيل اللّغات.

ولوْ كان الأمْر على ما ادّعاه الملحِد أنّ النّاس شرعٌ واحدٌ في الحكمة، وأنّ كلّ النّاس يلْهمونها ويدركونها بالطّبع لا بوحْي من الله –عزّ وجلّ– ولا بتعْليم، وأنّ سبيل

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي أستاذ عصره في اللغة العربية وأحد أهم علماء اللغة العربية، ولد في عمان عام 718 م. توجه إلى البصرة ليتلقى العلم هناك ولُقِّب *بالبصري* .كما تميز الفراهيدي في علم الموسيقى، والرياضة والترجمة. تتلمذ على يد كبار العلماء وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر. تلقّى العلم على يديه العديد من علماء الذين أصبح لهم شأن عظيم في اللغة منهم سيبويه والأصمعي والكسائي والنضر بن شميل وهارون بن موسى النحوي ووهب بن جرير وعلي بن نصر الجهضمي. وحدث عن أيوب السختياني وعاصم الأحول والعوام بن حوشب وغالب القطان وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. كان الخليل زاهدًا ورعًا. وقد نقل ابن خلكان عن تلميذ الخليل النضر بن شميل قوله: "أقام الخليل في خص له بالبصرة، لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال". كما نقل عن سفيان بن عيينة قوله: "مَن أحبّ أن ينظر إلى رجلٍ خلق من الذهب والمسك، فلينظر إلى الخليل بن أحمد". ومن مؤلّفاته: كتاب معجم العين وهو أوّل معجم في العربية وقد فكّر فيه الخليل بن أحمد وطلب من تلميذه اللّيث بن المظفر أن يكتب عنه ثمّ بعد موته أتمّ تلميذه هذا الكتاب؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ كتاب النقط والشكل؛ كتاب الإيقاع؛ كتاب معاني الحروف. وتوفّي في البصرة في يوم الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173 هـ/ 789 م في أوائل خلافة هارون الرّشيد وهو نفس يوم وفاة الخيزران بنت عطاء والدة هارون الرّشيد.

انظر ترجمته في: الذّهبي سير أعلام النّبلاء؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء.

[2] في الأصل: **دهر**.

اللّغات كذلك، لَمَا انتظم أصْل، ولا اعْتدل الأمْر فيه، كما نرى من انتظام أمْر اللّغات واعتدالها.

وكذلك السّبيل في كلّ كتاب أُلِّف على حكمة، مثل المجسطيّ، وإقليدس، وغير ذلك ممّا يشبههما، هي على نظام واعْتدال يدلّ على أنّ كلّ أصْل هو من رجل واحد، لم يشْركه في تأليفه غيره.

وإذا ثبَت هذا، صحّ أنّه بتوقيف من الله -عزّ وجلّ-، ووحْي منه؛ وأنّ ذلك ليس هو استخراجًا بطبْع، لأنّه لا يجوز أن يُخَصّ رجلٌ واحدٌ من بين جميع الأنام الذين نشأوا في أعْصار كثيرة؛ وذلك الرّجل الواحد يكون مُخْتَصًّا بذلك، وهو في مثْل طبْعهم، دون أن تكون فيه قوّة إلهيّة موهوبة من الباري خالق الخلْق -جلّ وتعالى-.

وتلك القوّة هي الوحْي الذي يوجب لصاحبه اسْم النّبوّة، على ما شرحْناه من مراتب الأنبياء (ع).

ومَن تدبّر ما قلنا، ونظر بعيْن النّصفة، لم تخْف عليه هذه الحال؛ ولا يبْعد الله إلاّ مَن عاند، وظلم نفسه.

الفصل الثاني
مبدأ الوجود

وأمّا قوْل الملحِد: أين ما دلّت إليه أئمّتكم من التّفرّقة بين السّموم والأغذية وأفعال العقاقير؟ أرُونا منه ورَقة واحدة كما نُقل عن بقراط وجالينوس الألف لا الآحاد، وقد نفَع النّاس! وأرُونا شيئًا من علوم حركات الفلك وعلله نُقل عن رجل من أئمّتكم، أو شيء من الطّبائع الطّريفة، نحْو الهنْدسة، وغير ذلك!

ثمّ قال: فإن قُلْتم: من أين عرف النّاس أفعال العقاقير في الأبدان؟ وما ذكره في هذا الباب.

وقد حكيْنا دعْواه في ذلك، وقُلْنا في باب إلْهام الإوزّ السّباحة، وفي باب اللّغات ما فيه مُقنع -إن شاء الله-.

وقد قدَّمْنا القوْل في باب الحُكماء الذين كنوا عن أسْمائهم ووضعوا هذه الأصول، وأنّهم كانوا أنبياء، وهم أئمّتنا.

وليْس أولئك الحُكماء معدودين في جملة أئمّة الملحِدين الذين درسوا تلك الكتب والأصول بعْدهم، ثمّ تسمّوا بأسْمائهم، ورفضوا الشّرائع، وتكلّموا في الباري -جلّ وتعالى- وفي مبادئ الأشْياء، وابْتدعوا ذلك الغثاء المتناقض الذي يدلّ على حيرتهم ويشْهَد بضلالتهم.

وليْس للمُلحِد أن يتبجّح بأولئك الحكماء المحِقّين الذين لهم تلك الأصول، فإنّهم أئمّتنا لا أئمّة الملحِدين.

وما مثل الملحِد في التّبجّح بهم والافْتخار بتلك الأصول إلاّ مثل شيخ كان واقفًا في رأس حلبة، وقد أُرسِلت خيلٌ في السّباق، فجاء فرس سابقًا.

فلمّا رأى الشّيخ ذلك الفرس، استشاط فرحًا، وجعل يصفّق بيديْه، ويضْطرب ويطْرب؛ فقال له قائل: "أيّها الشّيخ! أهذا الفرَس لك؟". قال: "لا، ولكن اللّجام الذي عليه، هو لي!"؛.

وكذلك سبيل الملحِد بافْتخاره بأولئك الحكماء وبأصولهم. وما قرابته منْهم إلاّ كقرابة جار النّجّار الذي ضُرب به المثل المشْهور. لأنّ الملحِد منْكرٌ للنّبوّة، وهؤلاء كانوا أنبياء كما ذكرنا من شأن إدْريس وغيره.

وإنّما نظر الملحِد في أصولهم وتعلّم منها، وجهَل فضْلهم ومراتبهم، وحطّهم عن تلك المراتب التي فضّلهم الله بها إلى المنزلة الخسيسة التي اختارها لنفْسه، جهلاً منه وضلالاً.

ولو تأمّل حالهم وأنْصَف، لَعلم أنّه ليس في وسْع البشَر أن يدركوا مسافة ما بين مصريْن متدانييْن لا تبْلغ مساحتهما مائة ميل، إلاّ بعْد أن يمْسحها بالحبال والقصب المذروعة المقوَّمة المقاسَة، وإلاّ بعد أن يشاهد تلك المساحة ويباشرها بنفْسه؛ وإنْ مسَحها رجلان أو ثلاثة، لم يسْلموا من الاختلاف.

فكيف يجوز أن يُقال إنّ أحدًا يقْدر على مساحة ما بين الأفلاك الغائبة عن تناول أوْهام البشَر؟! كيف... عن مشاهدتها؟! وكيف يجوز أن يحكموا في مقاديرها، ثمّ يدوّنوا ذلك في كتبهم؟! كما قد رسموا فيها وقالوا: إنّ عرض الفلك مائة ألف فرْسخ، وإنّ ما بين الفلك الأدْنى إلى قبالة الأرض مائة ألف فرْسخ وتسعمائة فرْسخ.

هذا إلى سائر ما ذكروا من مسافة ما بين كلّ فلكيْن نحْو هذا الحساب، تركنا ذكْره للاخْتصار.

ثمّ قالوا: إنّ جميع ذلك من الفلك الأعْلى إلى الوجه الذي بيْن السّماء والأرْض ألف ألف فرسخ وتسعمائة وثمانون فرسخًا، وقالوا: إنّ اسْتدارة الأرض أرْبعمائة وعشْرون ألْف ميْل، وقطْرها سبعة ألف وثلاثون ميلاً؛ وإنّ عرض الأرض من القطْب الجنوبي، الذي يدور حوله سهيل، إلى القطْب الشّمالي، الذي يدور حوله بنات نعش في موضع خطّ الاستواء، ثلاثمائة وستّون درجة، والدّرجة خمسة وعشرون فرسخًا، والفرْسخ اثنَا عشر ألف

ذراع، والذّراع أربع وعشرون إصبعًا، والإصبع ستّ حبّات؛ وإنّ بيْن خطّ الاستواء وكلّ واحد من القُطبيْن تسْعين درجة، واسْتدارتها عرضًا مثل ذلك، وفي الأرْض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة، ثمّ باقي ذلك قد غمره البحر الكبير. وكلّ ربع من الشّمالي والجنوبيّ سبعة أقاليم؛ وإنّ مدن الأرض أربعة ألْف ومائتَا مدينة؛ وإنّ طول البحر، من القلزم إلى مشارق الصّين بلاد الواق واق، أربعة ألف وخمسمائة فرْسخ.

ثمّ قالوا في مقادير الكواكب السّيارة إنّ مقدار الشّمس، مثل الأرض والماء، أربعمائة وستّون مرّة وربع وثُمن.

هذا، مع سائر ما تكلّموا فيه من مقادير سائر الكواكب.

فهذه أسباب تتحيّر العقول من اسْتماعها وتكلّ الألْسن عن وصْفها، فكيف عن الحكْم فيها؟!

ومَن الذي يقْدر أن يدرك هذا بطبْعه، ويستخْرجه بفطْنته، ويبلغ هذه الغايات باستنْباطه؛ ويقْدر على وضع المجسطي الذي عمَل على الأرْصاد، وتركيبات الأفلاك وعِللها، وآلات الرّصد، وذات الصّفائح، وذات الحلق، وغير ذلك من الآلات والمقادير التي هي في أيدي النّاس، ونُقِلت عن الحكماء، وتعلّمها الخاصّ والعامّ؟!

ومَن قدر على وضْع إقليدس، وأشكاله، ومعرفة الأكر، والأوتار، والأضْلاع، والمراكز بالمقادير الضّروريّة والهندسيّة؟!

وهل يجوز لعاقل أن يحكم في هذه الأسْباب بأنّها استُدركت بالفطْنة، واستنْبطها هؤلاء الحُكماء بطبائعهم، ولحقتْها عقولهم، وارْتقوا إلى السّماء، واطّلعوا في الأفلاك؛ فعلموا عددها، وعدد الكواكب السيّارة، وفرّقوا بينها وبين الكواكب الثّابتة التي تُعرَف بها الطّوالع والغوارب، وعرفوا منازل القمر، وقسّموا الفلك إلى اثنى عشر برجًا، والبروج إلى الدّرجات، والدّرجات إلى الدّقائق، والدّقائق إلى الثّواني، والثّواني إلى الثّوالث حتّى يدقّ الحساب.

ثمّ عرفوا محلّ كلّ كوكب في فَلَكه، ثمّ مقدار سيْر الكواكب الخمسة في استقامتها ورجوعها، ومقدار سيْر النّيّرين مع اخْتلاف سيْرها. فإنّ منها ما يقطع الفلك في زيادة على ثلاثين سنة، ومنها ما يقطعه في أقلّ من شهر.

ثمّ مواضع سعودها ونحوسها وهبوطها، وصعودها على حسب ما قد رسَمَه الحكماء في كتبهم، مع استقامة هذا الحساب واعْتداله الذي لا اختلاف فيه إلاّ الشّيء اليسير الذي بيْن الزّيجات؛ وهو حساب مُنتظِم مُنتسِق يُرَكَّب على انقضاء السّنين، وتُقوَّم به الكواكب، ويُعرَف به محلُّ كلّ كوْكب في برجه، ودرجته، ودقيقته في كلّ سنة، وكلّ يوم، وكلّ ساعة.

ثمّ ما تكلّموا فيه من الأحكام بعلوم السّماء؛ وما يحدث من الأشْخاص العالية في الهواء؛ وما يكون ويحدث في التّركيبات المحيطات بالأقاليم؛ وما تحت الثّرى إلى أعْلى علّيتين من أسرار ربّ العالِمين؛ وفي الدّعة، والسّعة، والرّخص، والغلاء، والصّحّة، والوباء؛ ومتى تكون الأمطار والأنداء؛ ومتى تهيج الرّياح، وتكون الظّلمة والضّياء.

وما ارْتاض عليه وأفْنى عمره في تعلّمه من العُلماء بهذا الشّأن، وتوْقيف منهم، ومدارسة كتبهم، ومداومة النّظر في قوانينهم.

وكيْف مَن يدّعي أنّ هذا عُرِف كلّه باسْتنْباط وفطْنة من غير تعليم، ولا تقديم أصْل فيه، ولا نظر في أصول الحكماء الذين وَضعوا هذه الكتب؟!

وهل يجوز أن يُحكَم أنّ أحدًا من البريّة في وسْعه أن يبلغ معرفة هذه الأسْباب بفطْنته وطبْعه بلا معلّم ولا تعلّم، أو يقْدر على وضْع هذه الكتب ابتداءً منه واختراعًا؟!

وهل يجوز أن يكون نهاية العلم والتّعلّم في ذلك إلاّ إلى معلّم سماويّ من عند الله –عزّ وجلّ– خالِق هذه الأشياء التي قد أحاط بها علْمه، ولا يخفى عليه منها خافية؛ وأنّه هو الذي علّم أهل الأرض بوحْي منه إلى أنبيائه (ع)، وهو الذي وقّفهم على هذا الحساب؛ وأنّ هذه الأصول التي قد انتظم أمْرها واتّسق، لو لم يكن من واحد لاخْتلفتْ[1] وتناقضتْ؟!

---

[1] في الأصل: **لا اختلفت**.

فإنّ كلّ أمْر، يجتمع عليه نفرٌ، من الأمور التي هي أرضيّة ويشاهدونها ويباشرونها، يختلفون فيها؛ فكيْف بأسباب سماويّة، على ما قد فسّرنا، وعلى انتظام الأمْر فيها؟!

هيْهات!!! هيْهات!!

إنّ مَن أنْكر أنّ هذا أصْله من الأنبياء بوحْي من الله –إله السّماء–، وادَّعى أنّه استخراجٌ بالفطن والطّبائع، قد اشتدّ عماه، وعظم جهله، وعزب عقله؛ والذي قاله الملحِد، وادّعاه بعمى قلبه: إنّ ذلك استخراجٌ بالأرصاد، ومن الأصول الموْسومة مثل المجسطيّ، وإقليدس، وبطليموس، والكتب المعروفة عند أهلها؛ وإنّ منه ما يكون معرفته بالطّبع؛ فقد تقدّم في هذا الباب صدْر من هذا الكلام.

ونقول أيضًا: لو اجتمعتْ أممٌ من النّاس من أهل العقول الكاملة، والفهم، والتّمييز، والعدالة؛ ومَن لا يُرتاب بأصالة رأْيه، ولَطافة طبْعه، وصحّة قريحته ممَّن لم يتقدّم له معرفة بشأْن النّجوم، ولم ينْظر في هذه الرّسوم التي وُضِعت على هذا الحساب؛ ثمّ نظروا بآرائهم، ودبّروا بعقولهم، وقاسوا بأفْهامهم، وأفنوا أعمارهم، واجْتهدوا أن يلحقوا من حساب النّجوم حرفًا واحدًا، ويميّزوا بين الكواكب السيّارة والكواكب الثّابتة، لَمَا قدروا أن يفرّقوا بين الزّهرة والمشْتري، فضلاً من غيره. فكيف بأن يقسّموا حساب الأفلاك هذه القسْمة، ويرتّبوا الكواكب السّيّارة هذا التّرتيب؟!

بل لو اجْتمعوا على آلة من هذه الآلات المتّخذَة، مثل صفائح الأسطرلاب أو ذات الحلق وغير ذلك، ثمّ سُئِلوا عن كيفيّتها، وكيف العمَل بها، وهم يقلّبونها بأيْديهم ظهرًا لبطْنٍ، ويرْون العمَل الذي قد نُقِش عليها من الحدود، والبروج، والدّرج، والسّاعات، والأوْتاد، ومحلّ الكواكب الثّابتة، وغير ذلك؛ ثمّ طولبوا بأن يقوّموا قوْس النّهار في اليوم الذي هم فيه، ويقدّروا السّاعة التي هم فيها، ومقْدار ما مضى من نهارهم؛ أو ينْظروا إلى الطّالع، وارْتفاع الشّمس؛ أو ينظروا في أيّ برْج الشّمس أو سائر الكواكب، من غير معلّم يعلّمهم ويعرّفهم؛ ثمّ أفنوا أعْمارهم بالنّظر في ذلك، واجْتهدوا لأن يسْتخرجوه بعقولهم وطباعهم؛ لَمَا ازْدادوا على مرور الأيّام إلاّ عمًى فيه، وقلّة هداية إليه.

هذا في آلة من هذه الآلات، وهم يقلّبونها بأيديهم، ويباشرونها بحواسّهم، وينظرون إلى كيفيّتها بأعينهم، ويحيط بها نظرهم؛ فكيف يستخرجون بالطّبع حركات الفلك الذي لا يقدرون أن يعرفوا كيفيّته؟! وكيف يقدرون أن يلحقوا حساب الكواكب، ومقدار سيرها في اسْتقامتها ورجوعها، وغير ذلك من الأمور الدّقيقة التي قد تقدّم القوْل فيها؟! وكيف تلْحق أوْهامهم تلك الأسباب التي لا يشاهدونها ولا يقْدرون أن يتوَهّموها؟!

وهذا عيانٌ لا يقدر أحدٌ على دفعه إلاّ بالبهت والمعاندة.

وهكذا السّبيل في باب الرّصد: لو نُدبت للرّصد أممٌ من النّاس، على ما وَصفْنا من العقل، والرّأي، والتّدبير، والعدالة؛ ثمّ جُمِّعوا في مفازة سبخاء، وكُلِّفوا أنّ يرصدوا النّيرَيْن اللّذيْن لا يخفى طلوعهما وغروبهما على الصّبيان والضّعفاء من النّاس، دون الكواكب الخمسة التي لا يعرفونها بأعيانها؛ ثمّ كُلِّفوا أن يرصدوا حركات الفلك، ويعرفوا الطّوالع والغوارب، من غير أن سبقت لهم معرفة بذلك، ومن غير أن تكون معهم آلات الرّصد من الزّيجات والأسطرْلابات.

ثمّ بقوا في ذلك دهْرهم؛ لَمَا خلصوا إلاّ على النّظر إلى الكواكب، ورؤْية طلوع النّيّرين وغروبهما؛ ولَمَا كانت معرفتهم تزيد في ذلك على معرفة البهائم في النّظر إليها؛ إلاّ أن يكون لهم قدمة في العلم بذلك، ومعْرفة مُستحكمة؛ وحتّى يحضروا آلات الرّصد من الزّيجات والأسطرلابات وغير ذلك. ويكون ذلك بعلْم بارع قد تقدّم، ورياضة من العلماء.

وإذا كان هكذا، فقد دحضت حجّة المُلحِد حين زعَم أنّهم يدْركون بالأرصاد شيئًا من هذه العلوم.

وإذا كان الاسْتدْراك بالرّصْد لا يمْكن إلاّ بهذه الآلات التي قد تقدّمت، فما الذي اخترعوا بفطنهم من غير تعلّم، ولا رياضة، وغير أصْل قد تقدّم؟!

فإن احتجّ محتجٌّ أنّ المأمون ندب للرّصد قومًا، فاستدركوا تَفاوُتًا بين الزّيجات التي قد تقدّمت، وأحدث باسْتدراكهم المُمْتحن؛ وأنّه مُخترع مُسْتدرك بالرّصْد.

قلْنا: فإنّ هؤلاء الذين اسْتدْركوا هذا لم يقدروا على هذا إلاّ بعد إحْضار هذه الآلات، ونظروا في الزّيجات المقدّمة، وكانت معرفتهم قد تقدّمت بهذا الشّأن بالتّعليم

والرّياضة وعلم بارع؛ ولم يكن ذلك اختراعًا ولا استخراجًا بطبْع، بل برجوع إلى أصول، ومُعوّل على تقدير علم ومعرفة؛ وباب الرّصد هو داخلٌ في هذه الجملة، على هذه الجملة، على هذا القياس.

ولا حجّة للمُلحِد في باب الرّصد والطّبع، ولم يبْق إلاّ الرّجوع إلى أنّ ذلك كلّه مُستخرَجٌ من الرّسوم المعروفة المشهورة عند أهلها دون الأرصاد والطّبع. وليس يصحّ بها اخْتراع شيء من هذه الأسباب إلاّ من جهة التّعلّم والرّجوع في قوانين الحُكماء التي رسموها بتأييد من الله –عزّ وجلّ– ووَحْي منه. وليس في وسْع النّاس اخْتراع شيء دون ذلك.

وإذا صحّ هذا، صحّ أنّ أولئك الحُكماء لم يقْدروا على اختراع شيء بالفطْنة والطّبع؛ وأنّ ذلك أصْله بالوحْي، كما قلنا؛ وأنّهم لم يقْدروا أن يرْقوا إلى السّماء ويقفوا على هذه الغيوب، بل الله أطلعهم عليها بوحْي منه، لأنّه –عزّ وجلّ– عالمٌ الغيْب، ولا يُطلِع على غيبه أحدًا إلاّ مَن ارْتضى من رسول.

سبحانه عن أن يشاركه أحدٌ في علم هذه الغيوب من غير أن يمنّ هو بها عليه، وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الفصل الثالث
معرفة العقاقير

قد قلْنا في باب النّجوم ما فيه كفاية -إن شاء الله-. وقد ذكرنا طرفًا في باب الطّب، ونعيد ذكره، ونشبع القوْل فيه.

زعَم الملحِد أنّ النّاس عرفوا أفْعال العقاقير في الأبدان، ومعرفة قوامها بالطّعوم والأرائح، واستدركوا ذلك بالطّبع، وأدْخل هذه الدّعوى أيضًا في جملة ما ذكر في باب سباحة الإوزّ بالطّبع.

نقول في جوابه: إنّ سبيل معْرفة العقاقير بالطّبع سبيل النّجوم.

فإن قال قائلٌ: إنّ هذا الباب أقرب مأْخذًا من ذلك، لأنّ العقاقير هي في الأرض، ويمْكن مباشرتها بالحواسّ، كما ادّعى الملحِد أنّهم يعرفونها بالطّعوم والأرائح؛ فإنّ النّجوم هي في السّماء، وإنّ الفلك لا يُحَسّ ولا يُمَسّ، وليس سبيل العقاقير سبيل ما قد فات أيدي المتناوِلين.

قلنا: صدقتَ في باب مباشرة العقاقير بالحواسّ، وتناولها بالذّوق والشمّ.

ولكنّا نقول: إنّ هذه العقاقير تكون في بلْدان مختلفة بعيدة بعضها من بعض.

فمنْها ما يُجلب من بلدان بالمغرب، ومن بلدان في ناحية الجنوب وناحية الشّمال، كالأهْليلج الذي يُجلَب من الهند، والمصْطكّ من الرّوم، والمسك من التّبت، والدّارصين من الصّين، وحصى الخزّ من التّرك، والأفيون من مصر، والصّبر من اليمن، والبورق من أرمينيّة.

وهكذا سبيل جميع العقاقير التي تكون من مشارق الأرض ومغاربها.

ومنها ما تكون منْتنة، ومنها ما تكون طيّبة الرّوح، ومنها مُرّة، ومنها حلوة، ومنها عفصة، ومنها حرّيفة -على اختلاف طعومها-، ومنها ما هي لحاء الشّجر،

ومنها عروقه، ومنها ورقه[1]، ومنها ثمره، ومنها زهره، ومنها صمغه، ومنها حجارة؛ ومنها أصناف جواهر الأرض، كالشّبوب، والبورقات المختلفات الأجناس والألوان التي تُنقَل من بلدان شتّى من أرمينيّة، والرّوم، وكرمان، وسائر البلدان، وغير ذلك من أعضائها؛ ومنها ما هي لحوم الحيّات ذوات السّموم النّافعة التي تدخل في التّرياق وغيره؛ ومنها أصْناف الكحل من الطيارة والدّابابة من السّامّة والهامّة؛ كالعقارب التي تُجفّف وتُسْتعمل في معْجون يصْلح النّقرس، وتُحرَق ويسقى رمادها صاحب الحصاة، وتُنقع في الدّهن، فتنْتفع للأورام الغليظة؛ وكالذّباب الذي يُسْتعمل في الكحل، ويضمّد على لدغة العقرب؛ وكالضّفادع التي يُقلَع بها الأضراس الضّاربة؛ وكالزّنابير والذّراريح التي يُعالَج بها في إنبات الشّعر؛ ومنها أبوال أصناف الحيوان من البهائم والسّباع، وأحشاؤها وذرق الطّيور، حتّى غائط الإنسان وبوله؛ كأعبرة الإبل التي تُسْتعمَل في معجون لحمّى الرّبع؛ وكبول الإبل العراب التي تُستعمل في دواء للرّياح المعقّدة؛ وكبول الإنسان ينقع فيه بعض العقاقير للبهق؛ وكغائط الإنسان يُسْحَق جافّة، ويُنفَخ في حلق مَن يأخذه الخناق، ويضمّد بالرّطب منه؛ وكذرق الحمام يدخل في معْجون يتّخذ للباءة، وكذرق للباءة؛ وكذرق الخطاطيف يُستعمَل في بعض الأدْوية.

هذا إلى سائر ما لم نذْكره من العقاقير التي تُجلَب من بلدان شتّى، وتُسمَّى بأسماء مختلفة وبلغات أهل تلك البلاد الذين هم أمم مختلفون، متعادون متغالون.

فأين هؤلاء الحكماء الذين اتّفقت آراؤهم، وكملت عقولهم، وتمّت طبائعهم، وقويت أبدانهم، وطالت أعمارهم، واتّفقت كلمتهم، وتظاهروا، وتعاونوا، وطافوا في أقاليم الأرضين، وجالوا في جزائرها وبلدانها، وعاشروا كلّ أمّة، وأقاموا في كلّ بلدة، وعرفوا لغات أهْل كلّ بلد وكلّ جزيرة، حتّى عرفوا أسْماء العقاقير في كلّ مكان، وجرّبوها، وعرفوا أشْجارها وبقولها، وأدركوا صفاتها، وعرفوا بالطّعوم والأرائح الخصوصيّات التي في جميع العقاقير المختلفة العمال والطّبائع؟

---

[1] في الأصل: **ورقة**.

ومنْها ما يعْمل في الدّماغ، ومنها ما يعْمل في الكبد، ومنها ما يعْمل في الطّحال، ومنها ما يعْمل في المثانّة؛ ومنها ما يُحَلّ، ومنها ما يعقد؛ لكلّ واحد منها خصوصيّة تعْمل في عضو من الأعضاء، في أعالي البدن وأسافله؛ ومنها ما هي سموم قاتلة، لا يلبث ساعة مَن ذاقها حتّى تذيقه حتفه، بل تدوى بالشّم دون الذّوق.

فأيْن مَن عرف هذه الخصوصيّات في هذه العقاقير بالذّوق والشّم، وعرف مقاديرها، وأوْزانها بالطّبع والإلهام، وقواريطها، ومثاقيلها؟ لأنّ منها ما يُستعمَل في خلط مقدار قيراط، فما دونه؛ ومنها ما يُستعمَل في خلط عشرين مثقالاً، فما فوقها؛ وإن زادت أو نقصت، كان ضرّها[1] أكثر من نفْعها[2]؛ لأنّ الذي يكون منها سمومًا، إن زدْته على المقْدار، قَتل؛ وإن نقصته، بَطُل.

ومنْها ما يدْخل في خلط واحدٍ خمسون صنفًا من العقاقير فما فوق ذلك، بأوزان مختلفة وأجزاء محدودة، لا يجوز الزّيادة والنّقصان عنها[3].

فأيْن هؤلاء الحُكماء الذين تتبّعوا هذه العقاقير، فذاقوا شجرة شجرة وثمرة ثمرة، وعرفوا نباتها، ووقفوا على صفاتها، ووضعوا نسبها وأمثالها ومقاديرها، وتتبّعوا جميع طيْر الدّنيا وسباعها ودوابّها، دابّة دابّة، وطائرًا طائرًا؛ فذاقوا مرارتها، وغاصوا في البحار، واسْتخْرجوا دوابّه؛ فذاقوا لحومها، وأدْمغتها، وأبوالها، وأحْشاءها؛ حتّى ذاقوا بول الإنسان وغائطه، فعرفوه بالذّوق والشّم، وعلموا بالطّبْع والاستدْراك عمل كلّ شيء من هذه الأجْناس، وكيْف يدبّ في العروق؛ حتّى يؤدي كلّ دواء فعْله إلى الدّاء الذي عمل له في أعْلى البدن، وأسْفله، وداخله، وخارجه، بعد أن يصير إلى المعدة ويخْتلط بالدّم، فيصير شيئًا واحدًا، ثمّ يتفرّق من المعدة في الأعْضاء والعروق التي هي مجْرى الدّم؟

---

[1] في الأصل: **ضره**.

[2] في الأصل: **نفعه**.

[3] في الأصل: **بها**.

فهلْ يجوز أن يحْكم أنّ قومًا تعاونوا وجالوا في الدّنيا بأبْدان صحيحة وأعْمار طويلة، حتّى عرفوا هذه الأشياء بعد أن جمعوها وجرّبوها بالذّوق والأرائح، فأدركوا طبائعها بالطّبع والإلْهام، كما ادّعاه الملْحد.

ثمّ اتّفقوا، فلم يختلفوا في شيء من ذلك؛ لأنّ هذا، إن كان من جماعة تعاونوا على ذلك، لا بدّ أن يقع في شيء منها خلافٌ؛ فكان لا ينْتظم أمْر هذا النّظام الذي نراه في باب العقاقير مع اتّفاق الأطبّاء عليه وأهْل المعْرفة بالطّبائع؛ ولو اجتمعوا أيضًا في بلد واحد، وجمعوا هذه العقاقير عندهم، فكيف مع تباين هذه البلْدان، وصعوبة الأمر في جميع هذه العقاقير وتجْربتها من غير معرفة تقدّمت من المجرِّبين لها، ولا أصْل يرْجعون إليه؟!

فإنْ زعَم أنّ أهل كلّ بلد جرّبوا ما ببلدهم وعرفوها، ثمّ نُقلت من بلد إلى بلد وجُمِّعَت.

قلنا: هذا غير جائز، لأنّه لا يظهر علْمها إلاّ بعد أن تُجْمع وتُخلَط. فكيف يعرف أهْل كلّ بلد ما في بلدهم على الإنفراد، قبل أن تُجمع وتُخْلط؟! وكيف عرفوا مقْدار كلّ شيء في بلدهم على الانْفراد من غير أن يُعرف مقْدار شكْله وخلطه الذي هو في بلد آخر، وهو لم يعرفه ولم يجرّبه؟!

ونقول: إنّه لا بدّ أن تكون المعْرفة بطبائع هذه العقاقير أصْلها من رجل واحد، أو من جماعة.

فإن كانت من جماعة، فسبيلها ما قد ذكرنا.

فإن قال قائلٌ: إنّ قومًا اجتمعوا في دهْر واحد، واتّفقوا هذا الاتّفاق، ولَحقوا هذه المعرفة، فقد أوْرد ما لا تقْبله العقول؛ لأنّه غير ممْكن أن يكون قومٌ يتفرّقون في هذه البلدان في مشارق الأرض ومغاربها، فيلْحق كلّ واحد معرفة شيء منها ممّا في ذلك البلد،

وسبيلهم ما قد ذكرنا؛ ثمّ يجتمعون[1]، ويجمعوها، ويتّفقون[2]؛ ثمّ لا يلحقهم موْت، ولا شيء من آفات الدّنْيا، حتّى يحْكموا ذلك. هذا خُلْفٌ جدًّا.

وإن ادَّعى أنّ قوْمًا بعد قوْم عرفوا ذلك بطباعهم في دهور شتّى وأزْمنة مختلفة، ثمّ جمعوها بعد ذلك، فهذا أمْحل؛ لأنّ الدّواء الواحد الذي يخْلط من خمسين لونًا من العقاقير، لا يجوز أن يكون اجْتمعت على معْرفتها الآراء من قوْم شتّى في دهور مختلفة وأزْمنة متفاوتة، قد لحق كلّ رجلٍ معرفة شيءٍ في دهْر ما جاء؛ ثمّ جاء آخر في دهْر آخر، فيدرك معرفة شيء آخر؛ ثمّ تجتمع الآراء على ذلك الخلط الواحد الذي هو من الخمْسين لونًا، ولا يقع فيه شيء من الخلاف. هذا أنْكر من الباب الأوّل.

فإن زعَم أنّ رجلاً واحدًا عرف هذه الطّبائع، وعاش، وعمّر حتّى جال الدّنيا ووقَف عليها، مع اختلاف أجناسها على ما وصفنا؛ فهذا أبْعد من العقول!

وهل يقْدر أحدٌ أن يجرّب هذه العقاقير كلّها دون أن يمْتحن جميع الشّجر والنّبات، ثمرها، وورقها، وعروقها، وغير ذلك؛ ويمْتحن جميع الحيوان من الوّحش، والسّباع، والبهائم، والطّير، ودوابّ الماء، والهوامّ، وغير ذلك؛ حتّى يعرف الضّار من النّافع، والمسْتعمَل من المهمَل من لحومها ومن مرارتها؛ وسائر أعضائها، وأبوالها، وأحشائها؛ وحتّى يعْرف الخصوصيّات التي فيها؟! فأيّ عقل لا ينكر هذا؟! وأيّ عقل يصْغي إليه ويقْبله؟!

وهؤلاء الذين أدْركوا معرفة طبائع هذه العقاقير بالطّعوم والرّوائح[3]، جماعة كانوا أم واحدًا، في دهْر واحد كانوا أو في دُهور مخْتلفة؟

وهبْهم صبروا على ذوْق هذه القذرات التي ذكرْناها من الأبوال، والأحْشاء، وغير ذلك، على نتْنها وكراهة شمّها وذوْقها؛ كيف يسلَمون من سمومها[4] القاتلة؟ لأنّ منها

---

[1] في الأصل: **يجتمعوا**.

[2] في الأصل: **يتفقوا**.

[3] في الأصل: **الرائح**.

[4] في الأصل: **سموما**.

مَن هو سمّ ساعة؛ وقد رأيْنا حشيشة تنْبت في صحارين، إذا أكلها مَن لا يعرفها، قتلتْه على المكان؛ ومثل ذلك كثير.

فأيْن في العالم مَن يقْدر على إدْراك طبائع هذه الأشياء بالطّعوم، والأرائح، والطّبع، والإلْهام؟! وأين في زماننا مَن أدْرك من ذلك، فيحْكم بالشّاهد على الغائب؟!

أوَليس مَن يدّعي هذه هو مسلوب العقل عازب الفهْم؟! أَوَليس مَن يصْغي إليه ولا ينْكره هو أعْمَى قلبًا منه، وأضلّ سبيلاً؟!

ولَعَمْري إنّ قومًا من المتّسمين بالفلْسفة قد ادّعوا مثل هذه التّرّهات، وكذبوا على الحكماء القدماء، وعلّقوا عليهم الخرافات التي لا تليق بهم؛ فقالوا: إنّ أفلاطون[1] دخل في جبال تكون في الشّمال، حيْث لا تُرى الشّمس، وحيْث لا يكون نبات، ومكَث فيها حينًا يطلب حيلة للموت بالتّجارب والأدوية، ويطلب الخلاط التي تزيد في العمر؛ وإنّه كان عنده ألْف رجل، فأرْسلهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، وإلى ناحية الشّمال والجنوب ليذوقوا الأرض، ويطْلبوا العقاقير.

---

[1] في الأصل: **افلاطن**.

يقول ابن النّديم في *الفهرست*: "من كتاب فلوطرخس: أفلاطون بن أرسطن، ومعناه: الفسيح. وذكر ثاون أنّ أباه يُقال له أسطن، وأنّه كان من أشراف اليونانيّين. وكان في قديم أمره يميل إلى الشّعر، فأخذ منه بحظّ عظيم، ثمّ حضر مجلس سقراط فرآه يثلب الشّعر فتركه، ثمّ انتقل إلى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة. وعاش فيما يُقال إحدى وثمانين سنة. وعنه أخذ أرسطوطاليس وخلفه بعد موته. وقال إسحاق أنّه أخذ عن بقراط. وتوفّي أفلاطون في السّنة التي وُلد فيها الإسكندر، وهي السّنة الثّالثة عشر من ملك لاوخوس وخلفه أرسطوطاليس، وكان الملك في ذلك الوقت بمقدونية فيلبس أبو الإسكندر. من خطّ إسحاق: عاش أفلاطون ثمانين سنة. ما ألّفه من الكتب، على ما ألّفه ثاون ورتّبه، كتاب *السّياسة*، كتاب *النّواميس*. قال ثاون: وأفلاطون يجعل كتبه أقوالا يحكيها عن قوم، ويسمّي ذلك الكتاب باسم المصنّف له. فمن ذلك قول سمّاه *تالجيس* في الفلسفة، قول سمّاه *لاخس* في الشّجاعة، قول سمّاه *خروميدس* في العفّة، قولان سمّاهما *القيبادس* في الجميل...

حول ترجمته راجع: *المرجع المذكور*، ص245–ص246. بيروت. د. ت.

وإنّ أرسطاطاليس بعث قومًا مع ذي القرنيْن[1] ليعْلموا تخوم الأرض، وكيف قوامها، وأيّ مكان أخفّ، وأيّ مكان أثْقل، وأيّ مكان أصْفى، وأيّ مكان أكْدر، وكمْ أقاليم الدّنيا، وكمْ فرسخًا هوّ كلّ إقليم؛ ويجلبوا العقاقير، ويجرّبوها؛ فحفروا أسرابًا في الأرْض، ودخَلوا فيها.

والذين مضوا إلى المغرب ذهبوا إلى موضع لم يقدروا أن يجوزوه من كثرة البُخار وشدّته، وقالوا: "رأينا الشّمس دخلت في البحْر"؛ ومنهم مَن قال: "دخلت في السّماء"؛ ومنهم مَن قال: "خلف البحار[2]".

والذين ذهَبوا نحو الشّمال لم يقدروا أن يجوزا من البرد والثّلج، حتّى مرضوا، ثمّ رجعوا.

والذين ذهبوا نحْو الجنوب وصلوا إلى أرْض ما يكون فيها العقاقير، والأدْوية، والجواهر التي لا تكون ببلادنا.

---

[1] وُلد الإسكندر في بيلا، العاصمة القديمة لمقدونيا القديمة. ابن فيليبوس الثاني المقدوني ملك مقدونيا القديمة وابن الأميرة أوليمبياس أميرة إيبيروس (Epirus). كان أرسطو معلمه الخاص. درّبه تدريبا شاملا في فن الخطابة والأدب وحفزه على الاهتمام بالعلوم والطب والفلسفة. في صيف عام 336 ق.م. اغتيل فيليبوس الثاني فاعتلى العرش ابنه الإسكندر، فوجد نفسه محاطًا بالأعداء ومهدد بالتمرد والعصيان من الخارج. فتخلص مباشرة من المتآمرين عليه وأعدائه في الداخل فحكم عليهم بالإعدام. كما فعل مع أمينتاس الرابع المقدوني. ثمّ انتقل إلى ثيساليا (Thessaly) حيث حصل حلفاءه هناك على استقلالهم وسيطرتهم واستعادة الحكم في مقدونيا. وقبل نهاية صيف 336 ق.م. أعادَ تأسيس موقعه في اليونان وتم اختياره من قبل الكونغرس في كورينث قائدًا. وصل الإسكندر إلى مدينة بابل (بالإنجليزية: Babylon) في ربيع 323 ق.م في بلدة تدعى الأسكندريّة على نهر الفرات في بلاد ما بين النهرين اي العراق حاليًا, حيث قام الإسكندر بنصب معسكره بالقرب من نهر الفرات في الجهة الشرقية منه؛ لذا سميت هذه المنطقة باسمه بعد موته. حيث انه بعد مده وبالتحديد في شهر يونيو من عام 323 ق.م أصيب بحمى شديدة مات على أثرها تاركًا وراءه إمبراطورية عظيمة واسعة الأطراف.

[2] في الأصل: **البخار**.

هذا ما ادَّعوْه لأفلاطون[1] وأرسطاطاليس؛ وادّعوا أنّ بثاغورس[2] ارْتقى في الهواء حتّى صار إلى عالم الطّبيعة، وعالم النّفس، وعالم العقْل؛ فنظر إلى جميع ما فيها من الصُّور، والحسْن، والبهاء، والنّوار.

وبثاغورس هو الذي تتلمذ[3] له فلانوس الذي صار إلى الهنْد وأخذ عنه برخمس الفلسفة، وقد تقدّم ذكْره في باب قبل هذا.

فادَّعوا هذه التّرّهات، مع دعاويهم أنّ أصول الأشياء كلّها منهم، وأنّ كلّ شيء ينتفع به بنو آدم وصار علْمه إلى النّاس، من علْم النّجوم، والطّب، وغير ذلك، هم اسْتخرجوها، وهم قسّموا ذلك في الآفاق؛ وأنّهم وضعوا لأهْل فارس ثمانين كتابًا[4] من كتب الطّب، وثلاثة عشر كتابًا للهند من الطّب، والحكمة، والأمثال؛ وأنّهم وضعوا هذه الكتب كلّها بآرائهم، ودبّروها بعقولهم إلهامًا وطبعًا، من غيْر تأييد من الله –عزّ وجلّ–.

وادّعوا أنّهم أبْدعوا إجانة النّار التي لا تطفأ بفارس، التي يعْبدها المجوس، مع دعاوى مُزخرَفة من هذا النّوع لا تقْبلها العقول.

---

[1] في الأصل: **افلاطن**.

[2] (أو فيثاغورس) قال أبو الخير بن الخمّار بحضرة أبي القاسم عيسى بن عليّ، وقد سئل عن أوّل مَن تكلّم في الفلسفة، فقال: "زعم فرفوريوس الصّوري في *كتاب التّاريخ*، وهو سريانيّ، أنّ أوّل الفلاسفة السّبعة: ثالس بن مالس الإمليسي. وقد نقل من هذا الكتاب مقالتين إلى العربي، فقال أبو القاسم: كذا هو وما أنكره. وقال آخرون إنّ أوّل مَن تكلّم في الفلسفة بيثاغورس. وهو بيثاغورس بن ميسارخس من أهل سامنيا. وقال فلوطرخس إنّ بيثاغورس أوّل مَن سمّى الفلسفة بهذا الاسم، وله رسائل تُعرف *بالذّهبيّات*. وإنّما سمّيت بهذا الاسم، لأنّ جالينوس كان يكتبها بالذّهب إعظامًا لها وإجلالاً. والذي رأينا لبيثاغورس من الكتب: *رسالته في السّياسة العقليّة*، *رسالته إلى متمرّد سقلّية*، *رسالته إلى سيفانس في استخراج المعاني*. وقد تُصاب هذه الرّسائل بتفسير امليخس.

حول ترجمته راجع: *الفهرست* لابن النّديم، ص245.

[3] في الأصل: **تلمذ**.

[4] في الأصل: **كتاب**.

فأيْن الملحِد لم يذكر هذه الخرافات التي يدّعيها هؤلاء الضّلاّل الكذّابون، حين ذكر دعاوى المجوس والمنّانيّة[1]، والخرافات التي حكاها عن المبتدِعين منهم[2]؛ كقولهم: إنّ ماني كان يُختطف من بين أيديهم، فيصير في الهواء يحاذي الشّمس؛ فربّما مكَث ساعات، وربّما مكَث أيّامًا ثمّ نزل؛ وإنّه الذي رفع سابور الذي عمل له الشابرقان إلى الجوّ، وأخْفاه حينًا هناك؟!

فإنّ هذه الدّعاوى مثل ما ادّعاه أولئك الكذّابون أنّ بثاغورس ارْتقى إلى الهواء، وإلى عالم الطّبيعة، وعالم النّفس، وعالم العقل، حتّى عايَن هذه العلوم وأدْركها.

أَوَليس هذا مثل ما ادّعاه المنّانيّة لماني، حذْو النّعْل بالنّعْل، والقذّة بالقذّة؟!

فكيْف لم يعبْ مَن على مذهبه من المتفلسِفين بهذه الدّعْوى؟! ولكن عيّر المسْلِمين وعابهم بدعْوى المنّانيّة لماني!

---

[1] هو دين استحدثه ماني من النّصرانيّة والمجوسيّة. وهو ماني بن فاتك –أو فتّق–، وُلد في مسّين ببابل سنة 215 م أو 216 م. وظهر في زمان سابور بن أزدسير أو أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور سنة 279 م. وينتسب إلى أسرة إرانيّة عريقة، فأمّه وأبوه من العائلة الأشكانيّة (انظر: *إيران في عهد السّاسانيّين* لكرستنسن، ص171). وقال ماني بأصلين قديمين: النّور والظّلمة. وقيل إنّه أخذ عن المسيحيّة قولها بالتّثليث. فالإله عنده مزيج من "العظيم الأوّل" و"الرّجل" و"أمّ الحياة". وفي النّصوص التي حُفظت عن المانويّة عبارات مأخوذة عن الأنجيل (انظر: نفس المرجع، نفس الصّفحة). ويقول ماني بالتّناسخ أيضًا. وقد أطنب ابن النّديم في ذكر تفاصيل مذهبه. كما وضع الشّهرستاني جدولاً للمقارنة بين الشرّ والخير في الجوهر والنّفس والفعل والحيّز والأجناس والصّفات.
انظر: الشّهرستاني، (كيلاني) ج1/ص244 و(بدران) ج1/ص234؛ *التّبصير في الدّين* للإسفراييني، ص136؛ *التّنبيه* للملطي، ص90؛ *المنية* لابن المرتضى، ص60؛ *نشأة الفكر الفلسفي* لسامي النّشّار، ج1/ص194؛ *الفهرست* لابن النّديم، ص391؛ *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا، ص258 إلى ص260؛ *مروج الذّهب* للمسعودي، ج1/ص250– ص251.

[2] في الأصل: **عنه**.

وكيف لم يعلّق هذا الجلجل في عنْق نفسه وأهْل مذْهبه!؟ فإنّه أوْلى به وأحقّ؛ إذ كان على مذْهب هؤلاء ادّعوا لبثاغورس هذه الدَّعْوى، ولأفْلاطون[1] وأرسْطاطاليس هذه الأكاذيب.

فأمّا القرابة بين المسْلمين وبين المجوس والمنّانية، فكالفيل من ولد الأتان.

فإنْ زعَم أنّ هذا، لأنّ المنانيّة والمجوس أقرّوا بالنّبوّة، كما أقرّ بها المسْلمون.

قلْنا: ليس كلّ مَن أقرّ بالأنبياء هو مُصدَّق في جميع دعاويه، ولا هو صادقٌ مُصيبٌ في بدعهم التي يبْتدعونها. إنّما نصدّقه في إقراره بالنّبوّة، ونكذّبه في هذه التّرهات التي يبْتدعونها.

فإن ادّعى المُلْحِد أنّ مَن ادّعى لبثاغورس هذه الدّعوى، ولأفلاطون[2] وأرسْطاطاليس، هو مُتكذّبٌ عليهم؛ وأنّهم قد اخْتلفوا في ذلك، واخْتلفوا في الأصول التي ذكرْناها؛ وذكرْنا تناقض كلامهم، وتكذيب بعضهم لبعض؛ فلِمَ احْتجّ على أهْل المِلل بالخلاف، والخلاف الذي بين أئمّته هو في القُبْح والشّناعة بحيث لا غاية وراءه؟!

ولكنّه لعلّه يحتجّ بحجّة قد كان ذكرها لي، لأنّي ناظرتُه في هذا الباب، وطالبتُه وقلتُ له: "الخلاف الذي بينكم هو أقْبح وأشْنع ممّا تدّعيه على أهل الشّرائع؟"، فقال مجيبًا: "مثلنا ومثلكم في هذا مثل رجلَيْن اخْتصمَا، فقال أحدهما لصاحبه: "أَلَيْستْ أخْتك معروفة بالزّنى؟"، فقال الآخر: "يجوز، فإنّ ابْنتك أيضًا مشهورة بالفجور".

فكان هذا جوابه، والْتجأ إلى هذه السّخافة يريد بذلك أنّه يجوز؛ وإن اخْتلفْنا، فقد اخْتلف أصحاب الشّرائع.

قلتُ له: "إذا كان الأمْر هكذا، فالتّمسّك بشريعة محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– أوْلى وأنْفع في العاجل والآجل!

---

[1] في الأصل: **لأفلاطن**.

[2] في الأصل: **افلاطن**.

أمّا في العاجل، فلِحقْن[1] الدّم، وتحْصين المال والأهل، وصيانة الفروج، وتصْحيح النّسب بالولادة الطّيبة بتزويج حلال. فإنّ ذلك أجْمَل في المروءة لمن لا يعْتقد الإسلام أيضًا، من إباحة فروج الأمّهات والبنات والأخوات. هذا إلى سائر المَنافع التي قد جرى ذكْرها.

وأمّا في الآجل، فللْوَعد بالثّواب الجزيل العظيم الذي لا يُقدَّر[2] قدره، والوعيد بالعذاب الأليم الذي لا ألَمَ فوْقه.

فالأخْذ بالوثيقة في هذا أحْزم من الدّخول في التّعطيل، والقوْل بالإلْحاد الذي لا يُحْقن فيه دمّ، ولا يُحصَّن مالٌ ولا أهلٌ، ولا يُصان فرجٌ ولا يصحّ نسبٌ، وفي الآخرة عذابٌ أليمٌ.

نقول لمن يصحّح هذا الدّعوى لأفلاطون[3] وجالينوس: أفلا عَلم أفلاطون[4]، مع حكْمته واستحْكام معْرفته، أنّه إذا لم يجد للموْت حيلة في هذه الأرض العامرة التي تطْلع عليها الشّمس ويْنبت فيها من كلّ نبات، وأنّ هذه الأخلاط التي يُعالَج بها جميع الأدْواء، تكون في العمران.

فإذا لم يوجد هاهنا دواء يدْفع به الموت، فكيْف يجده في الخراب، وفي جبال لا تطْلع عليها الشّمْس، ولا يكون فيها نبات؟!

أو كيْف غرّته نفسه واغترّ بالأماني، وقد عايَن وعرف أنّ أحدًا من العالِمين لم يسلم من الموت؟! فهل اعتبر بذلك؟! أوَلم يكن له من العقل، مع حكمته، أن يعرف هذه الحال؟ وهل هذا إلاّ كذبٌ من هؤلاء الضّلاّل الذين أرادوا أن يعظّموا شأن أفلاطون[5]، فشانوه بما قدّروا أنّهم يزيّنونه به؟

---

[1] في الأصل: **فحقن**.

[2] في الأصل: **يقادر**.

[3] في الأصل: **افلاطن**.

[4] في الأصل: **افلاطن**.

[5] في الأصل: **افلاطن**.

وأمّا القوْل في الذين ادّعوا أنّ أفلاطون[1] بعَث ألْف رجل في مشارق الأرض ومغاربها؛ وأنّ أرسطاطاليس بعث قومًا مع ذي القرنيْن ليعرفوا التّخوم، والأقاليم، والجزائر، ويجْلبوا العقاقير ويجرّبوها. فإنّ فيما ذكرنا في شأْن العقاقير، ومَن يدّعي أنّهم عرفوها بالطّبْع والفطْنة، كفاية.

وهو جوابٌ يجمع هؤلاء وأولئك؛ لأنّ سبيل هؤلاء سبيل أولئك. وفي ذلك مقْنع لمن أنْصف –إن شاء الله تعالى–.

وبعدُ، فإنّا نقول: إن كان هؤلاء عرفوا من العقاقير في هذه البلْدان التي صاروا إليها ما لم يعْرفه أفلاطون[2] وجالينوس، فهؤلاء قدْوة لأفلاطون[3] وجالينوس.

فأيْن أسْماء هؤلاء الذين كانوا أشدّ عناية بهذا الشّأن من هذيْن الرّجليْن، وتحمّلوا من المشقّة ما لم يتحمّله هذان الرّجلان؟ وأيْن تلك العقاقير التي جلَبوها من هذه البلْدان؟ ولِمَ لَمْ تُنسَب إليهم كما نُسبَت كتب أفلاطون[4] وجالينوس إليهما؟

ومحْصولُ هذه الدّعاوى أنّها زخارف وأكاذيب، وهو من سخْف الملحِدين، ودعاويهم الكاذبة.

وذكرْنا ذلك، لأنّ الملحِد ترَك هذه الدّعاوى وعاب المسْلمين بما تدّعيه الماجوس والمنّانيّة لزرادشت[5] وماني[6] من الأباطيل المبتدعة إلحادًا منه، وشدّة عداوة للإسْلام.

---

[1] في الأصل: **افلاطن**.

[2] في الأصل: **افلاطن**.

[3] في الأصل: **افلاطن**.

[4] في الأصل: **افلاطن**.

[5] في الأصل: **لزرهشت**.

وعاش زردشت في منتصف القرن السّابع قبل المسيح، وتوفّي على الأرجح سنة 582 ق. م. وُلد في أذربيجان، وولادته تشبه إلى حدّ بعيد ولادة المسيح. انتقل إلى فلسطين، واستمع إلى بعض أنبياء بني إسرائيل من تلاميذ النّبيّ أرميا، ثمّ عاد إلى أذربيجان، ولم تطمئنّ نفسه إلى اليهوديّة، فبدأ يدرس الأديان الفارسيّة القديمة. وحين بلغ ثلاثين سنة زعموا أنّه بعثه الله نبيّا ورسولا إلى الخلق. ونُسبت إليه معجزات كإحياء الموتى وردّ البصر. وأهمّ كتاب نُسب إليه هو *الأبستا* (أو *الأفستا*) وشرحه *التّزند*

وما مثله في ذلك إلاّ كما قال الأوّل:

كناطح صخرةٍ يومًا ليفلقَهـــــا فلم يضرّها وأوْهى قرنَه الوعْـــلُ

أفستا. ويظهر أنّ مذهبه الثّنوي في إرجاع أصل العلم إلى النّور والظّلمة يعود إلى مبدإ خلقي الخير والشرّ. فمذهبه الوجودي متّصل بالمشكلة الخلقيّة الأنطولوجيّة. فمن امتزاج النّور بالظّلمة وُجدت الأشياء وحدثت الصّور من التّراكيب المختلفة. وصراع النّور والظّلمة ينتهي بتغلّب النّور، وتخلّص الخير إلى عالمه وانحطاط الشرّ إلى عالمه. وقد أورد الشّهرستاني محاورات بين زرادشت وأومرزد، وفيه نزعة تشبيهيّة وعضويّة صريحة.

حول ترجمته راجع: *الملل* للشّهرستاني (طبعة كيلاني) ج1/ص236 و(طبعة بدران)، ج1/ص216؛ *التّبصير*، ص105؛ *المنية*، ص64؛ *نشأة الفكر الفلسفي*، ج1/ص191–ص192؛ *قاموس الفلسفة*، ص343؛ *مروج الذّهب*، ج1/ص229–ص230.

[6] وهو ماني بن فاتك – أو فتّق –، وُلد في مسّين ببابل سنة 215 م أو 216 م. وظهر في زمان سابور بن أزدسير أو أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور سنة 279 م. وينتسب إلى أسرة إرانيّة عريقة، فأمّه وأبوه من العائلة الأشكانيّة (انظر: *إيران في عهد السّاسانيين* لكرستنسن، ص171). وقال ماني بأصلين قديمين: النّور والظّلمة. وقيل إنّه أخذ عن المسيحيّة قولها بالتّثليث. فالإله عنده مزيج من " العظيم الأوّل" و"الرّجل" و"أمّ الحياة". وفي النّصوص التي حُفظت عن المانويّة عبارات مأخوذة عن الأنجيل (انظر: نفس المرجع، نفس الصّفحة). ويقول ماني بالتّناسخ أيضًا. وقد أطنب ابن النّديم في ذكر تفاصيل مذهبه. كما وضع الشّهرستاني جدولا للمقارنة بين الشرّ والخير في الجوهر والنّفس والفعل والحيّز والأجناس والصّفات.

انظر: الشّهرستاني، (كيلاني) ج1/ص244 و(بدران) ج1/ص234؛ *التّبصير في الدّين* للإسفراييني، ص136؛ *التّنبيه* للملطي، ص90؛ *المنية* لابن المرتضى، ص60؛ *نشأة الفكر الفلسفي* لسامي النّشّار، ج1/ص194؛ *الفهرست* لابن النّديم، ص391؛ *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا، ص258 إلى ص260؛ *مروج الذّهب* للمسعودي، ج1/ص250– ص251.

الفصل الرابع
في مَعْرفة عائدة إلى أحكام الأوّل

قد ذكرْنا في باب العقاقير التي هي في الأرض ويمكن مباشرتها بالحواسّ، بالذّوق والأرائح، وجهًا من صعوبة الأمْر فيها ما يقارب صعوبة الأمْر في باب النُّجوم، وإن كانت في السّماء.

والسّبيل في معرفة العقاقير بالطّبع والفطْنة مثل السّبيل في معرفة النّجوم.

وبيّنّا أنّ تناول ذلك عَسر جدًّا، وليس إلاّ الرّجوع في ذلك إلى أصول الحُكماء، وأنّ ذلك لا يحقّ إلاّ بالتّعلّم، والرّياضة، والاقْتداء بقوانينهم؛ وما سوى ذلك من الدّعاوى في باب إدْراك شيء منه بالطّبع والفطْنة هو باطل؛ ومَن يدَّعي ذلك، فهو كاذبٌ أثيمٌ ذو إفْك عظيم.

وإنّما يعْرف هذه العقاقير بالطّعوم والأرائح مَن تقدّمت معرفته بها، فيذوق ويشمّ ما يعْلم أنّها تضرّه إذا ذاقها وشمّها ولا يخشى غائلتها، فيميّز الأجْوَد من الأدْوَن، والخالص من المغشوش، والصّافي من المختلِط. فمن هذه الجهة تُعرَف بالشّم والذّوق.

فأمّا أن يعرف إنسانٌ طبعها بالشّم والذّوق، ويعرف الخصوصيّة التي فيها من غير معرفة تقدّمت منها بها، فهو أمْحل المحال.

وسبيل الطّبيب الحاذق المتفلْسف، الذي يعرف العقاقير، وسبيل مَن لم يمارس هذا الشّأن، ولا يعرف شيئًا منه في معْرفة طبيعة شيء لم تتقدّم معْرفته به، واحدٌ. ومَن ادَّعى سوى ذلك، فهو مبْطلٌ.

وقد كنتُ ذاكرتُ الملحِد في ذلك، فباهتَ وأصرَّ على هذه الدّعْوى.

فقلتُ له: هل أدركتَ أنتَ بطبْعك وفطْنتك ما لم يسْبق إليه مَنْ تقدّمك في هذه الدّعوى؟

قال: نعم، أُخبِرك في هذا بأمْر عجيب: كانت لي قصّة مع أحمد بن إسماعيل[1] وقْت مقامي ببخارى عجيبة.

وذلك أنّه قد كان خرج يومًا من الأيّام مُتنزِّهًا، وكنتُ معه في مؤكبه. فدفعنا إلى مؤضع نزه كثير العشب والنّور؛ فنزل ونزلنا معه، ونظر إلى حشيشة قريبة منه؛ فقال لي: "يا فلان! لماذا تصلح هذه الحشيشة؟"، فأجبته على البديهة وقلتُ: "تدرّ البول". فأمر أن تُجْتلي تلك. وحضر الطّعام، وقُدِّمت المائدة؛ فوُضِعت تلك الحشيشة على طرف المائدة، وقعدْنا معه. ودَعَا بغلام له كان يأْكل معه، فأقْعده في ناحية المائدة التي عليها تلك الحشيشة، وأقبلنا نأكل.

فتناول الغلام تلك الحشيشة على سبيل مَن تناول البقل، وهو لم يعرف خبرها وما جرى في أمْرها. فما اسْتَتَمّ طعامه، حتّى قام عن المائدة، وغاب عنّا، وبال.

فلمّا انصرف، قال له صاحبه: "ما شأنك؟ ولِمَ قمتَ عن الطّعام؟"، قال: "غلَبني البول، ولم أقْدر على ضبْطه"؛ فتعجّب هو من ذلك، وتعجّب النّاس.

قلتُ له: "فهل كنتَ عرفتَ هذه الحشيشة قبل ذلك؟". قال: "لا والله! ما كنتُ رأيتُها، ولا عرفتُها". قلتُ: "هل توجد في بلدنا؟ وهل تعرفها الآن؟". قال: "لا والله! ما أعْرفها، ولا أدْري توجد ها هنا أم لا". قلتُ له: "ألستَ تعرف شأن هؤلاء الزرّاقين الذين يقعدون على السّبيل ويخدعون عوامّ النّاس بالزّرق؟". قال: "هل أحدٌ أعْرَف بهم منّي؟". قلتُ: "فإنّ حديثك هذا هو نوعٌ من الزّرق؟". قال: "وأيّ فطْنة ألْطف من هذه؟".

---

[1] هو أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني شهاب الدّين الشّافعي ثمّ الحنفي (813هـ - 1410 م / 893 هـ - 1488 م). مفسر كردى الأصل من أهل شهرزور. تعلّم بمصر ورحل إلى بلاد الترك، فعهد إليه السّلطان مراد بن عثمان بتعليم وليّ عهده محمّد الفاتح. تولّى القضاء في عهد محمّد الفاتح. له عدة كتب منها: غاية الأماني في تفسير السبع المثاني، الدّرر اللوامع في شرح جمع الجوامع للسّبكي وهو كتاب في الأصول، شرح الكافية لابن الحاجب. توفّى بالقسطنطينيّة، وصلّى عليه السّلطان بايزيد الثّاني.

قلتُ: "كيف تعدّ هذا من الفطْنة؟! وكيف تشبّه هذا بفطْنة الحُكماء الذين تزعَم أنّهم أدْركوا معرفة طبائع الأشياء بفطْنتهم، واسْتخرجوا ذلك بالذّوق والشّم، وكانوا بزعْمك لا يعْرفون ذلك إلاّ بتدْبير، وتأمّل، وقياس، وتجْربة، وشمّ، وذوْق؛ ثمّ كانوا يدوّنون في كتُبهم ما يلحقون معرفته حتّى يصير أصلاً يُعْتمَد عليه، وتزْعم أنّ هذه الأصول كان سبيلها هكذا؛ وأنتَ تزْعم أنّك تكلّمتَ في هذه الحشيشة على البديهة من غير فكرة، ولا رويّة، ولا تجربة؛ وأنّك لم تعرف هذه الحشيشة قبل ذلك، ولا ذقتَها، ولا شممتَها، ولا تعْرفها الآن؛ ولا تدْري هل توجد في هذه البلدان أم لا؟! أَوَليس قولك هذا هو زرقٌ، ودعواك هي الزّرق[1] بعيْنه؟! أوَلستَ تزْعم أنّك أعرف النّاس بالزّراقين؟! فهل هذا إلاّ الزّرق بعيْنه؟! أَوَليس الزّرق هو خديعة وسخْرية؟!

فإن كان أولئك الحكماء سبيلهم في معرفة طبائع العقاقير هكذا، فكانوا زرّاقين يخْدعون النّاس ويسْخرون. ولو كان كذلك لَمَا صحّ شيء من رسومهم، ولا انْتفع النّاس بشيْء من كتبهم؛ لأنّ الزّرق باطلٌ وخديعةٌ، ولا قوام له ولا نظام.

وأنتَ، وإن تمّ لك ذلك الزّرق على ذلك الإنسان، فإنّا لا ننْخدع لك؛ وهذه أوْهى حجّة أوْردتَها!"؛ فانْقطع.

وأسْتغْفر الله من الزّيادة والنّقْصان في هذه الحكاية، فإنّ الكلام يزيد وينْقص؛ ولكنّ هذا جملته.

وإنّما ذكرتُ هذا، لأنّ الملحِد حين طالبْته بما لحقه بطبْعه وفطْنته من معرفة طبائع العقاقير طول عمره، لم يحْصل من دعواه إلاّ على ما ذكرْناه عنه، مع دعواه أنّه نظير بقراط وجالينوس في الطّب، وسقراط وأرسْطاطاليس في سائر علوم الفلْسفة والعلْم بالطّبائع.

وهكذا تحْصل جميع دعاوى الملحِدين في باب معرفة الأشياء بالفطْنة والطّبْع، وهي سخيفة متناقضة.

---

[1] في الأصل: **بالزرق**.

فإن كان قد صدَق في هذه الحكاية، فهو سخيفٌ كما ترى؛ وإن كان كذبٌ، فالكذب أوْلى به.

وأمّا ما ذكَره الملحِد في كتابه في هذا الباب أنّ منها ما أخذه الأوّل عن الأوّل إلى نهاية الزّمان؛ فإن كان أراد بقوله: "نهاية الزّمان" ما كان يعتقده من القول بقِدم الزّمان المطلَق الذي جعله أصْل مقالته وزعَم أنّهما زمانان: زمان مُطلَقٌ، وزمان مُضافٌ؛ فقد أحال في الدّعْوى ونقض قوله؛ لأنّ الزّمان المطلَق عنده قديمٌ بلا نهاية، ولم يدّع هو أنّ الطّبّ قديمٌ مع الزّمان.

وإن كان أراد الزّمان المضاف الذي هو بحركات الفلك، فقد أحال أيضًا؛ لأنّ الطّب وحساب النّجوم أُخِذت بعد حدوث البَشَر، والبَشَر آخر متولّدات العالم عند أهل الشّرائع وعند الفلاسفة، والفلك وحركاته وما فيه أقْدم من جميع المتولّدات.

وليْست النّهاية في معرفة هذه الأسباب إلى نهاية الزّمان في هذا الوجْه أيضًا.

ولكنّا نقول: إنّ علم الطّبّ، ومعرفة طبائع العقاقير، وغير ذلك من علم النّجوم والفلسفة، أخذه الخَلف عن السّلف إلى أن ينْتهي إلى الحكيم الذي كان الأوّل فيها؛ وإنّ ذلك الحكيم عرف هذه اللّطائف تأييدًا من الله –عزّ وجلّ–، ووحيًا منه؛ وهو داخلٌ في جمْلة الأنبياء (ع)، لأنّ أحدًا ليس في وِسْعه أن يبْلغ معرفتها إلاّ كذلك.

وكفَى بما تقدّم من الاحتجاج برهانًا ودليلاً على ذلك.

ونقول: إنّ هؤلاء الحكماء الذين تُنسَب إليهم هذه الأصول إن كانت ابتداءً منهم، فكما ذكرنا. وإلاّ، فأخذوها عمَّن تقدّمهم شيئًا في شيء فيها؛ فكان سبيله سبيل مَن تقدّمه في التّأييد من الله –عزّ وجلّ–، حتّى ينتهي الأمْر إلى الأوّل الذي ابْتدأه الله بتعْليم ذلك؛ لأنّ الله –عزّ وجلّ– بعث أنبياءه، فعلّمهم من كلّ شيء يحْتاج إليه النّاس في أمورهم دينًا ودنيًا، ولذلك اسْتقام أمْر العالم.

ولولا أنّ الله –عزّ وجلّ– علّمهم لَمَا علموا؛ لأنّه خلَق جميع الخلائق، وعلْم ما ظهر وما بطن، ولم يُشرك أحدًا من خلْقه في العلْم بها إلاّ النّبيّ؛ وهو عالم الغيْب،

لا يُظْهر على غيْبه أحدًا إلاّ مَن ارْتضى من رسول، وهو أعْلم حيث يجْعل رسالته، ولا يُشْرك في حكْمه أحدًا.

قمئمة الصمدر والّاجع

قائمة المراجع
المذكورة في المقدمة

- *تاريخ الحكماء* لجمال الدين القفطي. تحقيق جوليوس ليبرت. لايبسك. 1903.
- ذيل كتاب "*وفيات الأعيان في الأدب العربي* لكارل بروكلمان، ج 1.
- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* للعماد الحنبلي. في ثمانية أجزاء. القاهرة. 1350 هـ. – 1351 هـ.
- *عيون الأنباء في طبقات الأطباء* لابن أبي أ ـ يبعة. في جزأين. المطبعة الوهبية. القاهرة. 1300 هـ.)أعيد طبعه في بيروت سنة 1956(.
- *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* لحاجي خليفة. في جزأين. بعناية وكالة المعارف. القاهرة. 1941- 1943.
- *وفيات الأعيان* لابن خلكان. في ثمانية أجزاء. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت. د. ت.

قائمة المصادر والمراجع

–أ–

– *الأئمّة الإثنا عشر* لابن طولون. تحقيق صلاح الدّين المنجد. بيروت. 1958.

– *أبجد العلوم* لصدّيق بن حسن القنوجي، ج 2.

– *ابن حنبل* لمحمّد أبو زهرة.

– *ابن الرّاوندي* مقالة لبول كراوس نشرت باللّغة الألمانيّة في *مجلّة الدّراسات الشّرقيّة* وترجمها عبد الرّحمان بدوي في كتابه *من تاريخ الإلحاد في الإسلام* (ص75 إلى ص188). القاهرة. 1945.

– *إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفا* لتقيّ الدّين المقريزي. تحقيق جمال الدّين الشيّال. القاهرة. 1967.

– (كتاب) *أخبار الرّاضي والمتّقي* للصّولي.

– *أخبار الظرّاف والمتماجنين* لابن الجوزي. دمشق. 1347 هـ.

– *أخبار العبّاس وولده*. تحقيق عبد العزيز الدّوري. بيروت. 1971.

– *أخبار العلماء بأخبار الحكماء* للقفطي.

– *أخبار القضاة* لوكيع محمّد بن خلف. في ثلاثة أجزاء. القاهرة. 1366 – 1369 هـ.

– *أخبار النّحويّين البصريّين* لأبي سعيد السّيرافي. تحقيق طه محمّد الزّيني ومحمّد عبد المنعم خفاجة. القاهرة. 1955.

– *أرسطو* لعبد الرّحمان بدوي.

– *الإستيعاب في معرفة الأصحاب* لأبي عمر بن عبد البرّ. في أربعة أجزاء. تحقيق علي محمّد البجاوي. مطبعة نهضة مصر. القاهرة.

– *أسد الغابة في معرفة الصّحابة* لعزّ الدّين ابن الأثير الجزري. في خمسة أجزاء. طهران. 1342 هـ.

– *الإسماعيليّون في المرحلة القرمطيّة* لسامي العيّاش.
– *الإشارة إلى من نال الوزارة* لابن الصّيرفي. تحقيق عبد الله مخلص. مصر. 1924.
– *الإصابة في تمييز الصّحابة* لابن حجر العسقلاني. في ثمانية أجزاء. القاهرة. 1323 هـ.
– *إصطلاحات الصّوفيّة* للقاشاني.
– *الإعتقادات* للرّازي.
– *الأعلام* لخير الدّين الزّركلي. في عشرة أجزاء. الطّبعة الثّانية. مصر.
– *أعمال الأعلام* للسان الدّين ابن الخطيب.
* تحقيق ليفي بروفنسال. بيروت. 1956.
* القسم الثّالث. تحقيق العبّادي والكتّاني. الدّار البيضاء. 1964.
– *أعيان الشّيعة*، في 23 جزء.
– *الأغاني* لأبي الفرج الأصبهاني.
* في 25 جزء. دار الثّقافة. بيروت.
* في 21 جزء. طبعة السّاسي.
– *إلجام العوامّ عن علم الكلام* لأبي حامد الغزالي.
– *الإمام زيد* لمحمّد أبو زهرة.
– *إنباه الرّوّاة على أنباه النّحاة* لجمال الدّين القفطي. في ثلاثة أجزاء. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتب المصريّة. القاهرة. 1950.
– *الإنتصار والردّ على ابن الرّاوندي الملحد* لأبي الحسين عبد الرّحيم بن محمّد الخيّاط المعتزلي. تحقيق نيبرج. دار الكتب المصريّة. 1925.
– *الإنتقاء في فضائل الثّلاثة الأئمّة الفقهاء* لابن عبد البرّ. القاهرة. 1350 هـ.
– *أنساب الأشراف* للبلاذري.
* الجزء الأوّل. تحقيق محمّد حميد الله. دار المعارف. القاهرة. 1959.
* الجزء الرّابع والجزء الخامس. تحقيق جويتاين. القدس. 1936–1938.
– *الأنساب* للسّمعاني. في ستّة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1962–1964.

- *إيران في عهد السّاسانيّين* لكرستنسن.

-ب-

- *البخلاء* للجاحظ. تحقيق طه الحاجري. القاهرة. 1948.
- *بحار الأنوار*، في 11 جزء.
- *البدء والتّاريخ* لمطهّر بن طاهر المقدسي. في خمسة أجزاء. نشر كلمان هوار. باريس. 1899-1919.
- *بغية الطّلب من تاريخ حلب* لابن العديم. (صورة عن نسخة خطّية محفوظة بمكتبة الجامعة الأمريكيّة في بيروت).
- *بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة* لجلال الدّين السّيوطي. الطّبعة الأولى. 1926.
- *بلغة الظّرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء* لعليّ بن محمّد بن أبي السّرور الرّوحي. مصر. 1327 هـ.
- *البيان المغرب* لابن عذارى المرّاكشي. (القسم الخاصّ بتاريخ الموحّدين). تحقيق أمبروسي هويسي ميراندا ومساهمة محمّد بن تاويت ومحمّد بن إبراهيم الكتاني. تطوان. 1960.
- *البيان والتّبيين* للجاحظ. في أربعة أجزاء. تحقيق عبد السّلام هارون. القاهرة. 1961.

-ت-

- *تاج التّراجم في طبقات الحنفيّة* لأبي العدل زين الدّين قاسم بن قطلوبغا. بغداد. 1962.
- *تاج العروس* للزّبيدي (ج4/ص245). المطبعة الخيريّة. مصر. 1306 هـ.
- *تاريخ* ابن العبري.
- *تاريخ أبي الفدا* لأبي الفداء، ج 2.

– *تاريخ الأدب العربي* لكارل بروكلمان. في ثلاثة أجزاء. ترجمة عبد الحليم النّجّار. دار المعارف. القاهرة. 1959- 1962.
– *تاريخ الإسلام* للذّهبي. في ستّة أجزاء. طبعة القدسي. القاهرة.
– *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي. في 14 جزء. (طبعة مصوّرة عن الطّبعة الأولى). نشر دار الكتاب العربي. بيروت.
– *تاريخ التّراث العربي* لفؤاد سزكين. ج 2.
– *تاريخ التّصوّف الإسلامي* لعبد الرّحمان بدوي.
– *تاريخ الجهميّة والمعتزلة* للقاسمي.
– *تاريخ الحكماء* لجمال الدّين القفطي. تحقيق جوليوس ليبرت. ليبسك. 1903.
– *تاريخ الخلفاء* لجلال الدّين السّيوطي.
– *تاريخ* خليفة لخليفة بن خيّاط. تحقيق سهيل زكار. دمشق. 1967-1968.
– *تاريخ الخميس* للدّيار بكري. طبعة بولاق. 1283 هـ. (*تاريخ* الخميس. ج 2).
– *تاريخ الدّعوة الإسماعيليّة* لمصطفى غالب.
– *تاريخ* الطّبري للطّبري.
* في 15 جزء. نسخة مصوّرة عن الطّبعة الأوروبيّة. مكتبة خيّاط. بيروت.
* في 11 جزء. المطبعة الحسينيّة. القاهرة. 1326 هـ.
– *تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون* لعمر فرّوخ. الطّبعة الثّالثة. دار العلم للملايين. بيروت. 1981.
– *تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام* لمحمّد علي أبو ريّان. الطّبعة الثّانية. دار النّهضة العربيّة. بيروت. 1983.
– *تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب*. لمحمّد لطفي جمعة. نشر المكتبة العلميّة. القاهرة. 1927.
– *تاريخ الفلسفة الإسلاميّة* لهنري كوربان. ترجمة نصير مروّة وحسن قبيسي، مراجعة موسى الصّدر وعارف ثامر. الطّبعة الثّالثة. منشورات عويدات. بيروت. 1981.

– *تاريخ الفلسفة العربيّة* لجميل صليبا. الطّبعة الثّانية. دار الكتاب اللّبناني. بيروت. 1973.

– *تاريخ الفلسفة العربيّة* لحنّا الفاخوري وخليل الجرّ. في جزأين. الطّبعة الثّانية. منشورات دار الجيل. بيروت. 1982.

– *تاريخ الفلسفة في الإسلام* لت. ج. دي بور. نقله إلى العربيّة وعلّق عليه محمّد عبد الهادي أبو ريدة. الطّبعة الخامسة. دار النّهضة العربيّة. بيروت. 1981.

– *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا.

– *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* ليوسف كرم.

– *التّاريخ الكبير* للبخاري. في خمسة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1360 هـ- 1364 هـ.

– *تاريخ* المسعودي، ج3.

– *التّبصير في الدّين* للإسفراييني. القاهرة. 1955.

– *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري* لأبي القاسم ابن عساكر الدّمشقي. طبعة القدسي. القاهرة.

– *تتمّة المختصر في أخبار البشر* لابن الوردي (المسمّى *تاريخ ابن الوردي*). في جزأين. مصر. 1285 هـ.

– *تحقيق ما للهند من مقولة* للبيروني.

– *تذكرة الحفّاظ* لشمس الدّين الذّهبي. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1955.

– (مجلّة) *التّراث العربي*، عدد 5–6 (عدد خاص بمناسبة ألفيّة ابن سينا).

– *التّراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة*، كارلو نللينو (مقال في) ص173 إلى ص198.

– *ترتيب المدارك وتقريب المسالك* للقاضي عياض. في أرعة أجزاء. تحقيق أحمد بكير محمود. دار مكتبة الحياة–دار مكتبة الفكر. بيروت–طرابلس.

– *التّصوّف في الأدب والأخلاق* لزكي مبارك، ج1.

– *التّصوّف في الإسلام* لعمر فرّوخ.

– *تفسير الرّازي*، ج3/ص105.

- *تفسير القرآن* للطّبري (المسمّى *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*). ج 1 إلى ج 16. تحقيق محمود محمّد شاكر. دار المعارف بمصر. القاهرة.
- *التّفسير الكبير* للرّازي، (ج3/ص105)
- *التّفكير الفلسفي في الإسلام* لعبد الحليم محمود.
- *تلبيس إبليس* لابن الجوزي.
- *التّنبيه* للملطي.
- *تهذيب الأسماء واللّغات*، ج1، ج2.
- *تهذيب تاريخ ابن عساكر* لعبد القادر بدران. في سبعة أجزاء. دمشق. 1329 هـ- 1349 هـ.
- *تهذيب التّهذيب* لابن حجر العسقلاني. في 12 جزء. حيدر أباد الدّكن. 1325 هـ- 1327 هـ.

-ج-

- *الجاحظ حياته وآثاره* لطه الحاجري.
- *الجرح والتّعديل* لأبي حاتم الرّازي. في ثمانية أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1371 هـ- 1373 هـ.
- *جمهرة أنساب العرب* لأبي محمّد ابن حزم الظّاهري. تحقيق عبد السّلام هارون. دار المعارف. القاهرة. 1962.
- *الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة* لابن أبي الوفا القرشي. في جزأين. حيدر أباد الدّكن. 1332 هـ.

-ح-

- *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة* لجلال الدّين السّيوطي. في جزأين. تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة. 1967-1968.

– *الحقيقة في نظر الغزالي* لسليمان دنيا. دار المعارف. مصر.
– *حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصفهاني. في عشرة أجزاء. القاهرة. 1938.
– *الحوادث الجامعة والتّجارب النّافعة في المائة السّابعة* لأبي الفضل عبد الرزّاق ابن الفوطي البغدادي. بغداد. 1351 هـ.
– *الحور العين* لنشوان بن سعيد الحميري. تحقيق كمال مصطفى. القاهرة. 1948.
– *الحياة الرّوحيّة في الإسلام* لمصطفى حلمي.
– (كتاب) *الحيوان* للجاحظ. ج7. القاهرة. 1324 هـ.–1906 م.

–خ–

– *خزانة الأدب ولبّ لباب العرب* لعبد القادر البغدادي. في أربعة أجزاء. طبعة بولاق.
– *خطط* المقريزي (المسمّاة: المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار). في جزأين. طبعة بولاق. 1270 هـ.

–د–

– *دائرة المعارف الإسلاميّة*.
– *دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة* لعرفان عبد الحميد.
– *الدّرّة المضيّة في أخبار الدّولة الفاطميّة* لأبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدّواداري. تحقيق صلاح الدّين المنجد. القاهرة. 1961.
– *الدّيارات* للشّباشتي. تحقيق كوركيس عوّاد. بغداد. 1951.
– *الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب* لابن فرحون المالكي. مصر. 1351 هـ.

–ذ–

– *ذيل الرّوضتين* لأبي شامة (تراجم رجال القرنين السّادس والسّابع). القاهرة. 1947.

–ر–

– *رجال* ابن حبان. تحقيق فلايشهمر. القاهرة. 1909.

– *رجال الكشي* لأبي عمرو محمّد بن عمر الكشي. تحقيق أحمد الحسيني. كربلاء.

– *رجال* النّجاشي لأحمد بن علي النّجاشي. طبعة طهران.

– *رسالة إفتتاح الدّعوة* للقاضي النّعمان بن محمّد. تحقيق وداد القاضي. بيروت. 1970.

– *الرّسالة القشيريّة* لعبد الكريم القشيري.

* في جزأين. تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشّريف. القاهرة. 1966.

* بشرحي الأنصاري والعروسي، ج4.

– *رسالة الهداية والضّلالة للصّاحب* (المقدّمة) لحسين علي محفوظ.

– *روضات الجنّات* للخوانساري. طهران. 1367 هـ.

–ز–

– (كتاب) *الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة* لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرّازي.

–س–

– *سمط الآلي في شرح أمالي القالي* لأبي عبيد البكري. في جزأين. تحقيق عبد العزيز الميمني. القاهرة. 1936.

– *سيرة الغزالي* لعبد الكريم العثمان. دار الفكر. دمشق.

–ش–

– *شذرات الذّهب في أخبار من ذهب* العماد الحنبلي. في ثمانية أجزاء. القاهرة. 1350 هـ.–1351 هـ.

– *شرح الأزهار* للجنداري، ج1.

– *شرح البسامة* (شرح قصيدة ابن عبدون). القاهرة. 1340 هـ.

– *شرح عيون المسائل* للحاكم الجشمي. (ضمن كتاب *فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة*).
– *شرح نهج البلاغة* لابن أبي الحديد.
* الجزء الأوّل. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. 1959.
* ج2.
– *الشّعر والشّعراء* لابن قتيبة. في جزأين. دار الثّقافة. بيروت. 1964.
– *الشّيعة في التّاريخ* لمحمّد حسن الزّين.

–ص–

– *صفة الصّفوة* لابن الجوزي. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1355 هـ.
– *الصّلة بين التّصوّف والتّشيّع* لكامل مصطفى الشّيبي.

–ط–

– *طبقات الأطبّاء والحكماء* لابن جلجل. تحقيق فؤاد سيّد. القاهرة. 1955.
– *طبقات الأمم* لصاعد الأندلسي. نشر لويس شيخو. بيروت. 1912.
– *طبقات الحنابلة* لأبي الحسين محمّد بن أبي يعلى. في جزأين. القاهرة. 1952.
– *طبقات* خليفة.
– *طبقات الشّافعيّة* لجمال الدّين عبد الرّحيم الأسنوي. الجزء الأوّل. تحقيق عبد الله الجبور. بغداد. 1970.
– *طبقات الشّافعيّة* للحسيني. بغداد. 1356 هـ.
– *طبقات الشّافعيّة الكبرى* لتاج الدّين السّبكي. في ستّة أجزاء. المطبعة الحسينيّة. القاهرة. 1324 هـ.
– *طبقات الشّعراء* لابن المعتزّ. تحقيق عبد السّتّار أحمد فراج. دار المعارف. القاهرة. 1956.
– *طبقات الصّوفيّة* لأبي عبد الرّحمان السّلمي. تحقيق نور الدّين شربيه. القاهرة. 1953.

- *طبقات القرّاء* للجزري. ج1.
- *طبقات الفقهاء* لأبي إسحاق الشّيرازي. تحقيق إحسان عبّاس. بيروت. 1970.
- *طبقات الفقهاء الشّافعيّة* لأبي عاصم العبادي. تحقيق فيتستام. ليدن. 1963.
- *طبقات الفقهاء المالكيّة* للقاضي عياض.
- *الطّبقات الكبرى* لابن سعد.
* في ثمانية أجزاء. دار صادر ودار بيروت. بيروت. 1957-1958.
* في تسعة أجزاء. تحقيق إدور سخو. ليدن. 1904-1940.
- *الطّبقات الكبرى* للشّعراني (المسمّاة *لواقح الأنوار في طبقات الأخيار*). في جزأين. القاهرة. 1299 هـ.
- *طبقات المعتزلة* لأحمد بن يحيى ابن المرتضى. تحقيق سوسنه ديفلد-فلزر. بيروت. 1961.
- *طبقات المفسّرين* لجلال الدّين السّيوطي.
* ليدن. 1839.
* طهران. 1960.
- *طبقات النّحويّين واللّغويّين* للزّبيدي النّحوي. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. 1954.
- *طبقات* ابن هداية الله.

-ع-

- *العبر في خبر من غبر* للحافظ الذّهبي. تحقيق صلاح الدّين المنجد وفؤاد السيّد. الكويت. 1960-1966.
- (كتاب) *العبر وديوان المبتدأ والخبر* لابن خلدون. في سبعة أجزاء. بولاق 1284 هـ.
- *العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين* لتقيّ الدّين المكّي. تحقيق فؤاد سيّد ومحمّد طاهر الطناحي. القاهرة. 1959-1969.

– *عقيدة الشّيعة الإماميّة* للسيّد هاشم معروف. بيروت. 1956.
– *عمدة الطّالب في أنساب آل أبي طالب* للسيّد أحمد بن علي الدّاودي الحسني. تحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت.
– *عوارف المعارف* للسّهروردي.
– *عيون الأخبار* لابن قتيبة. في أربعة أجزاء. طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب. القاهرة. 1963.
– *عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء* لابن أبي أصيبعة. في جزأين.
* المطبعة الوهبيّة. القاهرة.
* بيروت. 1956.
– *عيون التّواريخ* لابن شاكر الكتبي. (مخطوط). (مخطوطة طوبقبوسراي رقم: 2922/21 ومخطوطة كوبللي رقم: 1121).
– *العيون والحدائق في أخبار الحقائق* لمؤلّف مجهول. تحقيق دي خويه ود. يونج. ليدن. 1869.

–غ–

– *الغرر والدّرر* للشّريف المرتضى.
– *الغزالي* لكارّا دي فو. ترجمة عادل زعيتر. القاهرة. 1959.
–*الغلوّ والفرق الغالية في الحضارة الإسلاميّة* لعبد الله سلوم السّامرّائي.

–ف–

– *فتوح* ابن أعثم لابن أعثم. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1968–1971.
– *الفرق بين الفرق* لعبد القاهر البغدادي.
* تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة.
* طبعة آفاق.

- *فرق الشّيعة* للنّوبختي. تحقيق هـ. ريتر. إستنبول. 1931.
- *فرق وطبقات المعتزلة* للقاضي عبد الجبّار.
- *الفصل في الملل والأهواء والنّحل* لابن حزم (وبهامشه *الملل والنّحل* للشّهرستاني). في جزأين. القاهرة. 1347 هـ.
- *الفهرست* لابن النّديم. طبعة مصوّرة عن الطّبعة الأوروبيّة بتحقيق فلوجل. مكتبة خيّاط. بيروت. 1964.
- *فهرست* الطّوسي
- *فوات الوفيّات* لابن شاكر الكتبي.
* في جزأين. تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة. 1956.
* في خمسة أجزاء. تحقيق إحسان عبّاس. دار صادر. بيروت.
- *في علم الكلام* لأحمد صبحي، ج1.

-ق-

- قاموس هيوقس الإسلامي.

-ك-

- *الكامل في التّاريخ* لابن الأثير. في 13 جزء. دار صادر-دار بيروت. بيروت. 1965-1967.
- *كشّاف إصطلاحات الفنون* للتّهانوي.
- *كشف الظّنون* لحاجّي خليفة. في جزأين. بعناية وكالة المعارف. 1941-1942.
- *الكشف والبيان* للقلهاتي.

-ل-

- *اللّباب في تهذيب الأنساب* لابن الأثير. في ثلاثة أجزاء. القاهرة. 1356 - 1369 هـ.

– *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني. في ستّة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1331 هـ.

–م–

– *مؤلّفات الغزالي* لعبد الرّحمان بدوي. القاهرة. 1961.

– *المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس* لابن أبي دينار. تحقيق محمّد شحّام. تونس. 1967.

– *مجالس* الشّيخ مفيد، ج2.

– *مجالس المؤمنين*

– *المحبَّر* لابن حبيب. حيدر أباد الدّكن. 1361 هـ.

– *مختصر الدّول* لابن العبري. نشر أنطوان صالحاني اليسوعي. الطّبعة الثّانية. بيروت. 1958.

– *مختصر الفرق بين الفرق* لعبد الرزّاق ابن رزق الله الرّسعني. تحقيق فيليب حتّى. مصر. 1964.

– *المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ عبد الله الدّبيثي* لأبي عبد الله الدّبيثي. تحقيق مصطفى جوّاد. بغداد. 1951.

– *مدخل التّعريفات* للجرجاني.

– *المذاهب الإسلاميّة* لأبي زهرة.

– *المذاهب الإسلاميّة للمتكلّمين في الإسلام* لماكس هرتان.

– *مرآة الجنان* لأبي محمّد اليافعي. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1337–1339 هـ.

– *مراتب النّحويّين* لأبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللّغوي. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. 1955.

– *مروج الذّهب* للمسعودي. في أربعة أجزاء. تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. الطّبعة الثّالثة. القاهرة. 1958.

– *مطالع البدور في منازل السّرور* لعلاء الدّين الغزولي.

– *المعارف* لابن قتيبة. تحقيق ثروت عكاشة.. دار الكتب المصريّة. 1960.
– *معالم العلماء* لابن شهراشوب.
– *معاهد التّنصيص* لعبد الرّحيم العبّاسي. في أربعة أجزاء. تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة. 1947.
– *معجم الأدباء* لياقوت الحموي. في 20 جزء. القاهرة. 1936-1938.
– *معجم البلدان* لياقوت الحموي. في خمسة أجزاء. دار صادر ودار بيروت. بيروت. 1955-1957.
– *معجم الشّعراء* للمرزباني. تحقيق عبد الستّار أحمد فراج. القاهرة. 1960.
– *المعجم الفلسفي* لجميل صليبا. في جزأين. بيروت.
– *المعجم الكبير* للطّبراني، ج8.
– *مفتاح السّعادة* لطاش كبرى زاده، ج2.
– *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام* لجواد علي، ج6/ص586.
– *مقاتل الطّالبيّين* لأبي الفرج الأصبهاني. تحقيق أحمد صقر. القاهرة. 1949.
– *مقالات الإسلاميّين* لأبي الحسن الأشعري.
* تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. في جزأين.
* تحقيق هلموت ريتر. الطّبعة الثّانية. فيسبادن. 1963.
– *المقدّمة* لابن خلدون. في أربعة أجزاء. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة. 1957-1962.
– *مقدّمة تبيين كذب المفتري* لمحمّد زاهد الكوثري.
– (كتاب) *المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى* لأبي حامد الغزالي.
– *الملل والنّحل* للشّهرستاني.
في جزأين. تحقيق محمّد سيّد كيلاني. دار المعرفة. بيروت. 1961.
في جزأين. تحقيق. بدران. مكتبة الأنجلو المصريّة. القاهرة.
في جزأين. (على هامش *الفصل* لابن حزم). القاهرة. 1347 هـ.

– *مناقب الإمام أحمد* لابن الجوزي.
– *مناهج السنّة النّبويّة* لابن تيميّة. في جزأين. تحقيق محمّد رشاد سالم. مكتبة خيّاط. بيروت.
– *من تاريخ الإلحاد في الإسلام* لعبد الرّحمان بدوي. القاهرة. 1945.
– *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم* لابن الجوزي. في عشرة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1357 هـ.
– *من الفلسفة اليونانيّة إلى الفلسفة الإسلاميّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا. الطّبعة الثّانية. منشورات بحر المتوسّط ومنشورات عويدات. بيروت–باريس. 1981.
– *المنقذ من الضّلال* لأبي حامد الغزالي.
– *المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي* لابن تغري بردي. الجزء الأوّل. تحقيق أحمد يوسف نجاتي. مطبعة دار الكتب. القاهرة. 1956.
– (كتاب) *المنية والأمل في شرح الملل والنّحل* لابن المرتضى.
– (كتاب) *مهرجان الغزالي* في دمشق 1961.
– *الموسوعة الإسلاميّة*، ج1.
– *موسوعة الدّين والأخلاق* (ج3/ص574)
– *موسوعة الفلسفة* لعبد الرّحمان بدوي. في جزأين.
– *الموسوعة المختصرة للإسلام* بإشراف هـ. جب، ص440 إلى ص444.
– *الموشّح* للمرزباني. تحقيق علي محمّد البجاوي. القاهرة. 1965.
– *ميزان الإعتدال في نقد الرّجال* للذّهبي. في أربعة أجزاء. تحقيق على محمّد البجاوي. مصر. 1963.

–ن–

– *النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة* لابن تغري بردي. في 13 جزء. دار الكتب المصريّة. القاهرة.

- *النّزعة الكلاميّة في أسلوب الجاحظ* لفكتور شلحت اليسوعي.
- *نزهة الألباء في طبقات الأدباء* لكمال الدّين ابن الأنباري. تحقيق إبراهيم السّامرائي. بغداد. 1959.
- *نشأة التّصوّف الإسلامي* لإبراهيم بسيوني.
- *نشأة الفكر الفلسفي* لسامي النّشّار، ج1/ص194.
- *نكت الهميان في نكت العميان* للصّلاح الصّفدي. طبعة مصر.
- *نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني* لأبي المحاسن اليغموري. تحقيق رودلف زلهايم. بيروت. 1964.

-و-

- *الوافي بالوفيّات* للصّلاح الصّفدي. ج1 وج4 وج7. باعتناء هلموت ريتر وس. ديدرينغ. من سلسلة النّشرات الإسلاميّة لجمعيّة المستشرقين الألمانيّة. مطابع مختلفة. 1931-1959.
- *الوزراء والكتّاب* لمحمّد بن عبدوس الجهشياري. تحقيق مصطفى السقّا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة. 1938.
- *الوفيّات* لابن قنفد.
- *وفيّات* أبي الفدا لأبي الفدا، ج1.
- *وفيّات الأعيان* لابن خلّكان. تحقيق إحسان عبّاس. في ثمانية أجزاء. دار الثّقافة. بيروت.
- *ولاّة مصر* للكندي.
- *الولاّة والقضاة* لأبي عمر محمّد بن يوسف الكندي المصري. بيروت. 1908.

-ي-

- *يتيمة الدّهر* للثّعالبي. في أربعة أجزاء. تحقيق الشّيخ محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة. 1375 هـ.-1377 هـ.

محتويات الثّانى

من كتاب أعلام النّبوّة

محتويات الجزء الثاني
من كتاب أعلام النبوة

- التّصدير	**12 – 7**
صورة من الصّفحة الأولى من نسخة كتاب *أعلام النّبوّة* لأبي حاتم الرّازي الخطّية	10 - 9
صورة من الصّفحة الأخيرة من نسخة كتاب *أعلام النّبوّة* لأبي حاتم الرّازي الخطّية	12 - 11
كتاب *أعلام النّبوّة*–الجزء الثّاني	**244 – 13**
الباب الخامس	**76 – 15**
الفصل الأوّل	
وممّا قال الملحِد أيضًا	20 - 17
الفصل الثّاني	
في القهر والغلبة	24 - 21
الفصل الثّالث	
الفرْق بين المعجزات والدّلائل	28 - 25
الفصل الرّابع	
ذكْر دلائل محمّد في الكتب المنزّلة	34 - 29

الفصل الخامس
أعلام محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- في الإسلام 35 - 76

الباب السّادس **77 – 136**

في شأْن القرآن 79 - 82
الفصل الثّاني
في القهْر والغلَبة 83 - 86
الفصل الثّالث
الفرْق بين المعْجزات والدّلائل 87 - 90

الفصل الرّابع
ذكْر دلائل محمّد في الكتب المنزّلة 91 - 96

الفصل الخامس
أعلام محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- في الإسلام 97 - 136

الباب السّادس **137 – 166**

في شأْن القرآن 139 - 190

الباب السّابع **191 – 244**

الفصل الأوّل

الأنبياء أصل التّعاليم ومورّثو الحكماء 216 - 193
الفصل الثّاني
مبدأ النّجوم والرّصد 224 - 217
الفصل الثّالث
أصل معرفة العقاقير 238 - 225
الفصل الرّابع
كلّ معرفة عائدة إلى الحكيم الأوّل 244 - 239

قائمة المصادر والمراجع **266 – 245**

* قائمة المصادر والمراجع المعتمَدة في المقدّمة 248 - 247
* قائمة المصادر والمراجع المعتمَدة في التّحقيق 266 - 249

محتويات الكتاب **272 – 267**

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة - عمارة عدد 3 – شقّة عدد 2 - المنار 2 – أريانة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر : 02-9938
عدد الطّبعة: الثّانية
ت د م ك : 978-9938-02-034-2
تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع